خواطر و تأملات
في
شرح أسماء الله الحسنى

[الجزء الثاني]

لفضيلة الشيخ/ الدكتور
محمد راتب النابلسي
الأستاذ المُحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق
و خطيب مسجد " عبد الغني النابلسي " بدمشق

بسم الله الرحمن الرحيم

خواطر و تأملات

في

شرح أسماء الله الحسنى

[الجزء الثانى]

لفضيلة الشيخ/ الدكتور

محمد راتب النابلسي

الأستاذ المُحاضر بكلية التربية - جامعة دمشق

و خطيب مسجد " عبد الغني النابلسي " بدمشق

حول فضيلة الشيخ

محمد راتب النابلسي

وُلد الشيخ الجليل في دمشق عام ١٩٣٨مـن أسرة علم ، فقد كان والده عالماً من علماء دمشق ، و قد ترك لـه مكتبـة كبيرة تضم بعض المخطوطات .

إلتحق شيخنا الجليل بمدارس دمشق الابتدائيـة و الإعداديـة والثانوية ، ثم بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعـة دمشـق ، وتخرج عام ١٩٦٤ ، ثم التحق بكلية التربية بجامعة دمشق ليكمـل الدراسات العليا فحصل على الماجستير ، ثم التحق بجامعة " ترنـتي " ببريطانيا للحصول على الدكتوراه في " تربية الأود في الإسلام " .

بعد ذلك عمل في حقل التدريس بالتعليم الثانوي الرسمـي ، ثم الجامعي ، حيثُ عُيِّن أستاذاً مُحاضراً في كلية التربية – جامعة دمشق من عام ١٩٩٦ ، حتى ١٩٩٩.

و قد طلب شيخنا العلم الديني الشرعي في وقت مبكـر مـن حياته ، حيث تتلمذ على أيدي عدة علماء من دمشـق ، فـدرس

التفسير ، و الحديث ، والفقه ، والسيرة ، والفرائض .. حتى نـــال إجازة إسلامية من أستاذه بكلية الآداب ، هو الدكتور .

الشيخ " صبحي الصالح " أستاذ علوم القرآن و علوم الحديـــث و فقه اللغة بجامعة دمشق .

و في عام ١٩٨٤ عُيِّن شيخنا الجليل خطيباً بجامع الشيخ عبـــد الغني النابلسي ، و مدرساً دينياً بعدة مســـاجد بدمشـــق ... و لا يزال – بفضل الله تعالى – حتى الآن يخطب و يدرس .

كما عُيِّن شيخنا مديراً لمعهد تحفيظ القرآن بجامع النابلســـي ، و عضواً مُشرفاً على مجلة " نهج الإســـلام " الـــتي تُصدرهـــا وزارة الأوقاف بالجمهورية العربية السورية .

و لشيخنا الجليل عدة دروس مسموعة ومكتوبة ، متاحة علـــى أقـــراص لـــيزر ، تبيعـــها عـــدة شـــركات ، منـــها : شـــركة " المشكاة " للبرامج والحاسبات ، الكائنـــة ب عمـــارات خلـــف العبور – أمام دار الهيئة الهندسية – مصر الجديـــدة – القـــاهرة . تليفون : ٤٠٢١٠٢٨ – ٠١٠١٥٤٤٣٣٢ ، و هي متاحة أيضـاً على موقعه بالإنترنت **www.nabulsi.com**

*****

الخبير

الخبير

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين ، اللهم لا عِلم لنا إلا ما علّمتَنا إنك أنت العليم الحكيم ، اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزِدنا عِلما ، وأرِنا الحقّ حقا وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه واجعلنا ممن يستمعون القول فيتّبعون أحسنه ، و أدخِلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

أيها الإخوة الأكارم ، الاسم اليوم هو : الخبير ، و الخبير من أسماء الله الحسنى كما أنه لا يخفى عليكم أن أسماء الله كلها حسنى ، قال تعالى :

وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا

الأعراف : الآية ١٨٠

وكمال الله جل جلاله كمال مطلق بينما كمال الإنسان كمال نسبي ، فعدل الله مطلق وقدرته مطلقة ورحمته مطلقة وعلمه مطلق .

أيها الإخوة : الخبير صَرفيا وزنه على فعيل ، ومن معاني فعيل مُفعِل فخبير بمعنى مُخبِر ويراد أنه متكلم وأن القرآن كلام الله عز

وجل ، والمعنى الآخر للخبير : هو الذي يعلم كل شيء ولا يغيب عن علمه شيء وهو العالِم بكنه كل شيء و مطّلِع على حقيقة كل شئ ، العليم بدقائق الأمور لا تخفى عليه خافية يعلم الداء والدواء ، العلم بظاهر الأشياء وبواطنها بشكلها وحقيقتها وبجلائلها ودقائقها بما تراه عينك وبما يخفى عنها ، يقول الإمام الغزالي : الخبير هو الذي لا تغرب عنه الأخبار الباطنة ولا يجري في المُلك والملكوت شيء إلا بعلمه ولا تتحرك ذرة ولا تسكُن إلا بعلمه ولا تضطرب نفس ولا تطمَئِن إلا بعلمه ، وقيل : الخبير الذي لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ولا تتحرك حركة ولا تسكن ساكنة في السماء والأرض إلا يعلم مستقرها ومستودعها ... لكن قد يسأل سائل أليس هذا هو العليم ؟ هذا كله يمكن أن يكون شرحا لاسم العليم فمالنا نتحدث هذا الاسم بما يشبه اسم العليم ؟ الحقيقة أن العلماء فرَّقوا بين العليم و الخبير

فالخبير يفيد معنى العليم ولكن العليم لا يفيد معنى الخبير لذلك اسم الخبير هو عليم ومع العلم شيء آخر ، سوف أوضح عن طريق الأمثلة الفرق الدقيق بين العليم والخبير وهناك آية في القرآن الكريم التي ورد فيها اسم الخبير ، ولتكون أساسا لهذا الدرس ، ثبت في القرآن لفظ الخبير أكثر من أربعين مرة فقال تعالى :

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

البقرة :الآية ٢٣٤

لو أنني أمسكت هذا الكأس ووضعته في هذا المكان أنتم جميعا رأيتم أنني نقلته من مكان لآخر فهذا هو العلم ولكن لماذا نقلته ؟

ما الدوافع التي حملتني على نقله وما الخواطر التي خطرت ببالي حين نقلته وماذا أبتغي بنقله وما الباعث على نقله ، علمك أنه انتقل من مكانٍ لآخر هذا يسمى علما، أما الخبير إذا قال الله عز وجل : " والله بما تعملون خبير" يعني يمكن أن تعمل عملا لا يشك أحد من الخلق أنه عمل طيب وتكون النية ليست طيبة فالله خبير بما تعمل ، قد تدعي شيئا وأنت على خلافه وقد تريد شيئا في الظاهر وفي الباطن لا تريده ، وقد تُرحّب وأنت تُبغض ، وقد تغضب وأنت تحب حقيقة العمل ومؤدى العمل هي للخبير فهو الذي يعلم ذلك ، فالخبرة العلم بدقائق الأمور ببواطنها وبواعثها وبأهدافها البعيدة بما يخامر فاعلها من مشاعر ؛ آية ثانية :

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

البقرة : الآية ٢٣٤

من باب الطرفة نقول : في بعض الأيام تأتي صديقــــة زوجتـــه وتجلس مع زوجته يقول الزوج تعالوا إلى هنا فالغرفة هنا أدفأ ، يـــا ترى هل هذا الذي ذكره هو الحقيقة أم يوجد شيء يخفيه لا نعلمـــه ؟ فالله خبير والأعمال بحجمها وتفاصيلها ، وبواعثها وأهدافها وأبعادها و بمقاصدها وخلفياتها وجزئياتها لا يعلمها إلا الله فالله هو الخبـــير ، قال تعالى

﴿ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (١٥٣)

آل عمران: الآية ١٥٣

قد تجد إنسانا يعمل عملا طيبا و ربمـــا ســـاق الله لـــه بعـــض المصائب فتقول : لم أُصيب وأعماله طيبة ؟ أنت لا تعلم لأن الله هو الخبير ، لم يسُق له هذا الشيء إلا لحكمة بالغة ورحمةً به ،فالله بمـــا تعملون خبير ، مثل آخر : طبيب له الحق أن يرى موضع الألم مـــــن المرأة ، لكنه إن نظر إلى موضع آخر لا تشكو منه فهل علـــى وجـــه الأرض جهة تكشف خيانة بصره ؟ لا ... إلا الله ، قال تعالى :

﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (١٩)

غافر: الآية ١٩

و قال تعالى :

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾

الحديد . الآية ٢٢

فالمصيبة إذا أرسلها الله عز وجل لا تحزنوا لمجيئها ولا تفرحوا بما آتاكم فالله خبير بما تعملون ، حكمة الله اقتضت أن يرسل عليكم هذه المصيبة ، إنسان صالح من بيته إلى مسجده رزقه الله تعالى مبلغا كبيرا من المال هل سيبقى على حاله أم يتغير ؟ هذا لا نعلمه لكن الله يعلمه فالله خبير بما تعملون علم ما كان وعلم ما يكون وعلم ما سيكون وعلم ما لم يكن لو كان، كيف كان يكون ، يقول الله عز وجل في الحديث القدسي:

" إن من عبادي من لا يُصلحه إلا الفقر فإذا أغنيتُه أفسدت عليه دينه وإن من عبادي من لا يُصلحه إلا الغنَى فإذا أفقرتُه أفسدتُ عليه دينه" ، فمن الذي يعلم حقيقة النفس ؟؟؟؟!!

كنت مرة في طريقي وجدت جدارا منهارا بسبب هبوب عاصفة هوجاء بلغت سرعتها مئة وثمانين كيلومتر في الساعة ، فهذا الذي بنى الجدار هل يعرف السرعة التي ينهدم بها الجدار ؟ لابد وأنه لا

يعرف . ونحن إذا أردنا أن نعرف فلا بد من أن نجرب ، بعض المعامل من أجل أن تعرف مقاومة الآلات ، تضعها في ظروف صعبة،مثل مركبة تنتقل بسرعةَ مئة كيلو متر وأمامها جدار من الإسمنت المسلح ، طبعا يحتالون على أن تنطلق من غير سائق فترتطم بهذا الجدار ، يرون هذا المعدن الذي صُنع منه هذا الهيكل ماذا فعل به هذا الصِدام الشديد على سرعة مئة كيلو متر ، ؟ وإلى أي مكان وصل هذا الصدام؟ ويبنون على هذه التجربة خبرتهم ! أما إنسان صنع هيكل مركبة وغلفها وهيأها ، دون أن يعرف إذا كانت في حال اصطدامها بجدار ما يكون مدى تأثير الجدار فيها ، فهي معرضة للتلف بسهولة ، فخبرة الله قديمة وخبرة الإنسان مكتسبة والدليل أن خلق الإنسان هل طرأ عليه أي تغيير منذ خلقه الله سبحانه وتعالى ؟ فالبشر من العصور القديمة وحتى الآن لم يطرأ تغيير على خلقهم ؟ إذا نظرنا إلى سيارة صنعت سنة ألف وتسعمائة فقط ، ترى بينها وبين التي صنعت سنةَ ألف وتسعمائة وخمسةَ وتسعين بونا شاسعا غير معقول ، فالقطار الأول الذي صُنع قديما ألزمهم أن يضعوا إنسانا أمامه كي يحذِّر الناس حينما يمشي ؛ فسرعته كانت تعادل سرعة الإنسان أما الآن فالقطار يمشي بسرعة ثلاثمائة وستون كيلومتر في الساعة والتطورات لا زالت تأتي بالجديد ، فالإنسان خبرته مكتسبة وحادثة أما الله فخبرته قديمة بدليل أن كل شيء خلقه الله خلقه في أبدع صورة ، و في أكمل حال

قال تعالى :

وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾

النمل : الآية ٨٨

كنت ذات مرة عند أحد إخواننا الكرام يعملون بإصلاح السيارات ورأيت عندهم قطعة ميكانيكية ملقاة على الأرض فقلت : ما قصة هذه القطعة ؟ فقال : إن مُركَّبات هذه القطعة بعد عشرة آلاف كيلو متر تُكسر من هذا المكان ، ويوجد فيها منطقة ضعيفة ، والذي صمم هذه الآلة لم يكن يتخيل أن هذا المكان ضعيف على التحمل وبذل الجهد ، ومنها علمت أن كل تعديل يطرأ على مركبة أو على آلة دليل نقص في الخبرة ، والنقص في الخبرة نتلافاه فيما بعد ! فالتطويرات التي تطرأ على خبرة الإنسان دليل على أن خبرته ناقصة ومكتسبة وحادثة ، أما خلق الله الكامل والذي لا يزال كاملا وسيبقى كاملا دليل على أن خبرة الله قديمة ، حليب الأم مثلا فقير من الحديد وهو معدن أساسي جدا في تكوين خضاب الدم ، لو فحصنا طحال وليد رضيع نجد أن فيه كمية حديد تكفيه عامين إلى أن يأكل غذاء منوعا ، فمن فعل هذا ؟ الخبير ، ولماذا جعل ثقب بين الأذين والأذين في القلب ، كشفه العالم بوتال وهذا الثقب وظيفته أنه مادام الطفل في بطن أمه وليس له هواء ولا تنفس والرئة معطلة لذلك بدلا من أن يدور الدم

إلى الرئة ويعود إلى الأذين ينتقل من أذين إلى أذين ، حينما يولد الطفل قال تأتي جلطة لتغلق هذا الثقب وعندها تنتقل الدورة من الأذين إلى الأذين فتصبح من الأذين إلى الرئة إلى البطين كل هذا من صنع الخبير ، سؤال آخر ؛ لماذا لا نجد في أظافرنا وشعورنا أعصابا حسية ؟ فلو كان الأمر كذلك لاحتجنا إلى الذهاب إلى المستشفى حين تقليم أظافرنا وشعورنا ونحتاج إلى تخدير فهذا هو الخبير، ما جعل أعصاب الحس في الأظافر ولا في الشعر ولكنه جعل أعصاب الحس في العظام ! فإذا انكسر العظم تألم الإنسان أشد الألم ، فالشعور بالألم أربعة اخماس العلاج ! لو دققت في خلق الإنسان وفي خلق الحيوان والنبات لرأيت العجب العُجاب ، لو ترك الفلاح الشجرة بلا سقيا ما الذي يحصل ؟ ستستهلك هذه الشجرة ماء الورق ثم ماء الغصن ثم ماء الفروع ثم ماء الجذع ثم ماء الجذور وآخر ماء تستهلكه هو الماء الذي في آخر الجذر ، فلو كانت الشجرة تستهلك الماء ابتداء من الجذور لماتت كل الأشجار إذا امتنعنا عن سقياها مرة واحدة ولكن الله جعل الدورة معاكسة ، ولماذا ينكمش الماء إذا بردناه ؟ أما إذا وصل إلى درجة زائد أربعة فيزداد حجمه ، هذه الظاهرة لولاها لما كانت حياة على سطح الأرض كل هذا من فعل الخبير ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾

المائدة : الآية٨

حتى العدل مع الكافر قُربة إلى الله ، فحينما تعدل مع الكافر هل هذا ابتغاء مرضات الله أو خوفا منه ؟ من يكشف ما إذا كان هذا الإحسان صادرا عن خوف أو عن ابتغاء مرضات الله ؟هو الله سبحانه وتعالى وفي آية أخرى:

وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٨﴾

الأنعام :الآية١٨

و قوله تعالى

لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

الأنعام :الآية ١٠٣

لو احتال طبيب أسنان على قلع ضرس طفل فمهما يهون على الطفل ومهما يداعبه فإن الطفل يشعر بالألم إما بألم الحقنة المخدرة أو بألم الضرس مباشرة لكن الله الخبير إذا أراد تبديل أسنان هذا الطفل فهل يتألم هذا الطفل ؟ إطلاقا لا يشعر بالتغير . و يقول الله تعالى :

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ 

التوبة :الآية ١٦

ورد اسم الخبير كما قلنا في أربعين آية من كتاب الله والخبير هو الذي يعلم بالبواعث والخواطر ، يعلم الخلفيات والمُلابسات ويعلم حقيقة كل شيء ، ويعلم الاحتمالات فنحن البشر لا نعلم حقيقة الشيء إلا بالتجارب ، حتى إذا أردنا صنع دواء نزرعه في الجراثيم كي نستنتج مفعوله ، إما أن يقتل تلك الجراثيم فهو فاعل وإما أن تترك كما كانت فهو غير فاعل ، فعلوم البشر كلها أساسها التجربة ، لذلك سموه بالعلم التجريبي لكن علم الله وخبرته لا يفتقر إلى التجربة ،قال تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾

الحج : الآية ٦٣

في مواضع كثيرة جاء اسم الخبير مقرونا باسم اللطيف فهناك علاقة بين الخبرة واللطف ، آية أخرى :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

النور : الآية ٣٠

فهذا الذي يغض بصره أمام الملأ ويتصنع ثم إذا اختلى بنفسه ومد بصره إلى الحرام ، هل يستطيع أحد أن يعرف إخلاص هذا المرء وريائه ؟ لا أحد ولكن اللطيف الخبير أعلم بحاله من نفسه ، لذلك قال تعالى في آخر الآية إنَّ اللهَ خبيرٌ بما يصنعون .

إذا علمتَ أن الله يعلم وخبير بسرك وجهرك وسريرتك وعلانيتك وخلوتك وجلوتك وبواعثك وخواطرك ومقاصدك وخلفياتك والمؤدّى الذي تبتغيه من عملك وعلمت أن الله خبير وأنك في قبضته ، فما التطبيقات العملية لهذا الاسم ؟ أنت مكشوف أمامه ولا تخفى على الله منك خافية علانيتك كسرك وجهرك كسرك فهذا يجعلك تستقيم على طاعته وأن لاتخشى معه أحدا آخر وهذه هي أول ثمرة للإيمان باسم الخبير يقول القشيري : من أدب المؤمن مع اسم الخبير أنه من عرف أن الله خبير بأفعاله وأقواله وأعماله كان محترزا في أقواله وأعماله وواثقا بجميع اختياره وأنه ما قسم له لن يفوته ومالم يقسم له لن يدركه ، إذن أول ثمرة هي الاستقامة والرضا والاستسلام ، ومن أدرك وأيقن اسم الخبير يرى أن جميع الحوادث من الله سبحانه وتعالى فتهون عليه الأمور بخلاف من يضيف بعض الحوادث إلى الحق وبعضها إلى الخلق وأنه هو الفعال لما يريد وكل الأمور بيده ، من خلال هذا نقول : إنك إذا أيقنت من اسم الخبير أنه هو المطّلع على سرك عليم بخفي أمرك وما في صدرك يكتفي برفع همتك إليه

واستحضار حاجتك في قلبك من غير أن تنطق بلسانك وهي فكرة دقيقة جدا ، علمك أن الله مُطّلع على قلبك يجعلك تناديه نداء خفيا كما فعل سيدنا زكريا

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

مريم : الآية ٣

وبعضهم تجده يجهر بالدعاء وكأنه يناجي بعيدا فالمؤمن إذا عرف اسم الخبير ناجاه في سره وسأله في سره ودعاه في سره ولم يحتج لرفع صوته بالدعاء ، قبل أن يلقى ابراهيم في النار ، قيل له : ألك من الله حاجة يا ابراهيم ؟ قال : منك ؟قال : لا من الله فقال : " علْمُه بحاليْ يُغني عن سؤالي"

فإذا كُنتَ في كلٍّ حالي معي فأنا عن حمل الزاد في غنى ،

بعضهم ينصح المؤمنين أن من كانت به حاجة إلى الله أن يقرأ قوله تعالى

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾

الملك : الآية ١٤

هناك معنى آخر للخبير ، فأنت في دنياك تتحرك وهناك أهداف ووسائل سمح بها الشرع لكسب المال وهناك وسائل غير مشروعة ، قد يبدو لك أن هذه الوسائل التي لم ترد في الفقه أسرع و نتائجها

أضمن وهدفها أكبر وتتوهم أن الطريق التي رسمها الله لـــك طريـــق طويلة وهزيلة ، فيقبل هذا الإنسان الجاهل على وسيلة غير مشروعة من أجل كسب المال فيفاجأ بتلف ماله ؛ لماذا يـــا رب ؟ فمـــن أجـــل الوصول إلى دخل وفير أنت مكلف بتطبيق منهج الله فالنجـــاح ليـــس بالذكاء وإنما بالتوفيق والتوفيق بالطاعة ، فالذي يسرع لوسيلة غـير مشروعة ظنا منه أنها موصلة قبل التي هي مشروعة فهو واهـــم لأن الله خبير ، وهو الذي أمرك بالإقبال عليه وأن الإنغماس في الشهوات شقاوة وأن كل السعادة بطاعة الله ، فكل من اتبع الخبير يسعد ، قـــال تعالى

. وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

الكهف :الآية ٢٨

فحينما تسلك منهج الله تقطف الثمار اليانعة وحينما تحيد عـــن منهج الله تندم أشد الندم لأنك ابتعدت عن كلام الخبير ، فيما يخـــص الآلات الغالية الثمن والمعقدة وعظيمة النفع تعتقد بالبداهة والفطـــرة دون توجيه أن الذي صنعها هو الوحيد الخبير بـــها ولذلـــك تحتـــاج لكتيب فإذا كان هذا في شأن هذه الآلة فما بالك في شأن نفسك التـــي تحوي أسرارا وخفايا لا يعلمها إلا الله فهي تحوي أفكـــارا وشـــهوات وروحا وجسدا وميولات وغرائز وطموحات وقيمـــا ومبـــادئ أمـــور

معقدة جدا أفلا يجعلنا هذا أن نقول أن لهذه النفس منهج تسير عليه ، إنه منهج الله

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١٤)

الملك : الآية ١٤

الإمام الغزالي رحمه الله تعالى تكلم عن حظ العبد من اسم الخبير - هذا موضوع ثالث - قال : يجب أن يكون العبد خبيرا بأحواله وبإيمانه وخبيرا بمشاعره وأحوال قلبه والخفايا التي يتصف بها قلبه وخبيرا بإخلاصه واستقامته فأقرب شيء منك جسمك ونفسك فلا بد أن تكون خبيرا بقلبك ؛ هذه الخواطر التي تأتيك أمن قلبك أم من نفسك أم من الشيطان ؟ وهل هي وساوس أم إلهامات ؟ وهل هذا العمل باعثه الإخلاص أم الرياء ؟ ينبغي أن تكون خبيرا بأحوالك ونفسك وقلبك وكسبك للمال وإنفاقه فاسم الخبير يقتضي أن تكون خبيرا بما أنت عليه لأن أول خطوة لمعرفة مشكلة هي أن تعرفها أنها مشكلة ثم تحددها إذ أنك لاتترك عملا إلا إذا علمت أنه ذنب فقبل أن تترك الذنوب ينبغي أن تعلم ما الذنوب ؟ فأول خطوة نحو إصلاح النفس أن تعرفها وتعرف حقيقتها وأن لا تنخدع بها .

لازلنا مع الإمام الغزالي في الحديث عن حظ العبد مع اسم الخبير قال : يجب أن يكون العبد خبيرا بما يجري في عالمه وعالمه هو قلبه و بدنه و الخفايا التي يتصف بها القلب من الغش و الخيانة

و التطواف حول العاجلة و إضمار الشر و إظـهار الخـير والتجمـل بإظهار الإخلاص مع الإفلاس ولا يعرف ذلك إلا صاحب خبرة بالغـة قد خبر نفسه ومارسها وعرف مكرها وتلبيسـها فحاذرهـا وتشـمر لمعاداتها فذلك العبد جدير بأن يُسمَّى بين العباد خبير، لذلك من عرف أن الله خبير كان بزمام التقوى مشدودا وعن طريق المُنى مصـدودا ، وقال أحدهم : من أراد عِزّاً بلا عشيرة وهَيبة بلا سلطان وغِنى بـلا فقر، فليخرج من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، وقال بعض العلمـاء : لا ينال الحظ الأوفر من هذا الاسم الشريف الخبير إلا من كان خبـيرا بدسائس نفسه بصيرا بخدائع حسه يعـرف الفـرق بيـن خطـرات الشيطان وإلهامات الملك، بصـيرا بإلـهامات الرحمـن ووسـاوس الشيطان ، وبعض العلماء لهم دعاء يتعلق باسم الخبير يقـول هـذا العالم الجليل : إلهي أنت الخبير بالدقائق والبصائر والمُطَّلِـع علـى السرائر والناظر إلى الضمائر تَجلَّ لي بنور اسمك الخبير بـلا حـول مني ولا تدبير حتى أكون خبيرا بالأمور الغائبة عن الجُـهَّال وأنجـو من الشرك الخفي وما هو أخفى في الأقوال والأعمـال وبتجلّـى لـي مولاي الخبير نعم المولى ونعم النصير ، لذلك الآية الكريمة :

وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾

طه: الآية ٧

خبرته من لوازمها أن يعلم ما خفي عنك .

أيها الإخوة هذا الاسم له تطبيقان أساسيان :

- الأول : أن تعلم أنك مكشوف أمام الله ، لا تخفى على الله منك خافية

- الثاني : أن تكون أنت خبيرا بأحوالك وخواطرك وقلبك وإيمانك ووساوسك وإلهامات الملائكة ، أنت خبير وأن تعلم أنه خبير عندئذ تستفيد من هذا الاسم الجليل.

و الحمد لله رب العالمين

*****

الشكور

الشكور

أيها الإخوة الأكارم :

الحقيقة أنك إذا علمت أن الله خلق السماوات والأرض وكفى فأنت ما عرفته لأن الإيمان بوجود الله يكاد يكون قاسما مشتركا بين كل الناس كما جاء في الآية الكريمة :

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾

سورة لقمان

حتى الذين عبدوا الأصنام قالوا :

أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

سورة الزمر

فإذا أقررت بوجود الله عز وجل فأنت لم ترتفع عن أي مستوى من مستويات الناس العاديين ، ولكن معرفة الله تقتضي أن تعرف أسماءه وما من معرفة لها علاقة وشيجة بحياتك الدنيا وبمآلك إلى الآخرة كمعرفة أسمائه الحسنى ، فكلما ازددت معرفة به ازددت حبا

له ، وازددت استقامة على أمره ، وازددت عملا صالحا تتقرب إليــه ، وازدادت سعادتك في الآخرة .

إذا شيء خطير جدا أن تتعرف إلـــى الله مـــن خـــلال أســـمائه الحسنى ، اسم الشكور ثابت بالقرآن الكريم ، قال تعالى :

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾

سورة فاطر

وفي آية أخرى في سورة الإسراء :

وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾

سورة الإسراء

مشكور اسم مفعول ، مَن الشاكر ؟ هو الله عز وجل .

وفي آية ثالثة في سورة النساء :

وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

سورة النساء من الآية ١٤٧

إذن شكور و شاكر و مشـــكور ، المشـــكور هـــو العبـــد ، والله سبحانه و تعالى شاكر ومشكور . الآن ما تعني كلمة شكر باللغة ؟

الشَّكور مبالغة من شكر ، و دائما أسماء المبالغـــة إذا اقـــترنت

بأسماء الله الحسنى فتعني إما عدد الشكر أو حجم الشكر ، أما حجم الشكر تعيش أنت في الدنيا لسنوات معدودات ، سنوات قد تزيد على الستين سنة على السبعين فإذا أطعته في هذه السنوات المعدودات يهبك حياة أبدية لا تنقضي ، وكلمة أبد هذه كلمة قد لا ننتبه إلى معناها ، أنا أخاطب الإخوة الرياضيين ، الذين يدرسون الرياضيات ، لو أن واحدا في دمشق والأصفار بين الصفرين ميلمتر ، والأصفار إلى حمص إلى حماة إلى حلب إلى أنقرة إلى موسكو إلى القطب الشمالي إلى المحيط الهادي إلى القطب الجنوبي إلى أفريقيا إلى .... حتى عادت هذه الأصفار حول الأرض إلى شمال الواحد ، هذا الرقم كم هو ؟ هذا الرقم واحد في دمشق و الأصفار حول الأرض ، لو وضع هذا الرقم صورة لكسر عادي وفي مخرج الكسر إشارة اللانهاية ، هذا الرقم يساوي صفر في الرياضيات ، يعني : أي رقم مهما بدا لك كبيرا إذا قيس إلى اللانهاية فهو صفر ، فأنت إذا عشت في الدنيا سنوات معدودات ، وفي هذه السنوات المعدودات أطعت الله عز وجل ونهيت نفسك عن الهوى وضبطت جوارحك ونقيت دخلك من الحرام وتعرفتَ إلى الله وجلست في مجالس العلم وتلوت القرآن وفهمت القرآن ودعوت إلى الله وأنفقت من مالك ومن جاهك ومن علمك وجاء الأجل ، إذا قست هذه السنوات المعدودة إلى الحياة الأبدية فأنت ما فعلت شيئا ، فمعنى شكور أنه يعطيك على الشيء القليل الشيء الكثير .

أيعقل أن تدفع ربع ليرة سورية ، لتشتري بها شارع الحمـــراء على الطرفين ؟ الطوابق والمخازن والمستودعات ، والحريقة وطريق الصالحية و البحصة وحمراء بيروت ، و شـــارع بيكـــاديلي بلنـــدن وشارع كذا بفرنسا ممكن شرائها بربع ليرة ؟ أؤكد لكم أن كل عمـــل الإنسان إذا قيس بما أعد الله له من نعيم مقيم والله أقل مـــن هـــذه النسبة .

هذه الشركات الكبرى في العالم ، سمعت عن شركة قال : عندهـا فائض هم في حيرة من توظيفه ، مليار دولار ، فـــائض ليـس لـــه وظيفة يوظَّف بها هناك شركات كبرى في العالم ميزانياتها وأرباحـــها بقدر ميزانيات مجموعة دول ، هذه الشركة هـــل تُشـــترى بفرنـــك ، بليرة ؟ أقول لكم والله لا أبالغ ، أن ما أعده الله للمؤمن مـــن نعيـــم مقيم نظير ما يقدمه من طاعة لله في الدنيا ، النسبة بين ما قدم ومـــا سيأخذ أكبر بكثير من أن تشتري إحدى أكبر الشركات في العالم بليرة سورية :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال الله : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . " صحيح البخاري

هذا معنى الشكور ، صيغة مبالغة لاسم الفاعل ، عندنـــا شـــاكر وعندنا شكور صيغة المبالغة أنه يعطي اللانهاية أي الأبد .

مرة سمعت أن بعض القضاة في بلد معين ليس لهم رواتب بل معهم شيكات مفتوحة ، أي مبلغ يريده يأخذه ، لو طلب مبلغا فلكيا يأخذه فورا ، معنى الشكور إذن ، أنه يعطي الشيء الذي لا نهاية له ، الذي لا حدود له كما قال ربنا في الحديث القدسي : " أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر " .

الحقيقة هذا الكلام نقرؤه كثيرا ونردده كثيرا ولكن لو وقفنا عند مدلول هذه الكلمة ، كل واحد منا له دائرة مشاهدات ، أخي أنت إلى أين ذهبت والله أنا ذهبت إلى لبنان وإلى الأردن و ذهبت إلى الحج ، وذهبت إلى مصر وإلى قبرص ... فقط ؟ فقط .

هناك شخص يعرف أمريكا ، يعرف اليابان ، يعرف روسيا يعرف أفريقيا هناك شخص يعرف جنوب شرقي آسيا ، و شخص ذهب إلى أستراليا ، وهناك رواد الفضاء الذين ذهبوا إلى القمر .

على كل دائرة المشاهدات إذا قيست بدائرة المسموعات تعتبر لا شيء ، فأنت سمعت بالمريخ و لكن لم تذهب إليه ، و سمعت بالمُشتَري و بنجم القطب ، و سمعت بالأسكا ؟ و سمعت بسيبيريا و بالقطب الشمالي ، و لكن دائرة المشاهدات إذا قيست بدائرة المسموعات تعتبر لا شيء ، أما دائرة الخواطر فقد يخطر ببالك جبل طوله من هنا إلى الشمس ، هذا خاطر ما دام الخاطر ليس له

واقع فالقضية سهلة ، قد يخطر ببالك إنسان إذا وقــف علـى الأرض اقترب من القمر ، طوله ثلاثمائة ألف كيلو متر ، هــذا ممكـن لأنـه خاطر .

فعندما حدثنا النبي عليه الصلاة والسلام عن ربه فــي الحديـث القدسي قال يقول رب العالمين : " أعددتُ لعبادي الصـالحين مـا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـر " ، هـذا معنـى الشكور ، نظير ثلاث وستين سنة عشتهم ، ذهب منهم خمسهم حتـى أصبحت مكلّفا ، يعني هذه السنوات المعدودة كل يوم خمس سـنوات كلما رأت عينك امرأة غضضت البصر عنها ، وكلما لاح لك مبلغ مـن شبهة قلت معاذ الله إني أخاف الله رب العالمين ، يعنـي مجموعـة صلوات مجموعة أيام صمتها ، مجموعة مواقف خفت فيها مـن الله عز وجل استحققت هذا العطاء الكبير . وربنا عز وجلّ قال :

وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾

سورة الإنسان

أحدهم قال لي كنت ببلد أجنبي ودعانا مدير الشركة إلى بيتـه ، ولكنه لم يكُن بيتاً بل كان مُلكاً كبيراً !!! فقد دخلنا في غابـة ظلـت السيارة تمشي فيها ربع ساعة ... هذه الغابة محيطة بقصره ، يحتاج المرء إلى مائة وسبعين متر . كي يأوي إليها ،فالغابـة مسـاحتها مئات الكيلو مترات ، و بالمنتصف قصر كبير حوله حديقة كبـيرة

عبارة عن غابة صنوبر ،إذا قارنا هذا المُلك بما اعده الله في الجنة للمتقين لوجدنا الآية السابقة تشير إلى أن الله عز وجل سمى ما أعد لهم في الجنة مُلكا كبيرا ، هذا معنى الشكور يعني شيء لا يقدَّر بثمن ، مقابل شيء قليل جدا قدمته من طاعات وعبادات،فنُلتَ به شيئا كثيرا !!!

والمعنى الثاني لاسم الشكور هو المعنى العددي ، يعني لا يمكن أن تقدم شيئا لله عز وجل إلا ويشكرُك عليه .

أعتقد أن أبا جهل ، جاء إلى النبي عليه الصلاة و السلام ، طرق بابه ، فتحت فاطمة الزهراء كانت بنتا صغيرة ، قال أين أبوك ، قالت ليس هنا فضربها بلا سبب فلما علم أبو سفيان أن أبا جهل أو أبا لهب ضرب هذه الفتاة الوديعة الصغيرة ولطمها على وجهها لأنها قالت أبي ليس في البيت ، ذهب إلى بيت النبي وأخذ فاطمة الصغيرة الزهراء و حملها على يده وتوجه إلى بيت أبي جهل و طرق الباب فلما فتح الباب ، قال لفاطمة : اضربيه كما ضربك ، أراد أن يثأر لكرامتها ، ولما علم النبي ذلك رفع يديه إلى السماء و قال اللهم لا تَنْسَها لأبي سفيان ، لا تنسها له ، والله عز وجل لم ينسها له ، مع أنه حارب النبي عشرين عاما ،ولكنه في النهاية أسلم ، ولما أسلم وكان النبي كريما معه وحليما ، قال يا ابن أخي : ما أحلمك وما أعقلك وما أوصلك وما أرحمك .

ورد في بعض الكتب أن ابا لهب حيما علم بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام أعتق جارية . فقال إن مما يخفف عنه العذاب يوم القيامة أنه أعتق هذه الجارية فرحا بميلاد النبي عليه الصلاة والسلام ، فكل شيء محفوظ حتى لو أنقذت نملة ، قال تعالى :

مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

سورة النساء

قد تخدم شخصا ، ولكنه لا يمكن أن يشكرك عليها إلا إذا علم بهذه الخدمة ؛ تزور مريضا ، تحمل هدية وتتوجه إليه ، في مدخل البيت أخذها منك ابنه ، ولم يبلغه ، تجلس أنت هل يعقل أن يشكرك هذا المريض بقوله : ، " شكرا " ؛لا طبعا لأنه لم يعرف ، كيف يشكر وهو لا يعلم ؟ ، لذلك فالآية السابقة تقول أن الله شاكرا لأنه عليم بما تفعلون لأنه أي عمل تفعله ابتغاء مرضاته، مهما بدا صغيرا ، لو أنقذت فراشة ، لو أنقذت نملة ، لو رحمت إنسانا ، لو ألقيت نظرة رحيمة على إنسان خائف ، لو طمأنت إنسانا ، لو أطعمت إنسانا ، كل شيء محفوظ عند الله، فكلمة شكور إما لحجم الشكر وإما لعدد مرات الشكر .

قال معنى الشكور باللغة : الشكر في الأصل الزيادة ، فلان شكير أي عياله صغار ، وشكير الشجر ما نبت في أصلها من القضبان

الصغار ، وناقة شكيرة وشكرى إذا كانت ممتلئة الضرع ، وشـــكرت الأرض إذا كثر النبات فيها ، ودابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطى من العلف ، وكل نبت يكتفي بالماء القليل فهو شكور ، هـذا ما ورد في كتب اللغة عن كلمة شكور .

والشكر في حق العباد له طريقان ، الحقيقة يمكن أن نضيف لـــه طريقا ثالثة ، شكر باللسان ، وشكر بالعمل ، ونقول لن يكون الشـــكر لا باللسان ولا بالعمل إلا إذا عرفت النعمة ، أساس الشكر المعرفـــة ، إذن أنت تعرف ثم تشكر ، ولن تشكر ما لم تعـــرف . يعنـــي مثـــلا شخص قدم لك بيت أو ووظّفك أو قدم لك شيئا ثمينا ، كنت واقعا في ورطة كبيرة فأنقذك منها ، ورأيت ابنه في الطريق ، إذا قدمت لـــهذا الصغير قطعة حلوى فهذه الحلوى في الحقيقة شكر لوالـــده ، فـــأنت عبَّرت عن امتنانك لأبيه بإكرام ابنه ، هذا بشكل مبسط .

لذلك المؤمـــن إذا أســـدى للعبـــاد خدمـــات ، إذا رحـــم العبـــاد و أكرمهم ، و طمأنـــهم ، و أطعمـــهم ، و أســـقاهم ، و كســـاهم ، و رحمهم ، حينما تسدي معروفا لمخلوق كائنا مـــن كـــان ، لقطـــة ، لجرو صغير ، حينما ترى حيوانا قد مرض تـــأخذه إلـــى مستشـــفى بيطري أو إلى طبيب بيطري ، إذا أردت الحقيقـــة هـــذا هـــو عيـــن الشكر ، لأنك تعبر عن شكرك لله عز وجل وعن امتنانك لـــه بخدمـــة مخلوقاته ، وإذا أردت أن تعرف سر العمل الصالح في الدنيا و لمـــاذا

مؤمن يعمل الأعمال الصالحة ، ليس لها تفسير إلا أنها تعبير عن شكر العبد لله عز وجل من خلال خدمة عباده ، إذا نصحت زبائنك نصحتهم نصيحة صادقة ، فهذا شكر منك لله ، إذا رحمت الناس ، إذا عطفت عليهم ، إذا أنصفتهم ، إذا خففت من مآسيهم ، إذا مسحت جراحهم ، إذا أزلت خوفهم ، إذا قدمت لهم المعونة ، إذا فعلت أي عمل صالح هو في الحقيقة تعبير عن امتنانك لله عز وجل من خلال عباده ومألوف عند الناس بشكل واضح جدا أن تكرم الأب من خلال إكرام الابن ، إذا رأيت رجلا تحبه معه ابنه يمكن الحد الأدنى أن ترحب بالابن، كيف أنت يا عم ؟ ما اسمك ؟ بأي صف ؟ وإذا معك قطعة سكر تعطيه إياها ، وإذا معك قلم ثمين ، وهذا الإنسان له فضل عليك تعطيه القلم ، هذا طبيعي جدا .

تريد شيئا يربح قلبك ، تريد لهذا الإنسان الذي أكرمك ، أن تعبر عن امتنانك له ، تلقى أمامك ابنه وتكرمه ، الله عز وجل غني عن العالمين ، يُطعِم ولا يُطعَم ، مستحيل أن تقدم هدية إلى الله ولكنك تستطيع أن تقدمها لعباده ، كل عباده ، حتى الكفار ، حتى الذين أنكروا وجوده هم عباده إذا أحسنت إليهم فهي عند الله محفوظة ، يعني أنت طبيب جاءك مريض والمريض تعرفه غير مؤمن بالله لا دين له ، فهذا عبد لله أمامك يجب أن تقدم له كل شيء كل ما في إمكانك لأنه عبد لله .

مثل آخر : حيوان ، حيوانٌ يحتاج أن يأكل ، والله لنـــا إخــوان حين يطعمون بعض الطيور يشعرون بلذة وسعادة ، يشترون ، شــيئا خاصا للطيور يضعونها على السطح فتنزل سبعمائة أو ثمانمائـــة من الطير وتأكل ، فيشعرون كأنهم هم الذين يــــأكلون شــعور بـــأن هؤلاء مخلوقات لله عز وجل ، والله عز وجل غامرك بفضله تحــب أن تعبر عن شكرك لله من خلال خدمة هذه المخلوقات ، فلذلك المؤمـــن وهو يقود مركبته يحرص حرصا كبيرا على ألا يدهس بها مخلوقــا ، يجوز لو دهس غنم لقطع أصحابها عنقه ، يقطعــون لـــه الطريـــق ، ثمنها ثمانية آلاف تعال إلى هنــــا . لكـــن إذا دهـــس كلبـــا لا أحـــد يحاسبه ، ترى في الطرقات منها آلاف مئات مدهوسة ، أما المؤمـــن يعرف أن هذا الكلب حتى لو لم يكن له صاحب ، ولو لم يكـــن هنـــاك من يطلب منه مبلغا كبيرا ثمناً له فالله هو ربــــه ، لذلــك المؤمـــن يحرص حرصا بالغا على أن لا يدهس حيوانا وإذا وقع منه من غـــير قصد يبادر إلى دفع صدقة فلعل الله سبحانه وتعالى يعفو عنه .

هذا هو الشكر ، فالشكر بالأفعال أن تعمل عملا صالحا مـــع كـــل مخلوق وأنا أؤكد لكم أن تخدم المسلمين فقط أو أن تخدم المؤمنيـــن أرقى أو أن تخدم إخوانك فقط أبناء جامعك هذه نظرة ضيقة جدا جـــدا جدا ولا تُرضي الله... يجب أن تخدم الخلق عامة .

حدثني أخ قال : رجل منعَّم يركب سيارته الفخمـــة يمشـــي فـــي

طريق بين مدينة ومدينة رأى شابا راكبا دراجة جنزيرها مقطوع والرجل له مكانته التجارية و الإجتماعية ، وسيارته فخمة ثمنها عشرات الملايين ، وقف وأصلح له الدراجة ، فكان هذا العمل سبب إسلامه وإيمانه أصبح من أخلص إخوانه لأنه أصلح له الدراجة .

هذا هو الشكر الإسلام نظرته أممية ، ليس عنده نظرة ضيقة ، هذا مسلم هذا غير مسلم ، هذا مؤمن هذا غير مؤمن ، هذا من إخواننا هذا من جماعتنا ، هذه كلها عنعنة جاهلية ، إذا كنت فعلا تعرف الله فهؤلاء عبيده .

و الله الذي لا إله إلا هو ما من مخلوق ترحمه إلا شكر الله لك.. قال بغي والبغي معروفة رأت كلبا يأكل الثرى من العطش فسقته فشكر الله لها وغفر لها و الحديث الشريف يقول :

" عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : بينا رجل يمشي فاشتد عليه العطش فنزل بئرا فشرب منها ثم خرج فإذا هو بكلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ هذا مثل الذي بلغ بي فملأ خُفَّه ثم أمسكه بفيه ثم رقي فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا يا رسول الله وإن لنا في البهائم أجراً؟ قال في كل كبد رطبة أجر "صحيح البخاري

مرة رأيت مزرعة قرب يعفور فيها سمك ، صادوا السمكات وأرادوا فورا أن ينظفوها ، بحجة استغراقها وقتا طويلا لتموت ، ما

المانع انتظر ولا تعذب مخلوقا ، انتظر حتى تموت ، يريـد أن يفتـح بطن السمكة وهي حية !!! أشاهد أحيانا بائع دجاج يذبح الفَـروُج ينزله بماء يغلي ، قبل أن يموت ، قال تعالى :

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَـٰهَا لَكُم مِّن شَعَـٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَـٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

سورة الحج

لماذا الدين ضروري ، هذا مخلوق ، قدم جسمه لك ؟ فوق هـذا المعروف تحرقه بالماء المغلي ، بعد أن تذبحـه وقبـل أن يمـوت ل اتضعه في البرميل الذي يغلي غليانا ، والله كبير ، قال :

عن شداد بن أوس أن النبي صلى الله عليه وسلم قـال : إن الله كتب الإحسان على كل شيء فإذا قتلتم فأحسنوا القتلـة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة ولْيُحدِ أحدكم شفرته ولْيُرِح ذبيحته " صحيـح مسـلم هذا هو الشكر ..

أن تعرف الله عز وجل و ترى فضله عليك ، أحيانا أقـرأ هـذه الآية :

وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

سورة النساء

والله أقرأها عشرات المرات لا أشبع منها : " وكـان فضـل الله

عليك عظيما

أوجدك من عدم ، عمرك ثلاثين سنة ، افتح كتابا مطبوعا سنة الثمانية والخمسين. أثناء صف الحروف ين كنت أنت ؟ أكان لك وجود ؟ أكان لك ذكر ؟ أكان لك حجم ؟ أكان لك اهمية ؟ لم تكن موجودا كلك ، قال تعالى :

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾

سورة الإنسان

أنعم الله عليك بنعمة الوجود ، أعطاك صورة قال تعالى

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾

سورة غافر

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ

سورة البلد

يقولون إن بشَّار بن برد خيَّط ثوبا عند خياط أعور ، لبس الثوب تضايق منه لا قصير ولا طويل ، قال له والله لأهجونك ببيت لا تعرفه مدحا أم ذما فقال :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سواء

قباء ثوب ، ليت عينيه مثل بعضهما بعضا ، فيا ترى هذا مدح أم

ذم ، أم تكون مدحا ويصح أن يكون ذما ، عينان ، و بالعينين تـرى البعد الثالث ، بعين واحدة حاول تدخل الخيط في ثقب إبرة صدق يأتي الخيط بعيدا عن الإبرة عشرة سنتمر بالعينين تلقى البعـد الثـالث ، بالعينين العملية دقيقة جدا ، مرتكز خيال العينين فيه انـزلاق بسـيط جدا ، هذا الانزلاق يعطيك البعد الثالث .

و العينان يجعلان الشكل جميلا ، النبي الكريم كلما رأى وجهـه في المرآة يقول : عن ابن مسعود أن رسـول الله صلـى الله عليـه وسلم كان يقول : اللهم كما أحسنت خَلقي فأحسن خُلُقي "

أعطاك صورة أعطاك عقلا أعطاك قلبا ورئتين .

شكا لي رجل بعض همومه فقلت له : أتحتاج لصمـام لقلبـك ؟ قال لا ، قلت له أتحتاج أن تغسل كلاويك كل أسبوع ؟ قال لا ، قلـت أنت في نعمة عظيمة .

الذي ليس مضطرا أن يضع صماما ويعمل عملية قسـطرة فـي لندن ويدفع مليون ليرة ، وليس مضطرا أن يغسل كلاويه كل أسـبوع مرتين ويترقب الآلة هل تعطلت أولم تتعطل ، وليس مضطرا أن يحمل غائطه بيده ، وليس مضطرا ، وليس مضطرا ... ، يجب أن يسـجد لله ويقبّل الأرض ويشكر الله عز وجل .

إن العبد إذا أطاع ربه ثم إن الرب تعالى أعطاه الجزاء الأوفـى

كان ذلك شكرا للعبد . كيف آية الجزاء الأوفى ؟ الجـــزاء الأوفـــى ، يعني لك عندي شيء ؟ ألم تـــأخذ كـــل حقـــك ؟ هـــذا معنـــى أن الله الشكور .

و الشكر المفسر بالثناء ، يعني إذا عملت عملا طيبا لك الجنـــــة أنفقت من مالك لك جنة عرضها الســـماوات والأرض ، أنفقـــت مـــن وقتك أنفقت من خبرتك من علمـــك ، عـــاونت ، أخلصـــت ، أتقنـــت عملك ، ونصحت المسلمين ، يعني الحد الأدنى ، أن تكون لك مهنـــة تتقنها ، وتأخذ من الناس سعرا معتدلا ، الحد الأدنى لشكرك لله عـــز وجل هو أن تنفع المسلمين .

إذا اشتريت قماشا رديئا ، خيطته قمصانا أخـــذت ثمنـــه مائـــة وخمسين ليرة ، لبسه من اشتراه مرتين ،ثم بحركة صار قطعتيـــن ، فأنت مُؤذٍ ! .

اشترى أحدهم طقم جلوس ، وضعه فـــي غرفـــة الضيـــوف أول سهرة جلسوا عليه انكسر ، فذهب إلى البائع قال له الطقم انكســـر ، قال له : هل جلستم عليه ؟

من غش المسلمين وغش الناس يكون مسيئا ، الحد الأدنـــى أن تتقن عملك وتأخذ سعرا معتدلا قدمت خدمة للمســـلمين ، صنعـــت شيئا .

أحدهم اشترى جرابات صوف ثمن الزوج ستين سبعين ، على ثلاث لبسات تقطعت ما السر ؟ قال خيط براتو هذا شراطيط من إيطاليا يعالجونها ويصنعون منها غزلا ، هذا الخيط غير جيد غير صالح للإرتداء وجد جرابات سميكة وألوانها جميلة يدفع ثمنها ستين لبسها ثلاث مرات انتهت ، الذي يغش خلق الله يريد الله أن يعاقبه ، لِمَ تضحك عليهم و تبتز أموالهم ؟ رجل فقير معاشه محدود ، إدخر واشترى هذه البذلة أول غسلة صارت البطانة بجهة وهي بجهة وزُمّت .

فالحد الأدنى أن تتقن عملك ، وأن تأخذ سعرا معتدلا ، والحد الأعلى حدّث ولا حرج ، تطعم الطعام ، تعين الضعيف :يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : " ليس كل مُصلٍّ يُصلي إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وكف شهواته عن محارمي ، ولم يُصر على معصيتي ، وأطعم الجائع وكسا العريان ورحم المصاب وآوى الغريب ، كُلُّ ذلك لي " .

حدثني أخ قال القصة قديمة أثناء أحداث لبنان قال جئت من الهامة رأيت رجلا واقفا في دمر في أيام البرد الشديد حاملا طفلا صغيرا يلفه بسترته ، و بجانبه امرأة ، قال لأوصلنهما فالآن الساعة الثانية عشر ليلا ، وإذ الطفل حرارته واحدة وأربعون درجة وهما أبواه أتيا من لبنان أثناء أحداث لبنان، سكنا في بيت في دمر ولا

يعرفان أحدا في الشام ، قال أركبتهم بالسيارة أخذتـــهم إلـــى طبيـــب مناوب عالج الصغير أخذنا الدواء من صيدلية مناوبـــة، ذهبنـــا إلـــى مستشفى أعطي إبرة للطفل قال ، انتهينا الساعة الرابعة صباحا ، قال والله من الساعة الثانية عشر وحتى الساعة الرابعة ، قـــال : بقيـــت أسبوعين أو ثلاث مغمورا بسعادة لا توصـــف .. شـــخص ملـــهوف غريب ابنه مريض ، وقفت له أخذته إلى الطبيب ، و ساعدته .

و الله نحن نريد السعادة ، السعادة بين يديك ، إذا أردت أن تسعد فأسعد الآخرين ، كل واحد منا يذوق لذة الأخذ ، هو يقبـــض المـــال يعده يرتبه حسب الصور ، على الأرقام ، يريدها جديدة مثلا ، ولكـــن ما أحد ذاق لذة العطاء ، العطاء له لذة أكثر ، العطاء تمســـح جـــراح أسرة ، شخص لهفان تحل له مشكلته ، بلا مأوى أمنت له بيت ، بـــلا زوجة زوجته مريضا دللته على طبيب مخلـــص لا يغشـــه ، لا يبـــتز أمواله ، له قضية بالقضاء دللته على محام صادق لا يغشـــه ويـــأخذ من خصمه أيضا و يقدم مذكرات ضعيفة لا تعرف ما هي الســـعادة إلا إذا خدمت الناس .

مرة سمعت شخص يتهجد ، يقول : يـــا رب لا يحلـــو الليـــل إلا بالتهجد لك ، و لا يحلو النهار إلا بخدمة عبادك .

على الإنسان أن يزور مريضا أن يعاون فلانا يقول صلوات ربـــي وسلامه عليه:" مَن مشي مع أخ في حاجته حتى يقضيها لـــه كـــان

خيرا له من اعتكافه شهر في مسجدي هذا " . هذاالحديث الشريف لا أشبع منه .

الشكر الثاني : أيها الإخوة أن تثني على الله : يا رب أنت اللطيف ، أنت الرحيم ، أنت القوي ، أنت الغني ، أنت الرؤوف ، يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة ، يا غفار الذنوب ، يا ستار العيوب ، أنت الذي تعطي ولا تسأل ، تحلم ولا تعجل .

لسانك ينطلق لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله ، يعني إذا أثنيت على الله ، هذا شكر أيضا .

يا ربي لقد خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فإغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فإعف عني ، اللهم إني أسألك موجبات رحمتك

يعني أن ينطلق لسانك بذكر الله بالثناء عليه ، يا رحمن الدنيا والآخرة أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السماوات والأرض وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ؟ أعوذ بك من أن تُنزل بي سخطك أو أن يحل بي غضبك ، لك العُتبى حتى ترضى لكن عافيتك هي أوسع لي .

فالشكر قد يكون باللسان ، و قد يكون بالفعل ، خدمت حيوانـــا ، أنقذت حيوانا ، خدمت إنسانا ، وأقول لكم مرة ثانية هذا الذي يُقصـــر عمله الصالح على أسرته محدود ، وعلى أبناء حيه محدود ، وعلـــى إخوان جامعه فقط ، ويسيء للآخرين ، هذا أفقه ضيق جدا ، وهذا ما تدبَّر قوله تعالى :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ

سورة الحجرات

أنا أقول لكم مؤمن من غير جامعك مـــن غـــير جمـــاعتك تـــراه مستقيما تراه محبا لله إن لم تحبه فلست مؤمنا ، إن تعمق انتمـــاءك فقط لجماعتك فأنت طائفي ، أنت عنصري محدود الأفـــق ، يجـــب أن تنطلق إلى الناس جميعا هذا هو المؤمن .. فالدعوة عامة ..

عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي أنه سمع العرباض بن سارية قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظـــة ذرفـــت منـــها العيون ووجلت منها القلوب قلنا يا رسول الله إن هذه لموعظة مـــودّع فماذا تعهد إلينا قال قد تركتكم على المَحَجَّة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك ....

الإسلام للناس جميعا ، يجب أن تعمل تحت ضوء الشـــمس ، لا يوجد شيء مغطى في الإسلام ، كل شيء واضح ، خالق الكون هـــذا كتابه وهذا منهجه وهـــذه ســـنة نبيه ، فأنا ألح عليكم ألا يقتصـــو

عملكم الطيب على من يلوذ بكم من إخوانكم أو من أبناء مسجدكم ، لا .. بل للناس كافة ، ولا تدري في أية لحظة يشرق في نفس هذا الإنسان الذي أسديت إليه الجميل هذا الإيمان <u>لعل الله عز وجل يَهدي بك وأنت لا تدري .</u>

مثلا أبو حنيفة النعمان له جار مُغَنٍّي تارك للصلاة شارب للخمر لا ينيمه الليل طول الليل يغني :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وطعان خلس

مرة لم يسمع أبو حنيفة غناء في البيت ، معناها المُغني لديه مشكلة ! تفقده وجده في السجن لقضية يبدو لقضية تموينية ، فذهب إلى مدير السجن وشفع له ، مدير السجن لم يصدق ، وجد الإمام الأعظم عنده في المكتب ، فأطلق - إكراما له - كل من ألقي القبض عليهم في هذه الليلة ، وفي طريق العودة للدار، قال له الإمام أبو حنيفة : يا فتى هل أضعناك ، أو .. نسيناك ؟ فكان هذا المعروف سبب توبته !!!! .

فاجتهادك وبطولتك ليس مع واحد مؤمن ، المؤمن سَوِيٌّ مثلك ، تقعد مع واحد مؤمن فتقول أخي والله كم أثرت فيه هو متأثر ، قبل أن تؤثر فيه ، إذا كنت بطلا تقنع إنسانا تارك صلاة ، تقنع إنسانا عنده شكوك بالله عز وجل ، هنا البطولة ، أن تُدخل على المجتمع المؤمن عنصرا جديدا ، ليس أن تقعد مع مؤمن ناضج فهيم ورع

نقي وتحدثه عن الله ،ثم تقول: والله بكى ، طبعا سيبكي ، لأنه مثلك أنت لم تفعل شيئا ، أما عندما تجلس مع عدو للدين عنده شبهات لا يعبأ بالعلماء لا يعبأ بالدين تقنعه تحلم عليه تعطيه الأدلة القطعية ، يرى منك خُلقا حسنا ، على مدة شهر وشهرين أو ثلاثة يقترب من الدين ، بعد ذلك يصلي ثم يتوب ، يقول لك خذني معك إلى المسجد ، تراه جالسا معك في المسجد ، هذه البطولة ليس البطولة أن تفسد الناس على شيوخها ، ولا الشيوخ على تلاميذها بل أنت مهمتك أن تُحدث عنصرا جديدا في المؤمنين،و البطولة على قدر المشقة .

مرة قلت لكم كلمة قالها رجل له دعوة إلى الله عز وجل ، قال لتلميذه : يا بني الجَيِّد لا يحتاجك ، بل يحتاجك السيء ، فالفهيم والشاطر والمتفوق والورع والتقي والنقي ، إذا حكيت له عن الله فأبكيته ماذا فعلت ؟ عنده مشاعر عنده عواطف صادقة فلما ذكرته تأثر أما إذا كنت تستطيع أن تجلس مع البعيدين مع المُنكرين مع المتشككين تعطيهم علمك وأدلتك وحجتك ، وتزيل عنهم كل الشبهات تأخذ بيدهم درجة درجة ، مرحلة مرحلة ، تعطيهم ، وتُعينهم ، تكرمهم ، حتى يحبوك ، حتى تنقل الإنسان من الشقاء إلى السعادة هذا العمل الطيب ، و لكن حذار من أن يحروك إلى الضلالة ، فاحترس .

فإذا أحسنت للعباد يحسن الله إليك ،كما يقول تعالى:

﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾

سورة الرحمن

فإذا أثنيت على الله عز وجل الله يقابلك بأن يَحمل الناس على أن يثنوا عليك ، فسمعتك طيبة عطرة ، أينما ذهبت وغادرت يقال : ماشاء الله ، رجل صادق ، رجل صالح ، رجل محسن رجل كريم ، هذه السمعة الطيبة رأسمال كبير جدا ، ومن أعظم إكرام الله لك أن يُلقي حبك في قلوب الناس ،و أن يُلقي هيبتك في نفوس الناس ، أن يحمل الناس على الثناء الحسن عليك .

و الإمام الغزالي له كلمة ، قال : " إذا كان الذي أخذ فأثنَى شكورا فالذي أعطى و أثنى (و هو الله سبحانه.) أولى أن يكون شكورا " .

الذي قبض القبضة قال شكرا ، والذي أعطاك ، وبعد أن أعطاك وسمع ثناءك أثنى عليك ، أيهما أحق أن يكون شكورا أكثر ؟؟؟ الله سبحانه وتعالى ، لأن الذي أعطى وأثنى يكون قد شكر مرتين ، مرة أكرمه بعطاء مادي ، ومرةِ أثنى عليه عند الخلق .

لذلك ورد حديث قدسي في البخاري : يقول الله عز و جل : " ما ذَكَرني عبدي في نفسه إلا ذكرتُه في نفسي ، ولا ذكرني عبدي في ملأ من خلقي إلا ذكرته في ملأ

خير منه " .

!! " أي أنك إذا تكلمت بين خمسة طلاب أو ستة والله عز وجل جعل ذكرك بين ثلاثة مئة رجل وجاءت سيرتك فقام أحدهم وتكلم عنك كلاما ،فتعطَّر المجلس بذكرك ،لأن الله شكور، أنت أثنيت على الله أمام خمسة أشخاص من عامة الناس ، الله عز وجل أثنى عليك أمام علِية القوم ،

هذا هو الشكور ، إن عملت يعاملك بالإحسان فهو شكور ، وإن تحدثت عن الله عز وجل يعاملك بالعرفان فهو شكور .

الشكر يتوجه لمن ؟ إما إلى الخالق وإما إلى المخلوق ، الآن شكر الخالق مستحيل ، لماذا ؟ قال لأن شكر النعمة مشروط بمعرفة هذه النعمة ، و ما دامت معرفة النعمة مستحيلة فالشكر مستحيل ، و الدليل :

وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٨﴾

سورة النحل

أعرف قريبا لي طالب طب في الصف الرابع ، صحته جيدة جدا ووجه نضر ، أصابه فقر بالدم ، غذاؤه درجة أولى ، تنقل من طبيب إلى طبيب بقي ستة شهور ، بعد ذلك قال له طبيب لعل الطحال له مشكلة ، فأخذوا عينة منه

وفحصوه ، ماذا في الطحال ، الطحال هو في الأصل مقبرة لكريات الدم الحمراء ، فصار هذا الطحال يأخذ كرية حمراء حية يميتها حتى يضعها في المقبرة عنده ، مثل مقبرة بنيناها حديثا و لا يوجد موتى تعال إلى هنا اقتلوه و ادفنوه ، نريد أن نستخدمها كلها قبور فارغة هذا الطحال عبارة عن نصف أوقية لحمة ، مهمته معمل كريات دم حمراء ، مستودع للدم و مقبرة للكريات الحمراء ، اختل توازنه قليلا صار يأخذ كريات حية و يدمرها ليحللها و يأخذها إلى الكبد و الدم فتوفي قريبي . ما مرضه ؟ نشاط في الطحال زائد هذا فقط هو مرضه ، خلل في أحد الأعضاء التي أنعم الله تعالى عليه بها !!! .

فأنت كم نعمة عندك ، إذا أردت أن تعمل إحصاء الطحال و الكلية و الكظر و مركز التوازن ، مركز توازن السوائل ، و كم من مراكز عندك في جسمك .

ما دام يستحيل عليك أن تعرف نعمة الله كما هي إذن يستحيل أن تشكر الله حق الشكر ، لهذا ماذا قال النبي : سبحانك لا نُحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيت على نفسك . ، هذه واحدة .

الثانية : الشكر نعمة من الله ، فأنت تشكر على نعمة ، كما أن الشكر نفسه نعمة ،لأنه هو الذي يوفِّقك لهذا الشكر ، و لو لا توفيقه

لما شكرته ، ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم : " اللهم أعني على ذكرك و شكرك و حسن عبادتك " ؟؟!! هذا النبي المعصوم فما بالك بنا نحن ؟!!!

فأنت في نعَم ،جليلة،لذلك قال أحد الصالحين:" يا رب كيف أشكرك وشكرك لا يَتِمُّ إلا بنعمة منك جديدة ؟ " ،" يا رب كيف أشكرك وشُكري لك يحتاج إلى شُكر؟!! " ، إذن أنت مفتقر إلى أن تكون شاكرا لله عز وجل .

هناك نقطة دقيقة : إن رؤية النعمة تُعدُّ نعمة في حد ذاتها ، الله عز وجل يعطيك مع استغنائه عنك ، لكنك تشكره مع افتقارك إليه وشتّان بين هذا وذاك ، وهناك أدلة كثيرة على أنه يستحيل أن تشكر الله كما ينبغي ، لكن أخذ القليل خير من ترك الكثير ، مستحيل أن تشكر الله كما ينبغي لذلك قل :

" يا رب لا أُحصي ثناءً عليك أنتَ كما أثنيتَ على نفسك، يا رب ليس في قدرتي أن أشكرك كما ينبغي لكن أشكرك بقدر ما أعلم وبقدر ما أستطيع .

آخر شيء بالموضوع ؛ إذا أسدى مخلوق إليك نعمة لمن الشكر ؟ لله فقط ؟ لأن هذا المخلوق الذي أكرمك من خلقه ؟ الله عز وجل ، هو من أعطاه قوة وحياة ؟ الله عز و جل هو من سمح له ، فإذا أعطاك مثلا طعاما ، من خلق الطعام ؟ الله عز وجل ، أعطاك

مالا هذا المال قيمته بقيمة مشترياته ، من خلــق النعــم ؟ الله عــز وجل ، أعطاك طعاما كيف تأكل الطعام أنت ، تحتاج إلى أجـهزة ، إذن الذي خلق المُنعِم البشر هو الله ، و الذي ألهمه هو الله ، والذي مكَّنه هو الله والذي خلق النعمة التي هــي موضــوع عطــائك هــو الله ، والذي مكَّنك من أن تستفيد من هذه النعمة هو الله ، إذن الشــكر لله عز وجل ... ومع كل هذا فمن فضل الله تعالى أن يقول كما جاء فــي الحديث الشريف : " مَن لم يشــكُر النــاس لــم يشــكُر الله " !!!! ، لأن هذا المخلوق مُخيَّر ، إذن فهو يستحق أن تشكره بعد الله عــز وجل ، فالشكر لا تقل الفضل لله و فلان ، بل قُل : " الفضل لله ثــم لفلان " .

هذه ضرورية جدا ، الحمد لله على هذه النعمة التي أنعم الله بها علي ثم الشكر لفلان الذي جاءتني عن طريقه .

لو فرضنا جاءك معروف من جماد ، رجل مــــاش فــي طريــق و فوقه شُرفة من إسمنت فوقع حجر من آخر البناية عليـــه ، هــذه الشُرفة تلقت الحجر ، لولا هذه الشرفة لهلك ، فهو يريــد أن يشــكر الشرفة ، الله يجزيكي الخير لأنك في هذا المكان ، هذه شُرفة جــامدة لا تعقل ، إذا جاءك خير من جماد أو من حيوان أو من مخلوق غــير مكلَّف فالشكر لله فقط ، أما إذا جاءك خير من مخلوق مُكلَّف مخــيَّر ، ثم فلتَكِط ما دخله الله هو الذي سخره لي " ... هذا منتــهى الوقاحــة

ومنتهى الجحود ، فإذا جاءك الخير من إنسان مكلّف يجب أن تشكر الله لأنه خلقه ، وألهمه ، وسمح له ، ومكّنه ، وخلق النعمة التي بين يديه وجعلك تنتفع بها ، كله لله لكن ما دام مخيّرا وقدم لك هذه النعمة باختياره إذن نُزجي له الشكر ثانيا بعد الله عز وجل .

و الآن موضوع لطيف ؛ موازنة بين نعمة أسداها الله إليك ونعمة أسداها إنسان إليك ، أول شيء إن إنعام البشر به نقص ، لأنك ربما إحتجت إلى شيء ولا يعطيك إياه لأنه محتاج إليه ، مرة كنت في الحج احتجت إلى ليتر ماء ، فسألت حاجًّا قال : " والله يلزمني الماء " معه حق يلزمه فأنت قد تطلب من إنسان شيئا هو بحاجة إليه ، وأنت بالمطار تريد أن تكتب بطاقة ولا يوجد معك قلم ، تقول إذا سمحت أريد قلما يقول لك أحتاجه فأنت إذا طلبت من إنسان حاجة قد يكون هو محتاج إليها فلا تأخذها منه أما إذا سألت الله عز وجل ، فهو الذي يُحتاجُ إليه و لا يَحتاج . هذا أول فرق .

الفرق الآخر و الأهم هو أن فلان من الممكن أن يعطيك و لكن فلانا ليس معك الآن أنت مسافر وهو بالشام وعطاؤه مستحيل لبعد المسافة بينكما أما الله عز وجل ، فهو معك دائما !!!

النقطة الثالثة ؛ أنك إذا قصّرت مع البشر يقطع عنك فورا ،

وأحيانا دون أن تقصر معه يقول لك : " اللحم الذي على أكتافك من خيري " بينما يقول الله تعالى في الحديث القدسي " : عبدي لي عليك فريضة ولك علي رزق فإن خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك " !!!!

آخر شيء بالموضوع ؛ الشكور الذي إذا أعطى أجزل وإذا أُطيع بالقليل قبِل ؛وهو الذي يقبل القليل ويعطي الجزيل ، وهو الذي يقبل اليسير من الطاعات ويعطي الكثير من الدرجات ، وقيل : " حقيقة الشكر : الغيبة عن شهود النعمة بشهود المُنعم " أي تنشغل عن النعمة بذكر المُنعم .

الدول البعيدة العلمانية ماذا ترى بعينيها ؟ النعمة فقط ، ولا ترى إلا كل شيء ثمين بينما المؤمن ماذا يرى ؟ يرى المنعم ، ملخص الدرس كله ، أنك إذا استطعت أن تتجاوز النعمة إلى المنعم فأنت شكور.

فهذا الشكر يا إخوان ونحن بأمس الحاجة لهذا الدرس

و الحمد لله رب العالمين

*****

العزيز

العزيز

أيها الأخوة الأكارم : الاسم اليوم اسم العزيز ، وهـــذا الاســم كثيرا ما يرد في نهاية الآيات وهو العزيز الحكيم ، وقد كنت بينت لكم من قبله أن الإيمان بوجود الله لا يكفي ، فيجب أن تؤمن بوجـــوده ، ويجب أن تؤمن بوحدانيته : وحدانيته في ذاته وفـــي صفاتـــه وفـــي أفعاله ، ويجب أن تؤمن بكماله ومن الإيمان بكماله أن تتعرف إلـــى أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى .

إذن أن يجول فكرك أو أن تستمع إلى حديــث عــن أســماء الله الحسنى هذا جزء أساسي جدا من الإيمان ، فأنت مثلا إذا تعرفت إلــى إنسان رأيته أمامك موجودا فهل عرفته ؟ سألته عن اسمه قـــال لـــك اسمه . هل عرفته ؟ لا تعرفه إلا إذا وقفت على شمائله وعلى صفاتـه وعلى أخلاقه وعلى علمه وعلى ذكائه و على إنجازاته ، فـــلا تكـــون معرفة الله صحيحة ولا تامة إلا إذا عرفت أسماءه ، هـــذه المقدمـــة أسوقها من أجل أن تتأكدوا من قول النبي عليه الصلاة والسلام :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلـــى الله عليـــه وسلم قال : إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا مـــن أحصاهـــا دخل الجنة

صحيح البخاري

و معنى إحصائها إذا عرفتها و عرفت مضامينها ، عرفــــت مـا ينبغي أن تفهمها وما تدل عليه ، عرفت ما ينبغي أن تكون أنت عليــه من وحيها ، عرفت أبعادها ، ودرسنا اليوم عن اسم العزيز .

ورد هذا الاسم في آيات كثيرة ...من هـــذه الآيــات ، قـــال الله تعالى على لسان سيدنا عيسى :

إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ



سورة المائدة

لو أن الإنسان نسي كيف يتم الآية و قال : إن تغفر لــــهم فــإنك أنت الغفور الرحيم ، تتناسب هكذا ولكن الآية " وإن تغفر لهم فــإنك العزيز الحكيم " ، لأن الإنسان مهما علا شأنه ، إذا أراد أن يغفر لأحد زلته ربما حوسب ، ربما سئل لماذا عفوت عن فــــلان ؟ لمـــاذا لـــم تكلفه ؟ لماذا تساهلت معه ؟ لكن الله سبحانه وتعالى إذا غفـــر فـــهو العزيز ... هذه الآية الأولى ، آية أخرى :

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سورة الجاثية

آية ثالثة:

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سورة المنافق

وآية رابعة:

سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾

سورة الصافات

آية خامسة : حينما قال الشيطان:

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

سورة ص

اسم العزيز ورد في آيات كثيرة جدا ، اخترت لكم من بين الآيات الكثيرة هذه الآيات .

الآن ما معنى هذا الاسم من حيث اللغة ؟

المعنى الأول : العزيز الذي لا مثيل له ، ولا مُشابه له ، ولا نظير له ، من فِعل عزّ يَعِزُّ ، تقول : عزّ الطعام أي أصبح قليلا أصبح نادرا ، عز هذا الاختصاص ؛ اختصاص عزيز : أي نادر ، خبرة عزيزة أي نادرة ، معنى عزّ يَعِزُّ أي ندر وجوده أو لا مثيل له ولا مشابه له ولا نظير له ، اسم العزيز بهذا المعنى من أسماء التَنْزيه ،

الأسماء مصنفة: فهناك اسم تنزيهي وهناك اسم ذات وهنـــاك اســم صفات وهناك اسم أفعال . فأسماء الله الحسنى إما أن تكون أسـماء لذاته جل جلاله، وإما أن تكون أسماء لصفاته وإما أن تكون أســـماء لأفعاله . فعزَّ يعِزُّ أي نَدَر يندُر .

بشكل أوسع : العزيز الذي لا مثيل له و لا ند له و لا نظير لـــه . إذا كان الشئ نادرا قليل الوجود ليس متوافرا مـــع إمكـــان توافــره نسميه عزيزا ، فكيف بالذي يستحيل على العقل أن يصـــدق أن لـــه نظيرا ، إذن ، الله سبحانه وتعالى لا مثيل له ولا ند له ولا مشابه لـــه إذن هو عزيز وهذا المعنى الأول .

المعنى الثاني : العزيز هو الغالب الذي لا يُغلَــب ، الإنســان إذا غُلِب فهو ليس عزيزا بل يصبح ذليلا وقد يبالِغ المنتصر بإذلاله ، قد يجري بعض التصرفات ليبالغ بإذلاله ، فالغالب الذي لا يُغلب يســـمى عزيزا، والعرب تقول من أمثلتها : من عَزَّ بَزّ ، أي من عـــز : مـــن انتصر أخذ ما راق له . وعزّني في الخطاب أي غلَبني في الخطـــاب ، كما جاء في الآية الكريمة : " إنَّ هذا أخي لهُ تِسعٌ وتســـعون نَعجَـــةً ولِيَ نعجةٌ واحدةٌ فقال : أكفِلْنيـــها وعزّنـــي فـــي الخطـــاب " ، أي غلبني . فالقاهر الذي انتصر وقد يغلِب فيسمّى عزيزا، فكيف بالقـــاهر الذي لا يمكن أن يُغلَب ؟!!!من باب أولى فالله سبحانه عزيز بـــالمعنى الثاني ، والدليل :

﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾﴾

سورة يوسف

يقول الله تعالى في الحديث القدسي : " أنت تريد وأنا أريد فإذا سلَّمت لي فيما أريد كفيتُك ما تريد وإن لم تسلم لي في ما أريد أتعبتُك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " ، قال تعالى " واللهُ غالبٌ على أمره ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون " ، لو علم الناس أن الله غالب على أمره لأطاعوه ولاتكلوا عليه ولأقبلوا عليه ولتركوا سواه .

المعنى الثالث : المعنى الثالث القوي الشديد ، العزيز هو القوي الشديد ، من : عزَّ يعز قوِيَ يقوى ، والآية الكريمة :

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

سورة يس

يقول : لك التعزيز ، بعد أن تلقي الدرس تعزِّزه بالتدريبات ، مرحلة التعزيز أي ترسيخ المعلومات و تمكينها ... هذا المعنى الثالث .

المعنى الأول للعزيز : الذي لا مثيل له و لا ند له و لا مشابه له هذا من أسماء التنزيه ، المعنى الثاني الغالب الذي لا يُغلب هذا من أسماء الصفات ، و المعنى الثالث القوي الشديد هذا من أسماء الصفات أيضا ، فالقادر الذي قد يضعُف يُسمَّى عند الناس عزيزا ،

فكيف بالقادر الذي يستحيل أن يضعف ؟؟؟!!!! من بـــــاب أولـــى ، ان يسمى الله سبحانه وتعالى عزيز .

الآن يوجد معنى رابع دقيق جدا وربما كان المؤمنون في أمس الحاجة لفهم هذا المعنى ، و هو : العزيز بمعنى المُعِز ، كأن تقول : الأليم بمعنى المؤلم ... فالعزيز بمعنى المُعِز هذه من صفات الأفعال . تأمل معي هذه الآية :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ



سورة آل عمران

آخر ملوك الأندلس عندما غادر الأندلس بكى ، فقالت له أمه عائشة : إبكِ مثل النساء مُلكا مُضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال ، فما قيمة الإنسان إذا تخلى الله عنه ؟

قال تعالى : " أَلَم تَرَ أن اللهَ يسجدُ له مَن في السماوات ومَـــــن في الأرض،والشمسُ و القمرُ و النجـــــومُ و الجبـــالُ ، و الشـــجرُ و الدوابُّ # وكثيرٌ منَ النَّاس # وكثيرٌ حَقَّ عليهِ العذاب #و مَـــن يُهِنِ اللهُ فما لهُ مِن مُكرِمٍ # إنَّ اللهَ يفعلُ ما يشاء " (الحج-١٨)

جزء كبير جدا من حياتك متعلق بكرامتك ، فإذا كنت مع العزيز أعزك الله :

إجعل لربِّكَ كُلَّ عزِّك يستقر ويثبُت

فإذا اعتزَزْتَ بمن يموتُ فإنَّ عِزَّك ميِّت

هذه هي المعاني اللغوية لكلمة عزيز أو لاسم الله العزيز ، لكن هناك تعريف أدق وأجمل : العزيز الذي يقِلُّ وجوده وتشتد الحاجة إليه ويصعُب الوصول إليه في وقت واحد ، قد يقل وجود شيء ما ولكن لا تشتد الحاجة إليه ، يوجد معدن نادر جدا ،ومع أنه نادر فإنه قليل الوجود،فإذا لم نكُن بحاجة ماسة إليه ، عندئذ لا يسمى هذا المعدن عزيزا ، العزيز يجب أن تتوافر فيه صفات ثلاث : أن يقل وجود مثله ، وأن تشتد الحاجة إليه ، وأن يصعب الوصول إليه ، قد تشتد الحاجة إلى شيء ولكنه غير نادر كالهواء ، كلنا في أمس الحاجة إليه ولكنه متوافر ، قد تشتد الحاجة إلى الماء والماء موجود في بعض البلاد بكثرة .

إذن شيء عزيز يعني : عزيز المنال لا يُدرك ولا يُنال جانبه ، هذه الصفات لها صفات نقصان ولها صفات كمال ، كلما كثر وجوده قلت عزته ، وكلما قلت الحاجة إليه قلت عزته ، وكلما سهل الوصول إليه قلت عزته ، فماذا لو قلَّ وجوده إلى أن يصبح واحدا ؟؟!!! هذه

صفة كمال في العزيزجل جلاله ، فهو يقل وجوده ويقل وجوده حتى يصبح واحدا هذه أعلى صفة ، وتشتد الحاجة إليه .

الإنسان أحيانا قد يحتاجه الناس ، بعض الناس ، و كلما كثر الذين يحتاجونه أصبح عزيزا ، ونادرا ما يحتاجه كل الناس من حوله ، كما أنه لا يوجد إنسان يحتاجه جميع الناس ، قد تجد ملكا و تجد إنسانا يعيش في أطراف مملكته يعمل راعيا ، مع أنه أحد رعايا هذا الملك لكنه ليس بحاجة إليه ، يأكل ويشرب في خيمته من نتاج هذا الغنم الذي يملكه .

كلما اشتدت الحاجة إلى الشيء أصبح عزيزا ، كمال هذه الصفة شيء دقيق جدا أن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ، أنا قد أحتاج للطبيب عند المرض ، ولكن لا أحتاجه عند النوم أنا أحتاج إلى سرير ، قد أحتاج إلى هذا المدرس إذا كان ابني ضعيفا في مادة الرياضيات فأنا بحاجة إليه ، أما أن يحتاجه كل شيء، ليس كل الناس فقط ... بل الناس والحيوان والنبات والجماد والذرات والمجرات أي يحتاجه كل شيء في كل شيء .

دققوا : يحتاجه كل شيء في كل شيء . إذن الله سبحانه وتعالى عزيز لأن قيام الشيء به ، قيام المادة . هذه مادة فيها نواة وفيها كهارب وفيها دوران لولا أن الله سبحانه وتعالى تجلى عليها لتوقفت ، فهو يقول للشيء كُن فيكون زُل فيزول :

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾

سورة آل عمران

أي أن قوام كل شيء به ، وهو مصدر حياة كل شيء.

إذن الله سبحانه وتعالى لا نقول تشتد الحاجة إليه ، ولكن يحتاج إليه كل شيء في كل شيء ، الشبكية مائة وثلاثون مليون مستقبل للضوء ما بين مخروط وعصية عشرة طبقات ، العصب البصري تسعمائة ألف عصب ، ما هذه المادة التي تتغير ماهيتها إذا جاءها الضوء ، إذا تغيرت ماهيتها تولد عن هذا التغير تيار كهربائي ينقل الصورة إلى الدماغ ، أنت محتاج لله عز وجل في عينك وفي أذنك وفي لسانك وفي دماغك وفي شرايينك ، وأي شيء لم يتجلَّ الله سبحانه وتعالى عليه يصبح لاشيء ، فأنت قائم بالله ، عظامك عضلاتك المخططة والملساء أعصابك وأجهزتك كلها تعمل بالله ، فلو أن الله سبحانه وتعالى حجب عنها تجلياته لأصبح الإنسان جثة هامدة ، إذن يحتاجه كل شيء في كل شيء .

أول صفة . الذي يقل وجود مثله أما كمال هذه الصفة إلى أن يصبح واحدا، تشتد الحاجة إليه ، كمال هذه الصفة يحتاجه كل شيء في كل شيء ، يصعب الوصول إليه لا يمكن أن تحيط به ولا الأنبياء ، فلا يعرف اللهَ إلا الله ، أن تصل إليه اتصال عبودية ممكن استقم على أمره واعمل الصالحات تصل إليه وهذا هو الوصول هذا

هو الاتصال .

شاب خطب فتاة ابنة عالم هذا العالم قال له : مهر هذه الفتاة أن تحضر هذه الدروس فحضرها فاستغرق فيها فنسي الفتاة ، أرسلت له كتابا : يا فلان نسيتنا ، فقال : يا وصال كُنتِ سبب الاتصال فلا تكوني سبب الانفصال .

يمكن أن تصل إليه ، أن تصل كعبد أن تستقيم على أمره أن تفعل الصالحات أن تذكره كثيرا أن تخدم عباده كثيرا ممكن ، أما أن تصل إليه وصول إحاطة وإدراك كامل فهذا مستحيل حتى على الأنبياء .

فإذا خطر في بالك ما معنى العزيز ؟ فإن معنى العزيز : هو الفرد الذي يحتاجه كل شيء في كل شيء ويستحيل الوصول إليه ، وصول إحاطة وإدراك أما وصول عبودية فممكن .

قال بعضهم : العزيز من ضلّت العقول في بحار عظمته وحارت الألباب دون إدراك نعمته وكلت الألسن عن وصف كمالاته ووصف جماله . النبي عليه الصلاة والسلام لخص هذه الكلمات فقال :

عن أبي هريرة عن عائشة قالت : فقدت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة من الفراش فالتمسته فوقعت يدي على بطن قدميه وهو في المسجد وهما منصوبتان وهو يقول : اللهم أعوذ برضاك

من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك

صحيح مسلم

والله أيها الأخوة الشيء الثابت أنه من عرف الله زهد فيما سواه ، إذا عرفت الله لا يمكن أن تتضعضع لمخلوق ، وعندها لا ترى مع عِزَّة الله عزيزا ، ولا ترى مع قدرة الله قديرا ، ولا ترى مع حكمة الله حكيما .

ابن آدم اطلبني تجدني — فإذا وجدتني وجدت كل شيء
وإن فُتُّك فاتك كل شيء — وأنا أحبُّ إليك من كل شيء
فلو شاهدتْ عيناك من حسننا — الذي رأوه لما وليت عنا لغيرنا
ولو سمعت أذناك حسن خطابنا — خلعت عنك ثياب العجب وجئتنا
ولو ذقت من طعم المحبة ذرَّة — عذرت الذي أضحى قتيلا بحُبِّنا
ولو نسمت لك من قربنا نسمة — لمتَّ غريبا واشتياقا بقربنا

هذا الذي يتوهم بسذاجة أنه بركعتين وليرتين يدخل الجنة إنسان ساذج غبي ، ومن يخطب الحسناء لم يبالي بغلو المهر:

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة " سنن الترمذي

قال تعالى:

لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (٩٢)

سورة آل عمران

وقتك الثمين ، زبدة وقتك ، قوتك يجب أن تصرفها في سبيل الله ، مالك الذي جمعته بكدك و عرق جبينك يجب أن تنفقه في سبيل الله، ألا إن سلعة الله غالية .

الآن من هو العزيز من العباد في ضوء هذا التعريف ؟ الأنبياء أعِزَّة لماذا ؟ لأن الخلق كلهم بحاجة إليهم وإلى علمهم ، النبي عزيز لأن ربنا عز وجل أودع فيه سرَّه أودع فيه علمه أودَع فيه النبوة ، هو طريق إلى الله هو باب الله ، فالأنبياء أعزَّة لأن الله جعلهم أبواب رحمته وأبواب فضله وأبواب إحسانه وأبواب أنواره ، لهذا عين إرضاء رسول الله هو عين إرضاء الله ، ولهذا قرَنَ الله اسم نبيه مع اسمه فالنبي عزيز لأن الناس جميعا في أمس الحاجة إليه في أمر دينهم ودنياهم .

الملك عزيز : إذا كان ملك بيده مقدَّرات الأمور كلها ، بيده كل شيء ، فالناس جميعا يقصدونه كبيرهم وصغيرهم ، جليلهم و حقيرهم ، فكلما اشتدت الحاجة إليك فأنت عزيز ، لكن المؤمن إذا اشتدت الحاجة إليه يكون عزيزا لكنه متواضع ، ولكن غير المؤمن

إذا اشتدت الحاجة إليه يصبح لئيما .

والآن أقول لكم هذه الكلمة من القلب : لا يمكــن أن تعــرف الله وأن تطيعه ، ثم تكون ذليلا لأحد أبدا ، لا يمكــن لأن الله عــز وجــل يقول : "

وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ
وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَـٰكِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

سورة المنافقون

أنت مع العزيز و تُذَل بعد ذلك - لا - لن يكون هــذا أبــدا ، ألا تقول في الدعاء يوميا كل صلاة صبح : سبحانك إنه لا يَذِل من واليت ولا يعِزُّ مَن عادَيت ؟

لا يوجد مؤمن تعرَّف إلى الله عز وجل واســـتقام علـــى أمـــره واصطلح معه إلا أراه الله معاملة خاصة يشعره أنه غال عليه وأنـــه يحبه قال تعالى :

فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾
سورة الطور

أحيانا تدعوه فيستجيب لك ، تدعوه فيصــرف عنــك الســوء ، تدعوه فيلقي حبك في قلوب الخلق ، تدعوه فيلين قلوب أعدائـــك ،

تدعوه فيلبيك ، تسأله فيعطيك تقسم علي فيبرك .

سُئل الإمام الحسن البصري بم نلت هذا العز ؟ قال : بشيئين ، باستغنائي عن دنيا الناس وحاجتهم إلى علمي .

لا تكون عزيزا إذا كنت طماعا ، حينما تطمـــع تصبـــح ذليـــلا ، لمجرد أن تطمع فيما عند الناس تصبح ذليلا .

لذلك الناس إذا طمعتَ فيما عندهم كرهـــوك ، ورب العـــزة إذا طمعتَ فيما عنده أحبك .

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة *وسَل الذي أبوابُه لا تُغلقُ*

فالله يغضبُ حين تتركُ سؤلَهُ *وَبُنَيَّ آدم حين يُسألُ يغضبُ*

الإنسان إن سألته حاجة غضب منك ، ورب العزة إن لم تســـأله غضب منك ، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام قال

عن جندب عن حذيفة قال : قال رســـول الله صلـــى الله عليـــه وسلم : لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه قالوا وكيف يذل نفســـه قـــال يتعرض من البلاء لما لا يطيق " سنن الترمذي

وقال : " ابتغوا الحوائج بعِزَّة الأنفس ، فـــإن الأمـــور تجـــري بالمقادير " ، " ارفع رأسك يأخي لقد موَّتَّ علينا ديننا "

أبو جعفر المنصور دخل عليه أبو حنيفة في قضية فأعجبـــه أن

يأتيه هذا العالم الجليل الفقيه الكبير قال : يا أبا حنيفة لو تغشيتنا دائما ، نحن في استقبالك نعتز بك وأهلا بك ، قال : ولمَ أتغشاكم وليس لي عندكم شيء أخافكم عليه وهل يتغشاكم إلا من خافكم على شيء ، ليس لي عندكم حاجة .

كلما قطعتَ طمعك من الناس أعزك الله ، وكلما مرَّغتَ جبهتك في السجود لله أعزك الله

الخليفة هارون الرشيد طلب عالما من علماء المسلمين الكبار أن يأتيه لكي يعظه ، فذهبوا إلى الإمام مالك فقالوا : إن الخليفة يطلبك يا مالك ، قال : لستُ بحاجة إليه ، إن كان بحاجة إلي فليأتني ، قال الأمام مالك : العلم يؤتى ولا يَأتي ، فلما بلغوا الخليفة مقالة مالك قال : صدق أنا سآتيه ، فلما جاءه قال : أبلغوه لا أسمح له أن يتخطى رقاب الناس ،أي :على الخليفة أن يجلس حيث انتهى به المجلس ، فلما جاءه هارون الرشيد وأجلسوه على كرسي ، قال : من تواضع لله رفعه ، ومن تكبر وضعه ، فقال الرشيد : خذوا هذا الكرسي !!!

و قد كان عليه الصلاة والسلام يجلس حيث ينتهي به المجلس ، بل إن الأبلغ من ذلك دخل عليه أعرابي ، فما عرف من هو النبي ؟ قال : أيُكم محمد ؟ ما هذا التواضع ليس له مكانة خاصة ؟ أيكم محمد ؟ ، ند الناس ، يجب أن تكون بعيدا عن دنياهم، يجب أن تعمل

اكسب رزقك بيدك .

شخص سأل : كيف الطريق إليه ؟ قال : لـــو عرفتـــه لعرفـــت الطريق إليه ، كلمة بليغة.

إذا عرفت الله تعرف بالفطرة ماذا يرضيه ، وكيف تُقبِل عليه ، وكيف تستقيم على أمره ، وكيف تضحّي من أجله ، وكيـــف تؤثـــره على كل شيء ، قال له : كيف الطريق إليه ؟ قال : لوعرفته لعرفـــت الطريق إليه ، قال له : لم أفهم كلامك ، كيف أعبد مـــن لا أعرفـــه ، فقال : كيف تعصي من تعرفه ، إنك تعصيه :

تعصي الإلهَ وأنت تُظهِرُ حبَّه ؟ هذا لِعَمري في المقال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن المحب لمن يحِبُّ مُطيع

سئل شخص متى عرفت الله ؟ قال : والله ما عصيته منذ عرفته.

اسمعوا مني هذه الكلمة ، والله الذي لا إله إلا هو لو تعلَّمت علم الثَّقَلَين بنية أن تكون ذا شأن في المجتمع وعصيت الله فيمـــا بينـــك وبينه ، فأنت لا تعرفه ، لا تعرفه ، لا تعرفه .

من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذا اختلى ، لم يعبـــأ الله بشيء من عمله أبدا ، لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر إلـــى عِظَم من اجترأت عليه ، فلمجرد أن تعصي الله عز وجـــل يجـــب أن تعلم علم اليقين أنك لا تعرفه أبدا .

لو تخيلنا إنسانا يحمل أعلى شهادة شرعية ، وله مائة مؤلف وهو ذو منصب ديني خطير ، ودخلت عليه امرأة و تأمل فيها وملأ عينيه منها ، وعنده مستخدم على الباب ، لا يقرأ ولا يكتب لكنه قرأ قوله تعالى :

قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾

سورة النور

فغضّ بصره عنها فهذا عند الله عالم ؟ والأول الذي ملأ عينيه من الحرام جاهل ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

عن مسلم عن مسروق قال : كفى بالمرء علما أن يخشى الله وكفى بالمرء جهلا أن يُعجب بعلمه" سنن الدارمي

ضع هذه الكلمة في ذهنك دائما : لمجرد أن تعصيه فأنت لا تعرفه .

قيل : ما الأدب الذي يجب أن يتحلى به المؤمن حيال هذا الاسم ؟ الله عزيز ما موقف المؤمن حيال هذا الاسم ؟

قال : المؤمن إذا عرف العزيز لا ينبغي أن يعتقد لمخلوق إجلالا ، أديب جدا مع الناس ، لكنه لا يمكن أن يعتقد لمخلوق إجلالا ، قال عليه الصلاة و السلام : " من تضعضع لغَني ذهب

ثلثا دينه " .

لماذا ؟ قال : لأن الإيمان ما وقر في القلب وأقرَّ به اللسان وصدَّقه العمل ، فإذا أجللت غنيا لغناه ، أجللته وانحنيت له و أثنيت عليه بما ليس فيه فقد أذهبت ثلثي دينك فإذا كان العمل الظاهري تعظيم لإنسان لا يعرف الله وعظَّمتَه لمجرد أنه غني ، فالنتيجة إذن : ذهب ثلثا دينك !!!

لذلك فالنبي عليه الصلاة والسلام يقول : " شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعِزُّه استغناءه عن الناس "

عند المؤمن عِزَّة لو وُزعت على أهل بلدة لكفتهم ، يرى أنه عبد لله وأن الله لن يضيِّعه ولن يسلِمه ولن يتخلى عنه .

عندنا قاعدة ثابتة أنه إذا عظَّم القلب الرب صغُر الخلق في عينه ، فإذا كان الله ليس عظيما في عينه – والعياذ بالله – كبُر الخَلق في عينه . هذا امتحان ، فلان يقولها بملء فمه عن شخصٍ ما : إنه يفعل ويترك ، و عنده قدرة على كذا و كذا و كذا . إذا فعلتَ ذلك،فأنت لا تعرف الله إذن ، مادمت تُجِل هذا الشخص كل هذا الإجلال فإنك لا تعرف الله ، لأن الله عز وجل لو جمّد قطرة من دم ذلك الشخص الذي يُبهرك في أحد شرايين مخه لأصبح مشلولا ، لو أن الله عز وجل جمَّد بعض الدم في شرايين قلبه لمات بسكتة قلبية ومات من فوره ، والإنسان كلما ارتقى إيمانه كلما التفتَ إلى الله...

قال تعالى :

فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾

سورة يونس

إذا عرفت أنه هو وحده المُعِز ، لم تطلب العز إلا بطاعته

فلو اجتمع الناس جميعا على أن يرفعوك درجة لا يستطيعون ، أما إذا رفعك الله عز وجل درجة أو أكثر لا يستطيع أهل الأرض أن يُنزلوك

قال بعضهم : لو اجتمع الخلق على أن يُثبتوا لأحد عِزًا فوق ما يثبته اليسير من طاعته لما قدروا ، لا تَعَزُ إلا بطاعة الله : أعِز أمر الله يُعِزُّك الله !!! قال : لو اجتمع الخلق على أن يثبتوا لأحد ذُلا أكثر من اليسير من المعصية لم يقدروا ، يوجد عامل واحد يرفعك ويخفضك هو الطاعة والمعصية ، كلما أطعته ازددت عزا وكلما هان الله عليك هنت عليه ، ويجب أن تفهموا أن حال المسلمين اليوم هو : هان الله عليهم فهانوا على الله .

و على المستوى الفردي إذا استقمت على أمر الله وإذا اعتمدت عليه وتوكلت عليه ، فالله سبحانه وتعالى يعاملك معاملة خاصة أما إذا عصاه مجموع الأمة فالله سبحانه وتعالى لا بد من أن يؤدبهم ، لأن الله تعالى يقول في الحديث القُدسي:"إذا عصاني من يعرفُني سلَّطتُ عليه من لا يعرفُني ".

رجل ذهب إلى الحج ، و كان له شأن كبير رافقه عشرات الحـ والحَشَم ، فكان هؤلاء الخدم في أثناء الطواف يُبعدون النـــاس عنـــه تعظيما له ، حج وطاف وسعى وانتهى حجه وعاد إلى بلـــده ، راوي هذه القصة قال : وبعد حين وعند جسر في بغداد رأيت رجـــلا يشـــبه هذا الذي رأيته يطوف ، لكني رأيته في حالة مزريه قميئة يمـــد يـــده للناس ، يا ترى هذا فلان هو هو.؟أم ليس هو ، دخـــل الشـــك فـــي قلبه ، فتقدم منه فقال : مالك تنظر إلي ، قال : كأنك تشـــبه فلانـــا ، قال : أنا هو ، فقلت له : ما الذي جعلك في هذه الحال ؟ قال : إنـــي تكبَّرتُ في موضع يتواضع الناس فيه (الطواف حول الكعبة ليس فيه كبر ، أنا فلان أنا علان أنا حجمي المالي كذا لا يوجد كبرٍ فـــي هـــذا الموقف ، في هذا الموقف أنت عبد لله عز وجل ولو كنـــتَ ملكـــا) ، قال تكبَّرتُ في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني الله في موضـــع يترفع الناس فيه .

الإنسان كلما أحاط نفسه بهالة من الكبر والاستعلاء هان وحطـــه الله جزاء وفاقا ، صفتان لا تقربهما : الكبر و الظلم ، إن الله سـبحانه وتعالى يغفر عشرات الذنوب بسهولة إلا ذنبين يبطـــش بصاحبـــهما: الكبر والظلم ، اثنان لا تقربهما : الإشراك بالله أي الكبر والإضـــرار بالناس أي الظلم .

الآن عندنا مشكلة . وهي ليست مشكلة . ولكن هكذا ســميتها :

كيف يقول الله عز وجل :

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

سورة فاطر :الآية ١٠

أيأن العزة كلها له . هو العزيز ، ونقرأ آية أخرى : " ولِلَّه العِزَّةُ ولرسولِه وللمؤمنين ولكنَّ المنافقين لا يعلمون " ، يبدو أن هناك تناقضا بين الآيتين . هكذا يبدو ، الجواب : إذا ابتغيت العِزَّة بالإقبال على الله والاعتزاز به فأنت عزيز ، لكن حينما قال الله عز وجل : " فَلِلَّهِ العِزَّة جميعا " أي مهما أردت العزة بغير الله فأنت ذليل ، إذا أردت العزة وأن تكون عزيزا عن غير طريق طاعة الله ، عن غير طريق الإستقامة على أمره ، عن غير طريق إعزاز أمر الله ، فأنت ذليل .

سيدنا يوسف : كلكم يعلم أنه كان عبدا في قصر ملك مصر ، كان عبدا وكان يؤمر ، و وُضع في السجن ثم أصبح عزيز مصر ، مرة خرج في موكبه فرآه أحد العبيد وكان يعرفه أنه كان عبدا مثله ، ثم أصبح عزيز مصر فقال : سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعته ، وجعل الملوك عبيدا بمعصيته . ولعله يقصد امرأة العزيز التي هانت بعد فعلتها واتهامها ليوسف حتى غدت كالعبيد هوانا .

و قد نسمع ونقرأ عن إنسان كان في أعلى درجات العــز فلمــ
بنى عزَّه على معصية الله جعله الله في أسفل السافلين .

و شيء آخر: سيدنا يوسف عندما قال :

قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة يوسف

جعله الله عزيز مصر .

والله سمعت قصة ، لولا أن صاحبها حيٌّ يُرزق ، لما اســـتطعت أن أصدّقها : شاب حديث السن عنده مكتبة صغيرة في حي من أحياء دمشق وهي قصة قديمة جدا ، فيبدو أن فتاة ســـاقطة تحرشـــت بـــه وأغرته فأغلق محله وتبعها ، وكان هذا الشاب لسبب معين قد حـــج في سِن مبكرة ، وقبل سنوات وبينما وهو في طريق متابعتـــه إياهـــا تذكر حجته فقال : لا والله لا أفسد هذه الحجة ، فركب الحافلة وعـــاد أدراجه إلى البيت . أي خشي الله وأطاعه ، في اليوم التـــالي جـــاءه أحد وجهاء الحي من جيرانه فقال له : يا فلان هل أنـــت مـــتزوج ، فأجابه : لا والله يا سيدي ، قال له : عندي فتاة مناسبة أبعث أهلـــك ليروها ، فقال : ظننت أن له فتاة فيها علَّة لأنه هو الذي عرضـــها ، قال : بعثتُ بأهلي ليخطبوها فرأوها في أحسن حال فوافقت ، وما هي إلا أشهر حتى جعلني شريكه في عمله التجـــاري وأغلقـــت المحـــل السابق وبعته ، طبعا العم توفي لكن الرجل لا يزال حيٌّ يـــرزق مـــن

كبار التجار ، كل هذا لأنه قال بينه وبين نفسه:

مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة يوسف

قس على هذا كل شيء ، مبلغ كبير فيه شبهة قل :

مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾

سورة يوسف

يأتيك المال أضعافاً مضاعفة ، ما ترك عبدٌ شيئا لِلّه إلا عوَّضه الله خيراً منه في دينه ودنياه ، أي شيء تدعه في سبيل الله لا بد من أن يعوضك الله خير منه في دينه ودنياه ، أتحب أن تكون عزيزا ؟ أتحب أنْ تكون مكرَّما ؟ أتحب أن تكون محترما ؟ أتحب أن تكون مبجَّلا ؟ إذن بالِغ في طاعة الله ، كلما أطعته كلما رفعك وكلما خالفت أمره كلما وضعك ، فإذا هان عليك هنت عليه وإذا عظَّمتَ شعائره عظَّمك .

فالذي ذهب إلى المدينة وزار قبر النبي عليه الصلاة والسلام يعلم ماذا أعني بهذا الكلام ، ما من مخلوق على وجه الأرض أعزه الله عز وجل كرسول الله ، لو أن إنسانا في حرم النبي عليه الصلاة والسلام ودخل الملك لا تراه ملكا ، في الحرم النبوي لو دخل الملوك مجتمعين لا ترى أنهم ملوك في حضرة النبي عليه الصلاة والسلام ، كانصلى الله عليه وسلم إذا دخل عليه العبد وأصابته رعدة يقول :

" هوّن عليك ، فإنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد بمكة ".

أناس يأتونه من أطراف الدنيا فإذا اقتربوا من مقامه يبكون وقد مضى على وفاته ألف وأربعمائة عام ، ما هذا السر ؟ هل في الأرض كلها مخلوق أعزّه الله كرسول الله ؟ خذ صحابته سيدنا الصديق ماذا كان يفعل ؟ له جيران فقراء وكان يحلب لهم الشياة ، فلما صار خليفة للمسلمين حزن أهل هذا البيت لأن منصبه الرفيع يمنعه أن يحلب لهم الشياة ، في اليوم الذي تلا تسلمه منصب الخلافة طرق الباب ، قالت الأم لابنتها : يا بنيتي افتحي الباب ، قالت : ياأمي إن بالباب حالب الشاة جاء اليوم أيضا... جاء ليحلب الشاة ، ما هذا التواضع ؟

ملخص الدرس : قانون ، علاقة طردية . كلما زدته طاعة وتعظيما زادك عزا ، وكلما تساهلت بأمره(قلت : لا تدقق ، إن الله غفور رحيم ، الدين يسر ، أنت مشددها كثيرا ، افعل ما تشاء) كلما تساهلت في طاعته خفضك الله عز وجل وصرت لا شأن لك .

أي هؤلاء الذين علّموا الناس ، الأئمة الكبار كالإمام الشافعي وأبو حنيفة والصحابة الكرام اسم كل واحد منهم على كل لسان ، بذكرهم تتعطر المجالس لأنهم عظّموا الله فخلّد ذكراهم.

سيدنا موسى في أوج عزه وفرعون يهون و يغرق . يقول الله

عز وجل:

﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١﴾

سورة يونس

وصدق الله العظيم . القائل :

وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍۚ

سورة الحج

سيدنا إبراهيم أرادوا به كيدا فقال الله تعالى :

قُلۡنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩

سورة الأنبياء

هذا هو العز . عز الله لإبراهيم وموسى ويوسف كما علمت .

النبي عليه الصلاة والسلام ، ما من مخلوق أعزه الله كرسول الله ، وسيدنا الصديق ، وسيدنا عمر .قال سيدنا عمر عندما أصبح خليفة للمسلمين : " قد كنتُ عُميرا فأصبحت عُمَر فأصبحت أمير

المؤمنين " ، كان وقافا عند كتاب الله فرفعه الله سبحانه .

و كذلك سيدنا عثمان ، سيدنا علي ، و بالمقابل أبو جـهل مـا نهايته ؟ ما سمعته ؟ ما قيمته ؟ أبو لهب ، هؤلاء صناديد الكفار أيـن هم ؟ أما عِكرمة ابن أبي جهل حينما تاب إلـى الله تـاب الله عليـه فأصبح سيدنا عكرمة مع أنه له جاهلية وله موقفه المعادي لرسـول الله

لا أريد أن أطيل عليكم ، فما من مخلـوق علـى وجـه الأرض إلا ويحب وجوده ويحـب سـلامة وجـوده ويحـب كمـال وجـوده ويحب استمرار وجوده ، وجزء كبير جدا مـن وجـودك أن تكـون مكرَّما ، أن تكون عزيزا ، أن تكـون مرهوبـا ، أن تكـون سـليما من كل هون ، و ما مـن شـيء يسـبب لـكِ الـهوان كالمعصيـة أبدا .

فالعفيف عزيز ، وحينما يطمع الإنسان بأعراض النـاس ينظـر إلى نسائهم نظرات ريبة يصبح ذليلا ، الإيمان عفة عن المطامع عفـة عن المحارم .

الإيمان عفة ، عفة عما في أيدي الناس وعفة عن أعراضـهم ، لهذا غض البصر من لوازم المؤمـن ، المؤمـن محصَّـن مـن أن يتبع شهوته ، وكلما غض بصره زاده الله عزا و كلما غض بصـره زاده سعادة بأهله ، لأنه وزوجته خلق من خلق الله ؛ يخلـق سـعادة

بين الزوجين المؤمنين ... فلا يمكــن أن تكـون إلا بطاعــة الله ، يعيشان حياة ثرة غنية موفقة لأنها أطاعت ربها فيـه وأطـاع ربـه فيها .

فمطلب العزة مطلب عام ، ما من مخلوق إلا ويتمنى أن يكـون عزيزا ، والعزة ثمنها الطاعة ، وهذا الكلام موجـه إلـى الشـباب ، اصبرِ عن الحرام يأتك الحلال ، لا تفكر ولا تسمح لخـاطرك أن تـرد عليه معصية وسوف توفق في عملك توفق في زواجك ، سوف يجعـل الله لك مخرجا ، سوف ترزق من حيث لا تحتسب ، سوف يرفـع الله لك شأنك .

بعض الناس يموت فيسير في جنازته شخص أو شخصين هوانـا لشأنه لمعصيته ، و يموت عالم فيسير في جنازته مليـون ، أعـزه الله ، لماذا أعزه ؟ لأنه أعز أمر الله ، أعِز أمر الله يُعزُك الله .

هذه حقائق ثابتة أيها الأخوة ، فكل من يبتغي العـزة بغـير الله أدركه الهوان ، فلو أن الإنسان اتخذ الله وليا لأنجح وأفلح :

وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

سورة هود

إذا ركنت لإنسان منحرف ، رأيته قويا ، رأيت عنـده الدنيـا ،

رأيت أنك إذا أطعته جاءك خير كثير ، إذا ركنتَ إليه إذا نســـيت الله عز وجل لن يأتيك الذل إلا من طرفه ، لن يأتيك الضيم إلا منه تأديبـــا لك:

اجعل لربِّك كل عزِّك يستقرُّ ويثبُت

فإذا اعتززَتَ بمَن يموت فإن عز!َك ميِّت

أحيانا يعتز الإنسان بقريب له ، له شأنه... يفاجأ أن هذا القريب يتخلى عنه ، يدخل عليه فيتجاهله ، يعرض لـــه قضيـــة فيقـــول : لا أستطيع ، أنا لا أخالف القوانين أبدا ، هذا جزاء الذي ركن إليه

" أطلبوا الحوائج بعزة الأنفس فإن الأمور تجري بالمقادير " .

مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾

سورة فاطر

وبعد فالقصص التي يمكن أن تروى في موضوع العزة والذلـــة أكثر من أن تحصى ، وما من واحد منكـــم إلا مـــن خـــلال معارفـــه وأقربائه ومحيطه وبيئته يعرف آلاف القصص ، هذا الشـــاب الـــذي استقام على أمر الله رفعه الله في الدنيا قبل الآخرة :

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾

سورة الرحمن

قال معظم المفسرين : " جنة في الدنيا وجنة في الآخرة ، والدنيا قبل الآخرة .

وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾

سورة الطور:الآية ٤٨

آخر حديث : " من ابتغى أمرا بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتَّقى" . أي شيء أردت أن تناله من خلال معصية يجب أن تعلم علم اليقين أن هذا الشيء بَعُدَ عنك ، وأي شيء إذا أردت أن تناله عن طريق الطاعة فاعلم علم اليقين أنه اقترب منك " من ابتغى أمرا بمعصية كان أبعد مما رجا وأقرب مما اتقى " ، أي بالتجارة لا تكذب لكي تربح ستربح وأنت صادق ، إذا كنت محاميا لا تكذب يأتيك دخل وفير وأنت صادق وأنت مخلص . هذا الذي يعصي الله لينال الدنيا جاهل لا يعرف الله عز وجل .

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

سورة الأحزاب

الله عز وجل مما وعد به المؤمن أن يحفظه ، مما وعد به المؤمن أن يدافع عنه ، مما وعد به المؤمن أن يرزقه ، مما وعد به المؤمن أن يُعزّه والدليل " وللّهِ العِزّةُ ولرسولِه وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون " .

انظر لو قال الله : العزة للمؤمنين لكان من الممكن أن يفهم ولغير المؤمنين قد تكون عزة أما عندما قال : لله العزة ، وجاء الاسم المجرور مقدما على العزة فأفاد القصر والحصر ، العزة وحدها إذن لله فإذا أردتها فكُن مع الله .

كُن مع الله ترى الله معك — واترك الكل وحاذر طمعك

وإذا أعطاك فمن يمنعه — ثم من يعطي إذا ما منعك

أطعِ أمرَنا نرفع لأجلك حجبنا — فإنّا منَحنا بالرضى من أحبنا

ولُذ بحمانا واحتمي بجنابنا — لنحميك مما فيه أشرار خلقنا

و الحمد لله رب العالمين

*****

القداس

القدوس

أيها الإخوة المؤمنون : موضوع الدرس اليـــوم اســـم الله تعالى : القدّوس ، قال تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾

[الحشر :٢٣]

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾

[الجمعة :١]

و قبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاسم الجليـــل ، أود أن أقف وقفة يسيرة عند مقدمة ضرورية :

كلكم يعلم أن الجماد كائن يشغل حيزاً ، له طول و عـــرض ، وارتفاع ووزن .. تعلمون ما الحجم ؟ .. هنـــاك نقطـــة ، النقطـــة ليس لها حجم ، فإذا تحركت شكلت خطا ، فإذا تحرك الخط شـــكل سطحا ، فإذا تحرك السطح شكل حجما .. نقطة ، خـــط ، ســـطح ، حجم ..

الجماد يشكل حجما ، يعني له طول . وعرض ، وارتفاع ، ووزن أما النبات ، فيشكل حجما ، وينمو ، أما الحيوان فيشغل حيزا ، وينمو ويتحرك ، أما الإنسان فيشغل حيزا ، وينمو ويتحرك ، ويفكر ، ففي اللحظة التي يعطل فيها الإنسان فكره ، وعقله ، يكون قد انتهت إنسانيته ، وعاد إلى طور البهيمية .. يعني من كانت حياته طعاما وشرابا ، ومتعا مباحة وغير مباحة ، وعملا ومالا ، دون أن يفكر في الذي خلقه ، في الذي أوجده ، أين كان ، أين سيكون ، ما المصير ؟ فما قيمة الإنسان الذي يعطل فكره أو يستخدمه في غير ما خلق له ؟ ..

يعني : من الممكن أن تشتري حاسوبا بعشرات الملايين ، وتضع على هذا الحاسوب حاجاتك ، ثم تجعله كالمائدة ، أليس هذا غباء شديدا ؟ ! .. أن تستخدم جهازا بالغ التعقيد ، يقدم لك خبرات كثيرة لو أعملته ، كمائدة ؟!!!

فأمّا الذي يعطِّل عقله ، أو يستخدمه في غير ما خُلق له ، فهذا الإنسان ألغى إنسانيته ، وتحركت فيه حيوانيته .. لقد قلت هذه المقدمة ، من أجل أن تعلموا أن الله سبحانه وتعالى أودع في الإنسان قوة إدراكية .. فما الذي يجب أن يدركه بها ، ما الموضوع؟ .. هنا السؤال .

قرأت قبل فترة ، أن ما يطبع في العالم في اليوم الواحـــد ، لا يستطيع الإنسان أن يقرأه في أقل من خمسين عامـــا ، إذن هنـــاك موضوعات لا تُعد و لا تُحصى .. ما الـــذي آخـــذ ، و مـــا الـــذي أدع ؟ .. ما الذي أقرأ ، و ما الذي لا أقرأ ؟ .. مـــا الـــذي أطلـــع عليه ، وما الذي أُهمله ؟ هذا سؤال خطير .

إذن لابد من الاصطفاء والاختيـــار، لابـــد مـــن أن تصطفـــي الموضوع الخطير و المعنى الخطير ، الذي له علاقة بمصيرك .

يعني إنسان في مكتبة ، أربعة جدران فيها كتب مـــن الأرض وحتى السقف ، وبعد أيام عنده إمتحان مضيري ، إن نجح في هذا الامتحان سوف يترتب على نجاحه مكتسبات كثـــيرة ، فـــي هـــذه المكتبة كلها كتاب واحد مقرر ، له علاقة بهذا الامتحان ، إذن مـــن البديهي أن يدع كل هذه الكتب ، وأن يقرأ هذا الكتاب .

إذن فالله تعالى أودع في الإنسان قوة الإدراك ، كماأودع فيه العقل :

" لما خلق الله العقل ، قال أقبِ ل فأقبل ، ثم قال أدبِر فـــأدبَر ، ثم قال – سبحانه – وعِزّتي وجلالي ما خلقتُ خلقـــاً أحـــب إلـــيَّ منك ، بك أعطي وبك آخُذ " .

إن سألتموني عن أعظم شيء خلقه الله في الكون ، أقول لكم العقل لأنه مناط التكليف ، لولا هذا العقل الذي أودعه فيك ما كلفك ، والعقل وسيلة معرفة الله عز وجل .

لنا في درس سابق ، إن المشكلة : بما أن النفوس من طبيعة واحدة فلو أن أي إنسان بعيد عن الله عز وجل عرف ما عرف المؤمن لأقبل على الله كما يُقبل المؤمن ، لو أن أي إنسان عرف ما عرفه رسول الله لأحب الله كما أحبه رسول الله ، النفوس واحدة ، والدليل ، قال تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴿١﴾

[النساء:١]

من طبيعة واحدة ، من خصائص واحدة ، ما دامت طبيعة النفس واحدة ، التفاوت إذن في ماذا ؟ .. في العلم ..

لذلك قالوا : يفعل الجاهل في نفسه ما لا يفعله عدوه به ..

مزارع عنده حقل ، مزروع نبات له ريع كبير ، قدرت هذه المساحة المزروعة بهذا النبات وريعها في الموسم الواحد يزيد عن مائتي ألف ليرة من البيوت المحمية ، فاشترى دواء كيمائيا ،

وحله من دون تعليمات الصانع ، ورشّه .. كل هذا النبات مات من فوره ، وخسر الموسم كله فهذا الإنسان الجــاهل ، إذا لــم يقــرأ التعليمات ، فعل في نفسه ما لا يفعله عدوه به .

إذن الأزمة أزمة معرفة ، أزمة علم .. و المشكلة الأخطــــر ؛ أن الإنسان حينما يأتيه الموت سيعرف كل شيء ، وسينكشف لــــه كل شيء ، وسيرى الحقيقة ، وسوف ينكشف له الغطـــاء .. *لقــد رأى فرعون ما رآه سيدنا موسى ، ولكن بعد فوات الأوان ..*

المشكلة أن المعرفة ينبغي أن تكون في الوقـــت المناســـب ، يعني ينبغي أن تعرف ما يناسب في الوقت المناسب ، ينبغـــــي أن تصطفي من كل المعارف و المعلومات الشـــيء المناســـب ، و أن تعرفه في الوقت المناسب .

والسؤال الجديد الآن : لماذا يجب أن نعرف الله ؟ .. أليـــــس هو غني عن المعرفة ؟ قال تعالى :

إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾

[إبراهيم :٨]

" .. يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في مُلكي شيئا يا عبادي لــو

أن أولكم و آخركم و إنسكم وجنّكم كانوا على أفجـر قلـب رجـل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئا .. " . أخرجه مسلم والترمذي .

لماذا نعرف الله ؟ .. نعرفه من أجل أن نعبده ، ولن تعبـده إلا إذا عرفته ، ولماذا نعبده ؟ .. من أجل أن نسعد به ، من أجـل أن يتحقق الهدف من خلقنا ، قال تعالى :

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾

[هود:١١٩]

إذن نعرفه ، فنعبده ، فنسعد به .. ولهذا قال ربنا عز وجل :

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

[الذاريات:٥٦]

وإياك أن تغفل عن هذه الآية أبد دهرك !

العبادة كما تعرفون : طاعة طوعية ، ممزوجة بمحبة قلبيـة **، أساسها معرفة يقينية ، تفضي إلى سعادة أبدية ..**

من بين ملايين ملايين ملايين إلى أن ينقطع نفسي .. من بين ملايين ملايين الموضوعات ، *ما الموضوع الأكـــثر أهميـة ؟ أن تعرف الله عز وجل* ، لأنه كما يقول الله سبحانه ، لمن يوضع فـي القبر أول ليلة :

*عبدي رجعوا وتركوك *** وفي التراب دفنوك ،*

*ولو بقوا معك ما نفعوك *** ولم يبق لك إلا أنا*

وأنا الحي الذي لا يموت " .

يجب أن تعرفه لأن المصير إليه ، لأنك راجع إليه ، لأنك ستأتيه فردا تتخلى عن كل شيء ، كل المكتسبات التي حصلتها في العمر ، تفقدها في ثانية واحدة ، ليس لك إلا الله !

يا قيس ، إن لك قرينا يدفن معك وهو حي ، وتدفن معه وأنت ميت فإن كان كريما أكرمك ، وإن كان لئيما أسلمك ، ألا وهو عملك". إذن من بين ملايين الموضوعات ، ليس. منها موضوع أكثر أهمية ، من أن تعرف الله عز وجل ، عرفت أنه خالق ، وعرفت أنه رب ، وعرفت أنه الإله الحق ، وعرفت طرفا من أسمائه الحسنى ، وهذا الدرس بفضل الله ، وتوفيقه ، فيه جولة متواضعة ، حول اسم جليل من أسماء الله الحسنى ، ألا وهو اسم القدوس .

تعلمنا في الجامعة ؛ أن المدرس الناجح هو الذي يستطيع أن يتكلم حديثا ، بأسلوب طَلي جذاب ممتع ، غني ، لفترة طويلة من دون تحضير يعني معلومات عقلها ، تمثلها ، تفاعل معها ، عاشها ، أصبحت في قلبه أصبحت تجري مع دمه ، فإذا أراد أن

يتكلم ، فاللسان طليق والموضـــوع جـــذاب ، إذن ألا ينبغـــي إن سُئلت ، ماذا تعرف عن الله؟ عن الذي خلقك عن الذي أنعم عليـــك بنعمة الإيجاد ؟ قال تعالى :

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ۝١﴾

[الإنسان : ١]

الذي أنعم عليك بنعمة الإمداد ، أعطاك الـــهواء ، و المـــاء ، و الغذاء ، الأهل ، و الأولاد ، و العقل ، تجني به المـــال و أنعـــم عليك مرة ثالثة بنعمة الإرشاد ، هداك إليه ، لو أنك سُـئلت مـــاذا تعرف عن الله ؟ .. ألا ينبغي أن يكون الحديـــث عـــن الله سلســـا جذابا ممتعا طليا ؟ هذا هو السؤال .. لأن المعرفة لابد مـــن أن تنعكس انضباطا في السلوك ، والتزاما عند حدود الشرع ، أنـــا لا أصدق أبدا أن يتعلم الإنسان شيئا لا ينفذه ، لأن الإنســـان حينمـــا يقرأ يتفاعل ، وحينما يتعلم يتمنى أن يقطف ثمار هذا العلم ..

الاسم الجليل من أسماء الله الحسنى هو اسم القـــدوس ، ورد هذا الاسم في آيتين قرآنيتين ، ورد في قوله تعالى فـــي ســـورة الحشر ، الآية الثالثة و الثلاثين :

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣﴾

[الحشر: ٢٣]

وورد في قوله تعالى :

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ
ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾

[الجمعة: ١]

القدوس : على وزن فعول ، وهو من القدس ، والقدس : الطهارة ، والتقديس هو التطهير ، والأرض المقدسة : الأرض المطهرة ، وسميت الجنة حظيرة القدس ، لأنها مطهرة من آفات الدنيا ، وسمي سيدنا جبريل روح القدس ، لأنه طاهر من العيوب في تبليغ الوحي ، وفي قوله تعالى حكاية عن الملائكة :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾

[البقرة: ٣٠]

ما معنى ونُقَدِّس لك ؟ يعني يا رب نحن نطهر أنفسنا ، ونقدسها كي نكون أهلا للإقبال عليك ، وهذه مهمة الإنسان في الدنيا ، يجب أن يقدس نفسه كي ينال مقعد صدق عند مليك مقتدر .

كلكم يعلم إذا دعيَ إلى حفل كريم ، أو إلى لقـــاء خطــير ، أو إلى مقابلة كريمة ، كيف يعتني الإنسان بمظهره بثيابه ، بـــألوان ثيابه ، بكل حركاته وسكناته ، فلذلك الملائكة يقولـــون : ونحـن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون هل تصدقــون ان مهمة الإنسان في الدنيا ؛ أن يطهر نفسه كــي تغـدو مؤهلــة لتكون في جوار الله فـــي الجنـــة ، لأن الله طيــب ، ولا يقبــل إلا طيبا ؟

عبدي طهرت منظر الخلق سنين ..الإنســان يدهــن بيــته ، يقول : المدخل يحتاج إلى تعديل ،ثم يرتــب غرفـــة الاســتقبال ، يزين مركبته ، يزين لباسه لماذا ؟ .. هذا منظر الخلــق .. يقــول الله عز وجل في الحديث القدسي :

" عبدي طهّرت منظر الخلق سنين،أفلا تطهّر منظري ساعة "

إذن يجب أن يكون شغلك الشاغل أن تطهر نفسك ؛ كي يسمح لك أن تكون مع النبيين والصديقين والشهداء والصـــالحين يــوم القيامة ، وحسن أولئك رفيقا .

النقطة الدقيقة في هذا الدرس ربما تحتاج إلى شرح ، جـــاء في تعريف هذا الاسم الجليل أن القدوس هــو المُــنَزَّه عــن كــل وصف .

أما الإنسان فحينما أدرك ذاته ، رأى في نفسه كمالات ونواقص ؛ فالعلم كمال ، الحلم كمال ، الصبر كمال ، السمع ، البصر ، الإرادة ، الحياة هذه كمالات .. الجهل نقص ، العمى نقص ، الصمم نقص ، الخرس نقص اللؤم نقص ، الحقد نقص ، الضجر نقص .. الإنسان رأى أن هناك كمالات ، وهناك نواقص ، فلما أراد أن يثني على الله عز وجل نسب إلى الله عز وجل الكمالات التي يعرفها هو إن الله سبحانه وتعالى القدوس منزه عن الكمالات التي يتصورها الإنسان من عنده ، فكل ما خطر ببالك عن الله بخلاف ذلك ، قال تعالى :

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾

[الشورى:١١]

إن الله عز وجل ليس كالأب ، ولا كالمعلم ،بل أعظم من ذلك ، الله رحيم كما يرحم الأب ابنه ؟ لا .. فالأب أحيانا يرحم ابنه رحمة من دون علم فيورده المهالك ،ولكن الله رحيم عليم .

لذلك لما أراد الإنسان أن يُثني على الله عز وجل فقد أثنى عليه بصفات الكمالات البشرية ، قال : الله سبحانه وتعالى قدوس منزه عن كل وصف من صفات الكمال البشري ، هو أعظم من

ذلك ، هو منزه عن صفات كمال الناس ، ومن باب أولى مُنزَّه عن صفات النقائص ، بل إنه منزه عن كل صفة يتصورها الخلق ، فكل شيء تصوره الإنسان عن الله عز وجل فهو منزه عن هذه الصفاة .

و من معاني الله أكبر ، أنه كل ما عرفت عن الله عز وجل ، فالله أكبر من ذلك ، أكبر مما عرفت ، هذا معنى ، منزه ومقدس عن كل صفة يمكن لإنسان أن يتصورها ، منزه ومقدس عن كل صفة تشبه صفات الإنسان وتماثلها ، ولولا أن الله سبحانه وتعالى سمح للإنسان أن يصفه بصفات كمال البشر ، لكان وصفه بصفات كمال البشر ذنبا من الذنوب ، تقول : الله رحيم ، تقول : الله عادل ، الله لطيف ، الله حليم ، إذا قلت : الله حليم يعني يأتي في بالك أن الإنسان قد يحلم ، قد يستفز فلا يغضب ، هكذا .. هو قدوس عن هذه الأوهام ، وعن هذه الصفات .. فهل صارت واضحة هذه ؟ أقبلتموها ؟ .

رجل من العارفين بالله ، قال لعارف آخر : يا فلان ألا تشتاق إلى الله عز وجل ؟ قال لا والله لا أشتاق إليه .. أعوذ بالله ما هذا الكلام ؟ قال : ما هذا الكلام ؟ أجابه : " متى غاب عني حتى أشتاق إليه ؟ " .. متى غاب عني ؟ .

وآخر يسأل يا إمام متى كان الله ؟ قال ومتى لم يكن ؟ .. متى لم يكن حتى تقول لي متى كان الله ؟ .

الآن مرحلة أخرى القدوس هو المنزه عن كل وصف يدركه الحس عن كل تصور يتصوره الخيال ، أو يسبق إليه الوهم ، أو يختلج به الضمير ، أو يقضي به التفكير .. أما أن تقول منزه عن العيوب والنقائص ، فإن هذا يقترب من باب قلة الأدب مع الله عز وجل ، أو من باب ترك الأدب .

بربك لو كنت في حضرة إنسان عظيم ، وقلتَ: يا سيدي حدثت الناس عنك ، قال ماذا قلت لهم ، قال : قلت لهم إن جنابك لست بكاذب! ما هذا ؟ أيقبل هذا ؟ هل تمدح ملكا بأنه ليس كاذبا ، قال : هذا من ترك الأدب ، ألم تر في الملك شيئا إيجابيا ، نفيت عنه الكذب ، وهناك قاعدة : إن نفي الشيء أحد فروع تصوره ، إذا نفيت عن جهة نقيصة، إذن بالإمكان أن تقع منه هذه النقيصة ، نفي الشيء أحد فروع تصوره ، إذن من ترك الأدب أن تقول : الله سبحانه وتعالى منزه عن النقائص ، منزه عن العيوب ، هذا من ترك الأدب .

من تعريفات اسم القدوس أن القدوس من تقدست عن الحاجات ذاته . أما أنت فمحتاج ، أنت فقير ، كل شخصيتك ،

وعلمك وذكائك وقوة هيمنتك على الناس ، وجلدك ، وعلمك ، كل هذه الصفات تتلاشى أمام شربة ماء .

قيل لهارون الرشيد : يا أمير المؤمنين بكم تشتري هذا الكأس (كوب ماء) إذا مُنع عنك ، قال بنصف ملكي ، قال فإذا منع إخراجه قال : بنصف ملكي الآخر .

أنت محتاج إلى الهواء ، فلو منع منك الهواء ..

هذا الذي كان يقطع الصحارى ، يجتاز الصحراء على ناقة عليها زاده وطعامه وشرابه ، تعب من السفر ، جلس ليستريح ، أفاق فلم يجد الناقة وعليها طعامه وشرابه ، وهو في عرض الصحراء ، فأيقن بالهلاك ، من شدة البكاء أخذته سنة من النوم ، أفاق فرأى عن بعد شجرة ، فأشرق في نفسه نور ، فهرع نحو الشجرة ، فإذا إلى جانبها بركة ماء شرب منها حتى ارتوى ، ثم تولى إلى الظل ، فإذا كيس مملوء ، ففرح به فرحا عظيما ، وهو يحسب أن فيه خبزا ، ولكن يا للأسف ، لقد فتح الكيس فلم يجد فيه إلا لآلئ ، فصاح وا أسفاه هذه لآلئ ، لو كان في الكيس خبز ! فاللآلىء لها قيمة في المدينة،أما وقد مُنع منه الخبز فيقول : " وأسفاه هذه ليرات ذهبية . ماذا أفعل بها في الصحراء ؟ " .

في الحرب العالمية الثانية كما سمعت ، الرغيف يبيع بليرة ذهبية .

إذن فالإنسان ضعيف ، مفتقر إلى الهواء ، مفتقر للماء ، مفتقر للخبز مفتقر إلى الأهل ، مفتقر لمن يؤنسه ، مفتقر لمن يحبه ، أنت فقير في الأصل ، قال تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ ﴾
[فاطر:١٥]

القدوس : هو من تقدست عن الحاجات ذاته ، صمد ، وتنزهت عن الآفات صفاته .

والقدوس من تقدس عن مكان يحويه ، لا يحويه مكان ، وعن زمان يبليه .

قال لي أخ كريم ، وهو أستاذي قال لي : " سبحان الله ، أنا من خمسين عاما كنت أنشط من الآن " ، طبعا ، الإنسان في الستين غيره بالثلاثين غيره بالعشرين ، بالسبعين ، يعني الزمن يبليه ، يحتاج إلى قطع غيار كثيرة يحتاج إلى نظارات ، وأسنان ، وشعر أحيانا ، يحتاج إلى قطع غيار .

والقدوس من تقدس عن مكان يحويه ، وعن زمان يبليه ، وهو عزيز لا يرتقي إلى تصويره وهم ، ولا يطمع في جواز تقديره فهم ، ولا تنبسط في ملكه يد من دون تقدير .

هو قدوس في ذاته ، لكنه يقدس عباده الطائعين .

أقول لك هذه الكلمة ، فلان مقدس ، المقدس هو الطاهر ، تقديس بلا طهارة كلام فارغ ، فلان مقدس يعني مستقيم ، يعني عفيف ، يعني طاهر يعني سليم الصدر ، نواياه طيبة ، ليس في قلبه غل ، ولا حقد ، ولا غش ولا تخونه عينه ، ولا يسبقه لسانه ، ولا يعطي أذنه للكلام غير المقبول لا يقدس الإنسان إلا إذا تنزه عن النقائص .

قال : <u>القدوس من قدس نفوس الأبرار عن المعاصي ، وأخذ الأشرار بالنواصي .</u>

<u>القدوس من قدس قلوب أوليائه</u> ؛ يعني كل إنسان له قلب صنوبري لا أعتقد أن إنسانا على وجه الأرض ما له قلب ، لكن هناك قلب كالجوهر وقلب كالحجر .

لكن الإنسان كلما اقترب من الله عز وجل ، صار ذا قلب كبير ، ذا قلب صاف ، قلب ممتلئ حبا لله عز وجل .

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾

[الأعراف:١٧٩]

يعني فرق كبير جدا بين قلب وقلب ، قلب يلامس السماء رِفعة ، وقلب يلامس الحضيض ضِعة ، قلب كالجوهر صفا ماؤه ورَقَّ ، وقلب كالكدر ، والقلب بيت الرب ، ونتيجة إيمانك كله هذا القلب :

يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾

[الشعراء:٨٩]

و هذا الدرس بفضل الله عز وجل ، هدفه أن يسير الإنسان إلى قلب سليم ، وأن يتعاهد قلبه .

قال : <u>القدوس من قدس قلوب أوليائه عن السكون إلى المألوفات</u> الإنسان يستهلك ، طعامه ، و شرابه ، و بيته ، و أولاده ، و رزقه ، و دكانه و متجره ، و معمله ، و وظيفته ، و مكانته ، و صحته ، و قلبه ، و شرايينه و معمله .. مستهلك ، و هموم الدنيا تستهلكه ، لكن قلب العابد مستهلك و ليس

مستهلكا ، يستهلك الدنيا بمعرفة الله . ولا يسمح لها أن تستهلكه... المؤمن يقود هواه ولا ينقاد له ، المؤمن يسيطر على نفسه ، ولا يسمح لها بالسيطرة عليه ، المؤمن يحتكم إلى القيم ، ويحكّمها ، ولا يسخر منها ، المؤمن له مرتبةَ أخلاقية لا يهبط عنها ، وله مرتبة علمية لا يزيغ عنها ، وله مرتبة جمالية ، هكذا ، المؤمن شخصية فذة .

قال : القدوس من طهر نفوس العابدين بإبعادهم عن دنس المخالفات واتباع الشهوات ، والقدوس من طهر قلوب الزاهدين من حب الدنيا والقدوس من طهر قلوب العارفين مما سواه فالعابدون متصفون بطاعة الله ، مقبلون على عبادته ، متحرقون إلى الإقبال عليه .

والزاهدون مقيمون على الاكتفاء بوعد الله ، معرضون عما يوجب التهمة من ضمان الله .

إذا أردت أن تكون أغنى الناس

فكن بما في يدي الله أوثق منك مما في يديك .

إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتق الله

، إذا أردت أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ،

ربنا عز وجل قال :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

[النمل : ٧٩]

وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾

[آل عمران:١٣٩]

إن مشاعر القهر ،و الخنوع ،و الذل لا يعرفها المؤمن الـذي يعرف أن أمره كله بيد الله ، وأن الله صاحب الأسـماء الحسـنى والصفات العلى .

لذلك كان النبي الكريم إذا ألمَّ به خطب كان يقول :

لا إله إلا الله الرحمن الرحيم ، لا إله إلا الله العليم الحكيم "

لا إله إلا الله كل شيء بيدك يا رب وأنت رحمن رحيم ..

لذلك لا يحزن قارئ القـرآن ، قـارئ القـرآن لا يمكـن أن يحزن ، لأن الأمر كله بيد الله ،يقول له كُن فيكون ، ليـس عنـد الإنسان محـلات أقفـرت ، وشـواغر خليـت ، هـذه المرتبـة انحجزت . المهمة أخذها ثلاثة ، وبقي مائة موظف قاعدين ، عنـد الإنسان كل أمر محدود ، وكله مقنن ، أما ربنا عز وجل ففضلـه واسع عظيم .

العارفون إذا قاموا قاموا بالله ، وإن نطقوا نطقوا بـــالله ، وإن سكتوا سكتوا بالله ، فكيفما دارت أوقاتهم ، وتغـــيرت أحوالـــهم فالغالب على قلوبهم ذكر الله .

فانت مؤمن قد عاهدت الله عز وجل على الرضا والطاعـة ، في السراء والضراء ، في الغنى والفقر ، في الصحة والمـــرض ، في عمل وبلا عمل ، في زواج وبلا زواج لك بيت أوبلا بيت :

مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

[الأحزاب:٢٣]

وبعد ، فكيف نقيم علاقتنا بهذا الاسم ؟ قالوا : مــــن عــرف هذا الاسم طهَّر نفسه عن متابعة الشـــهوات ، الله قـــدوس ، هـــو منزه ؟ .. يستحيل إلا أن يكون مقدسا فإذا كنت تطمــــع أن تكـــون مع الله دائما ، فعليك أن يكون إقبالك على الله ، حقيقة، واتصـــالك بالله حبا وذكرا ، وبذلك يحبك الله ، الله قدوس ، القـــدوس يحـــب المقدس .

إذن من عرف هذا الاسم فلابد من أن يطهر نفسه عن متابعـة الشهوات وطهر ماله عن الحرام والشبهات ،وطهر وقته عن دنس

المخالفات ، وطهر قلبه عن مسلك الغفلات ، طـــهر روحـــه عــن فتور المساكنات .

لا أن تعتريه المساكنات فيفضل أن يركن إلى الزوجة و إلـــى أولاده ، فيؤثرهم على مرضاة الله عز وجل .. يقولـــون : خليــك قاعد معنا الآن ، أما شبعت دروسا، أو يركن إلى نزهـــة أعاقتـــه عن مجلس علم .

و من عـــرف هـــذا الاســـم طـــهر ســـره عـــن الملاحظـــات و الالتفاتات .. فلان يراني ؟ .. دخل المسجد ليصلي لقي إخوانـــا في المسجد ، قام بكسل ليصلي ، يقول أنا خاشع .. لا .. لا تلاحـظ الخلق أبدا ، لاحظ الخالق ، هؤلاء لا ينفعونك إطلاقا ، أنـــت لــك عند الله مكانة ، لا يرفعـــها مـــدح المـــادحين ، ولا يخفضـــها ذم الذامّين . أقول لك هذا المثل وأردده كثيرا : معك كيلو معدن ، هــو ذهب ، ظنه الناس تنكا ، خير إن شاء الله ، ثمنه موجـــود ، لــو كان معك كيلو تنك ، بذكاء بارع ، وطلاقة لسان ، وقـــدرة إقنـــاع أقنعت الناس أنه ذهب، خير إن شاء الله ، لا إن قنعوا بأن التنـــك ذهب تربح ، ولا إن اتهموك بأن ذهبك تنك تخسر ، خـــيرك منـــك وشرك فيك .

وبذلك يصل المؤمن إلى مرتبة الإحسان : اعبد الله كـــأنك تراه ، خوفا ، و حبا ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك .. وهـــذا حـــال

المراقبة لله عز وجل ؛فاحرص على أن يراك حيث أمرك ، وأن يفقدك حيث نهاك . في وقت مجلس العلم أين أنت ؟ في بيت الله .. في وقت صلاة الجمعة أين أنت ؟ .. فيما بين الفجر والشمس أين أنت ؟ على السرير أم على مُصلاك ،في هذه الطرقات المزدحمة بالنساء الكاسيات العاريات ، هل أنت في هذا الطريق ؟ لا والله ، هو في بيت من بيوت الله ... فاحرص على أن يراك حيث أمرك ، و أن يفقدك حيث نهاك .

و من عرف اسم القدوس لا يتذلل لمخلوق ولا يذل نفسه التي أكرمه بها ربه بل يسمو بها ... فهذه النفس التي عبدت ربها ، وأقبلت عليه سبحانه ، أيليق بها أن تتذلل لمخلوق وقد عرفت اسم القدوس؟ ، هذه النفس التي تقدست بمعرفة الله لا يمكن أن تتذلل لمخلوق ، لذلك من جلس إلى غنيّ فتضعضع له أي تمسكن له ذهب ثلثا دينه .

اجعل لربك كل عزِّك يستقر ويثبت

فإذا اعتززتَ بمن يموتُ فإن عزَّك ميت

و يُعاب أن تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم .. لذلك سيدنا إبراهيم ماذا قال حينما جاءه سيدنا جبريل ؟ قال له- وقد أوقدوا نارا عظيمة ، و ألقوه بها ، يا إبراهيم ألك عند الله حاجة ؟

قال : عِلمه بحالي يُغني عن سؤالي .." قلنا يا نار كوني بردا" لـو لم يقل الله : سلاما لمات من البرد ،و لو لم يقـل علـى إبراهيـم لصارت النار منذ أن وضع هذا النبي العظيم بهذه النار حتـى الآن لصارت لا تحرق وفقدت خصائصها، إلى يـوم القيامـة ، ولمـا استطعنا أن نطهو طعامنا ، ولما تمكنت من صهر حديـد ، ولمـا نعمت في تدفئة مركزية ، أو حلمت بمدفأة تدفأ بها.

قُلْنَا يَـٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَـٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾

[الأنبياء:٧٠]

نعم بردا وسلاما على إبراهيم فقط ! يعني إذا كان الله معـك فمن عليك ، المؤمن له معاملة خاصـة عنـد الله عـز و جـل ، والدليل :

وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ أَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾

[الأنبياء:٨٧]

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

[الأنبياء :٨٨]

و الله هذه الآية وحدها . تملأ النفس إشراقا ، تملأ النفس طمأنينة تملأ النفس عزة ، تملأ النفس كرامة " وكذلك ننجي المؤمنين "

قال : هذا الذي عرف اسم القدوس مستحيل أن يذل نفسه إلا لله سبحانه

و لا يعظِّم مخلوقا بالقلب الذي به شهدَه .. هذا القلب عظم الله عز وجل فكيف يعظِّم مع الله أحدا ؟ .. مستحيل إلا أن يعظم أولياءه ، لأن المؤدَّى واحد .

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾

[التوبة:٦٢]

يعني إرضاء رسول الله هو عين إرضاء الله .

و هذا الذي عرف اسم القدوس يجب أن لا يبالي بما فقده بعد ما وجده .. هل فهمتموها .. إنها واضحة .

أحد الصالحين عرف الله عزو جل ، تقدست روحه بمعرفة الله ، وذاق طعم قربه ، ولكن بيته صغير ، بيته قبو أجرة ، وظيفته متواضعة ، معاشه قليل ، زوجته وسط ، له جيران

سعبين ، يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ ثم يقــول والله مـــا نقصنـــا شيء ، هنا البطولة ، إذا عرفته فعلا لا ترى أنك خســـــرت شـــيئا أبدا .

مرض مزعج ألم به ، وهذه مشيئة الله ، رضيت بقضاء الله ، لذلك طعم القرب من الله يُنسي كل شيء .

فليتك تحلو والحياةُ مريـــــــرةٌ وليتك ترضى والأنامُ غضابُ

وليتَ الذي بيني وبينك عامـــــرٌ وبيني وبين العالمين خـــــرابُ

إذا صح منك الودُّ فالكُلُّ هيِّنٌ وكلُ الذي فوق التراب تــرابُ

****

فلو شاهدت عيناكَ من حُسننا الذي

رأوه لما ولَّيت عنا لغيرنــــــــــــــــــــا

ولو سمعت إذناك حُسن خطابنــــــــــا

خلعْتَ عنك ثياب العُجب وجئتنا

لذلك هذا الذي عرف اسم القدوس لا يبالي بما فقده بعدمـــا وجد الله .

انظر لهذه الكلمة ما أدقّها : و لا يرجع قبل الوصول إليه بعدما قصده .

أنت قصدت الله عز وجل ، يجب أن لا يثنيك شيء ، لا مشكلة ولا خطر ، ولا وهم ، ولا تهديد ، ولا فقر ، أبدا ، هذا هو الصدق ..

قال : من آداب من عرف هذا الاسم أن تسمو همته ، إلى أن يطهّره الله من عيوبه .

عنده عيوب في نفسه ، المشكلة ــ يا إخوان ــ أن عيوب الجسد تنتهي مشكلتها عند الموت ، مهما كانت من آفات ، وأمراض ، مثلا أحدهم يده مصابة ، والآخر بصره ضعيف ، وثالث آلام في ظهره ، إذا جاء ملك الموت ينهي كل المشكلات ، ولم يعد لأحد من هؤلاء مشكلة أبدا .

كل أمراض الجسد تنتهي عند الموت ، وكل أمراض القلب تبدأ عند الموت فالناس نيام إذا ماتوا انتبهوا ..

اللؤم الذي فعله إنسان في الدنيا مخدّر ، أما إذا استيقظ عند الموت فحاله ساعتئذ يكشفها معنى الحديث الشريف التالي ، والآيات بعده :

إن العار ليلزم المرء يوم القيامـــة ، حتـــى يقـول يـا رب لإرسالك بي إلى النار أهون علي مما ألقى ، وإنه ليعلم مـا فيـها من شدة العذاب ".هذه هي

آلام النفس ، آلام الندم ، الشعور بالخيبة ، الشعور بالخسـارة الكبرى

قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمۡ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

[الكهف:١٠٣-١٠٦]

قال : من آداب من عرف هذا الاسم ، أن تسمو همته إلى أن يطهره الله من كل عيوبه ، وأن يطهره عن دنس كل عاهاته ، في جميع حالاته ويطهر قلبه من كل كدراتـــه ، وأن يرجـع إلـى الله تعالى بحسن الاستجابة في جميع أوقاته .

قال : فإن من طهر لسانه عن الغيبة ، طهر الله قلبـــه عـن الغيبة عنه ويصبح قريبا منـــه ، ومـن طـهّر لله بصـره عـن النظر بالريبة ، طهر الله سرّه عن الحجاب (الذي يحجبـــه عـن ربه) .

إذا الإنسان حجب بصره عن المحرمـات ، يكشف الله عن بصيرته فإذا أطلق بصره حجَب عن بصيرته .

وإذا طهر لسانه عن اغتياب الناس ، يقربه الله إليه ..

يعني ملخص هذا الدرس :

وَنحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون

يعني نطهر أنفسنا كي نستحق أن نكون معك يـا رب ، في جنتك مع أوليائك ، مع المؤمنين ، مع الأنبياء مع الصديقين ، مع الشهداء ، مع الصالحين .

قال : حكي عن إبراهيم ابن الأدهـم ، أنـه مـر بسـكران ، مطروح على قارعة الطريق ، وقد تقيأ ، فقال في نفسه بأي شيء أصابته هذه الآفة وقد ذكر الله بهذا الفم ، هذا اللسان ذكـر الله ، هذا الفم ذكر الله ، هو ممتلئ زبدا قيئـا ، ملقـى علـى قارعـة الطريق ، وكان إبراهيم شيخا جليلا عظيما ، فجاء بنفسه وغسـل فمه ، فلما أفاق السكران أخبروه بما فعلـه معـه إبراهيـم ابـن الأدهم ، فخجل الرجل السكران من الله تعالى ، وتاب ، وحسـنت توبته فرأى إبراهيم في المنام كأنَّ قائلا يقول له ، " يـا إبراهيـم طهرت فمه من أجلنا ، فطهرنا قلبه من أجلك " ..

فدخل إبراهيم بن الأدهم مسجدا ذات مرة ، ورأى رجلا يبكـــي بكاء مرا ، ويتهجد وينادي ربه ، ويدعوه ، أعجبته هذه الصــــلاة وهذا التهجد و هذا الخشوع قال : من أنت ؟ قال إن الذي هدانـــي أخبرك بحالي أما قال لك يا إبراهيم طهرت فمه من أجلنا فطـــهرنا قلبه من أجلك؟ إن الذي هداني أخبرك بحالي ..

نستفيد من هذه القصة،أنه لو مثلا لك ابن يأســـت منـــه ، حاولت أن يصلي ولو صلاة شكلية ، وجهدت حتى جعلته يصلــــي هذه الصلاة الشكلية ، لعل الله عز وجل يتفضــــل عليـك فيطـــهر قلبه .

أنت كُن عند الأمر والنهي وعلى الله الباقي ، قف في الصـــلاة متخشعاً لعل الله يتجلى عليك ، حاول أن تصلي مع أولادك لعـل الله يهديهم سواء السبيل ، طهّر ظاهرهم لعل الله يطهر باطنهم ، لـــك الظاهر وعلى الله السرائر .

لا تيأس ، لو رأيت الإنسان في أقل درجات المعصية أو فـــي أشدها، الصلح مع الله ممكن بلمحة ..

" إذا رجع العبد إلى الله ، نادى مناد في الســـماوات والأرض أن هنئوا فلانا فقد اصطلح مع الله " .

يا أيها الإخوة الأكارم : أختم درسي بهذه الكلمات فاحفظوها :

إن للحسنة ضياء في الوجه ، ونورا في القلب ، وسعة في الرزق وقوة في البدن ، ومحبة في قلوب الخلق ..

ألا يتمنى أحدنا أن يكون كذلك ، وجه كالشمس منير ، قلب مستنير سعة في الرزق ، قوة في البدن ، محبة في قلوب الخلق .

أعرف أحد العلماء بمصر عاش مائة وثلاثين سنة .. و رجل من علماء دمشق رحمهم الله تعالى ، عاش ستا وتسعين سنة ، ويروي عنه تلامذته أنه كان مستقيم القامة ، حاد البصر ، مرهف السمع ، أسنانه في فمه ، خدوده متوردة ، قوي البنية ، كلما سُئل ، ما هذه الصحة ؟ يقول يابني حفظناها في الصغر ، فحفظها الله علينا في الكبر .

اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ، وقوتنا ما أحييتنا .

وإن للسيئة سوادا في الوجه ، وظلمة في القلب والقبر ،

ووهنا في البدن ، ونقصا في الرزق ، وبُغضا في قلوب الخلق

قال عليه الصلاة والسلام : " **قد يُحرم المرء الرزق بالذنب يصيبه** " .

والذنب ــ أيها الإخوة ــ والسيئة سبب هوان العبد على ربــــه ، وسقوطه من أعين خلقه .. فقد هان الله على الناس فهانوا عليه .

آخر نصيحة ، اتق الله باجتناب المحرَّمات تكن مـــن التوابيــن ، وتورَّع عن اقتحام الشبهات تكن من المتطهرين ، وازهـــد فيمــا زاد عن قدر الضرورة تنجو من الحساب الطويل ، وأقبِـــل علـــى خدمـــة مولاك تنل الثواب الجزيل .

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما .

كلمة قصيرة ــ أيها الإخوة الأكارم ــ لا يجوز أن تقـــف علـــى قوله تعالى فويل للمصلين ، أليس كذلك ؟ المعنى فاسد ، كما أنـــه لا يجوز أن تقف على قوله تعالى عند قوله تعالى عن الشـــعراء : " ... ما لا يفعلون " بل لا بد من تمام الآية الأخيرة :

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ
أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

[الشعراء:٢٢٧]

إذن الشعر مضمونه يقيّمه ، فإذا كان في مدح رسول الله ، مثلا :

انظر لتلك الشجـــــــرة ذات الغصون النضـــــرة

كيف نمت من حبـــــة وكيف صارت شجـــــرة

فابحث وقل مـــــن أخرج منها الثمـــــرة

ذاك هو الله الـــذي أنعمه منهـــــرة

ذو حكمة بالغـــــة وقدرة مقتـــــدرة

هذا الشعر ، فالشعر كما قال العلماء : كلام .. حَسَـــنه حســن ، و قبيحه قبيح ربنا عز وجل حينما وصف الشعراء وصـــف شـــعراء الجاهلية وغيرهم الذين تغزلوا فأفحشوا وآذوا واستثنى مـــن بينـــهم الشعراء الذين آمنوا وأحسنوا المقالة كحسان بن ثابت الـــذي وقـــف شعره دفاعا عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وسلم . واقرأ أواخر سورة الشعراء .

و الحمد لله رب العالمين

******

القهار

القهار

أيها الإخوة المؤمنون قبل أن أبدأ باسم جديد مـــن أسـماء الله الحسنى وهو اسم القهار لابد من وقفة قبلها عند حقيقـة ثابتـة فـي الإنسان وهي أن الإنسان آتاه الله قوة إدراكية تتمثل بحواسه وتتمثـل بفكره وتتمثل بقلبه ، فالحواس تشعر والفكر يدرك والقلـب يعقـل ، الحواس الخمس مشتركة بين الإنسان وغيره من المخلوقات ، هنـاك حيوانات ترى وتسمع وتدرك ببعض الحواس التي وهبـها الله إياهـا المحيط الخارجي ، ولكن الله عز وجل ميز الإنسان وحـده بـالفكر ، ويسميه بعضهم العقل ، ولا خلاف في ذلك ، هذا خلاف لفظي ، هـذا الذي في الجمجمة هو الفكر ، ربنا عز وجل أشار إليـه فـي آيـات كثيرة ، قال : " ولا تَقْفُ ما ليسَ لكَ بـه عِلـمٌ إن السـمعَ والبصـرَ والفؤادَ كلُ أولئك كان عنه مسئولا " (٣٦- الإسراء) .

إذا جاء الفؤاد مع السمع والبصر فهو الفكر ، كل أولئـك كـان عنه مسئولا ، وأعطى الله الإنسان قلبا يعقل به ، والدليـل قولـه الله تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

سورة الحج

الآن ما الفرق بين الإحساس والإدراك والعقل ؟

الإحساس : أن ترى الضوء بعينك أو أن تسمع الصوت بأذنك أو أن تشم الرائحة بأنفك أو أن تشعر بالحرارة بجلدك .

ولكن قد يضع طفل يده على أفعى يرى لها ملمسا ناعما ، يروق له منظرها يروق له ملمسها الناعم وهي أفعى ، لو كان في سن أكبر وعرف ما الأفعى لكان له موقف آخر ،ولكنه رآها بعينه ولمسها بيده وما أدرك حقيقتها .

إذن هناك فرق بين الإحساس والإدراك ، ... يمكنك أن تقرأ مقالة عن مضار التدخين وتدخن ، الإدراك أحيانا لا يكفي للابتعاد عن الشيء ، لكن في بعض الحالات إذا وصل الإدراك إلى درجة أن يعقل القلب أبعاده، عندئذ تكف عن هذا العمل .

الفرق الدقيق بين العقل وبين الإدراك ، هو أن الشيء إذا كان ضارا وابتعدت عنه معنى ذلك أنك عقلته ، قد تدرك ولا تتخذ موقفا، أما إذا عقلته لابد من أن تتخذ موقفا من هذا الشيء ، فدائما ما يكون مع العقل موقف عملي ، ومع الفكر إدراك ، و الإدراك قناعة .

أحيانا تحرك الإنسان شهواته لا قناعاته ، فمعظم الناس يعرفون الحلال والحرام ،فقد قال عليه الصلاة والسلام "الحلال بيِّن والحرام بيِّن" ، يعرفونه بعقولهم يعرفونه بفطرتهم ويعرفونه بما يُلقَى عليهم

من مواعظ وخطب ودروس دينية ، فلماذا يفعل الناس الحرام ؟ لأنهم ما عقلوا خطورته .

الحواس : تشعر تحس ، والفكر يدرك والقلب يعقل ، ولكن المُعوَّل عليه هو القلب ، حينما تأخذ موقفا عمليا ، معنى ذلك أنك عقلت الحقيقة، والدليل قول الله تعالى:

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾

سورةالأنفال

دليل آخر ، قول الله تعالى في سورة القصص :

فَإِن لَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيۡرِ هُدٗى مِّنَ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

فالإنسان لا يمكن أن يُسمَّى عاقلا إلا إذا تُرجمت أفكاره إلى ممارسات ، وإلى سلوك و مواقف ، فالذي ينجِّي الإنسان يوم القيامة ليس قناعاته ولكن تصرفاته وانضباطه والتزامه واستقامته وفعله وتركه

إذن بالحواس نحس ، بالفكر ندرك ، بالقلب نعقل ، هذه الحواس وذاك الفكر وذاك القلب هي القوة الإدراكية في الإنسان ، و لو أغفلنا

جانب الإنسان الإدراكي لصار بهيمة من البهائم فالإنسان لـــولا العلم لكان كالبهيمة تماما .

الحقيقة الثانية التي أتمنى عليكم أن تعقلوها هو أن العلـــم فـــي الإسلام ليس هدفا بذاته قال عليه الصلاة والسلام:

" تعلّموا ما شئتم فوَ الله لن تؤجَروا حتى تعملوا بما علِمتم " .

وفي حديث آخر : كل علم وَبَال على صاحبه ما لم يُعمَل به " .

فقد يحصل انحراف في طلب العلم فيصبح العلم هدفا بذاته ، أما المؤمن دائما يرى أن العلم لذاته غير مطلوب ، ولكن العلـــم مطلـــوب لهدف ، فتتعلم من أجل أن تعمل من أجل أن تطبِّق،من أجل أن تعـــرف عَظمة الله فتخشاه كما ينبغي،يقول الله تعالى:" إنَّما يخشـــى اللهَ مـــن عبادِه العُلماء " !!!! .

اسم القهار : مر معنا سابقا أن أسماء الله الحسنى لا تتغير فـــي مستوياتها ، الطبيب أحيانا يكون لديه معلومات محددة فيعالج مريضـــا في ضوء معلوماته ، وبعد ما يأخذ شهادة أعلى أصبحت معالجتـــه أدق في ضوء ما كسبه من علم جديد فكلما ارتقى علمه ارتقـــى مســـتوى معالجته ، إذا انطبق هذا على الإنسان فإن هذا لا يجـــوز أن ينطبـــق على أسماء الله الحسنى فأســـماء الله الحســـنى لا تفـــاوُت فيـــها ، فكيف يأتي اسم غير مبالغ به كالقاهر؟ لقولـــه تعـــالى فـــي ســـورة الأنعام :

وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾

وفي سورة غافر:

يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

وردت قاهر ووردت قهار ، فكيف نوفق بين أن الله عز وجل أسماؤه لا تتفاوت وبين أن يأتي اسم غير مبالغ به واسم مبالغ به ؟ هنا المشكلة .

قلت لكم من قبل أن الإنسان إذا أكل طعاما يسمى آكلا ولا يسمى أكولا إلا إذا أكل وجبة كبيرة جدا أو إذا أكل مجموعة من الوجبات المبالغة تكون تارة بالنوع وتارة بالعدد .

فأسماء الله الحسنى إذا وردت بصيغة المبالغة فالمقصود منها التكرار وليس النوع لأن مستوى أسماء الله الحسنى لا يتبدل ، الإمام أبو حامد الغزالي قال :"ليس في الإمكان أبدع مما كان" ، هو يقصد : أنه ليس في إمكاني أبدع مما أعطاني .

فالله عز وجل حكيم في خلق النملة وفي خلق المجرة ، حكيم في خلق أصغر المخلوقات وفي خلق أكبرها ، عليم بكل شيء ، فأسماؤه من حيث المستوى ثابتة لا تتبدل فإذا تبدلت فيكون هذا

بحسب المخلوقات لا بحسب الخالق ، ولكن إذا ورد اسم مبالغ به فهو لمبالغة التكرار .

الإنسان أحيانا يحارب عدواً ويقهره ، وقد لا يتمكن أن يقهر عدوا ثانيا أو ثالثا . أما إذا قال : ربنا الواحد القهار فيعني أن كل المخلوقات مقهورة بالنسبة له.

" لمَنِ المُلكُ اليوم ؟ " فيجيب الله نيابةً عن خلقه : " للهِ الواحد القهار" ، " و هوَ القاهرُ فوق عبادِ ه " ... و قال تعالى في سورة يوسف :

وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢١﴾

" واللهُ غالبٌ على أمرِه " ، هذا مغزى قصة سيدنا يوسف ، هذا المغزى موجز القصة بأكملها !!!

قصة أخرى يتجلى فيها اسم القهار ، سيدنا موسى مع فرعون ، فرعون الذي أراد أن يذبح أبناء بني إسرائيل جميعا ليمنع حدوث رؤيا قد رآها وهي أن طفلا من بني إسرائيل سوف يقضي على مُلكه ، فالله عز وجل قهره بأن الطفل الذي سيقضي على ملكه هو الذي رباه فرعون في بيته !!! والحقيقة أن كل أفعال الله عز وجل تصدر عن أسمائه أو أن أفعاله كلها فيها أسماؤه كلها وهذا ما يدعو إلى تفسير بعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن ذات الله

بضمير المفرد وبعض الآيات التي ورد الحديث فيها عن ذات الله بضمير الجمع ، مثل :

" إنا نحن نحيي ونميت وإلينا المصير " . سورة ق ، و " إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا " سورة الإنسان ، و " إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، وأقم الصلاة لذكري " سورة طه

فإذا جاء مفردا فللتعبير عن ذات الله ، وإذا جاء جمعا فللتعبير عن أن أسماء الله الحسنى جميعها واردة في أفعاله ،و أحيانا ربنا عز وجل يجمع أسماءه في أسماء موجزة ، كما جاء في سورة الرحمن :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

فالجلال صفة تشعر بالعظمة و الإكرام ، صفة تشعر بالعطاء ، فأنت في حياتك اليومية قد تتعامل مع إنسان تعظمه ولا تحبه ، وقد تتعامل مع إنسان تحبه ولا تعظمه ، والبطولة أن تجمع بين التعظيم والمحبة ، فربنا عز وجل بقدر ما هو في جلال ورفعة وعظمة وعلو شأن وكبرياء وجبروت وقهر وقدرة وغنى بقدر ما هو رحيم لطيف ودود كريم عفو غفور. هناك أسماء متعلقة بالجلال وهناك أسماء متعلقة بالإكرام ، وقد وردت هذه الأسماء في آيتين ، قال الله تعالى في سورة الرحمن :

تَبَـٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

أحيانا ربنا عز وجل في موضوع الاستقامة يذكر اسمين فقط ، مثلا قال الله تعالى :

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا

سورة الطلاق ـ آية ١٢

اختار من كل أسمائه القدرة والعلم ، لأنك لن تستقيم على أمره إلا إذا أيقنت أن علمه يطولك وأن قدرته تطولك ، ففي موضوع الاستقامة أنت بحاجة إلى أن تؤمن باسمي العلم والقدرة ، من أجل أن تستقيم ويرتفع شأنك ، لا بد من أن تؤمن باسمه ذي الجلال والإكرام .

ويقول جلّ شأنه : " يوم هُم بارزون لا يَخفَى على الله منهم شيء ، لمَن المُلكُ اليوم ؟ لله الواحد القهّار " ١٦ - غافر

وهذا الاسم ورد بشكل غير مباشر أيضاً، فقال سبحانه:

وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

سورة يوسف

أي أن أمره هو النافذ ... الحديث القدسي :

" عبدي خلقتُ لك السماوات والأرض ولم أعيَ بخلقهن أفيُعييني رغيف أسوقُه لك كل حين ؟! لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا

خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، إن رضيتَ بما قسَمتُهُ لـك أرحتُ قلبَك،و إن لم ترضَ فَوَعزَّتي وجلالي لأُسـلطنَّ عليـك الدنيـا تركض فيها ركض الوحش في البرية ثم لا ينالُك منها إلا ما قسـمتُه لك ولا أبالي ، وكنت عندي مذموما " .

" أنت تريد وأنا أريد ، فإذا سلمت لي فيما أريد ، كفيتُك ما تريـد و إذا لم تسلِّم لي فيما أريد أتعبتُك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد " .

هذا الحديث القدسي يعطي معنى القهار ، ويُفيد أن أمر الله هـو النافذ .

هناك أشخاص يقرءون بعض الكتب ، التي تتحدث عـن مكـر اليهود في العالم ، يقول لك هذا المخطط يهودي .

اليهود بشر يخططون يمكرون ، و يخدعون ... وهم من أخبـث خلق الله ، و لكن الفعل ليس إليهم ، الفعل فعل الله ، فإذا آمنتَ بأنـهم فعَّالون وأن كل ما يجري في العالم من تخطيطهم لقد ألهتَهم وأنـت لا تدري ، لكن أحيانا يقع في الأرض شيء مما خطَّطوه ، فالله عز وجـل قد يستخدم نيتهم الخبيثة في تأديب بعض العباد بدليل قوله تعالى:

وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾

سورة الأنعام

حينما تقول : فلان يفعل ؛وقعت في الشرك وأنـــت لا تــدري ، والصواب أن تقول : " واللهُ غالبٌ على أمرهِ ولكـــنَّ أكــثرَ النَّــاسِ لا يعلمون " .

القهر في اللغة يعني الغلبة ، قهَرَهُ أي غلَبَهُ، وجعلتـــه ضعيفـــا على سبيل الإلجاء ، قال تعالى :

فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾

سورة الضحى

ودائما وأبدا هناك أسماء إذا سُمِّيَ الإنسان بها فهي صفـــة ذم ، وإذا كانت من أسماء الله فهي اسم من أسماء الله الحسنى .

إذا كان هناك إنسان بحاجة إلى مساعدة وتوجَّه إلى إنســـانين: الأول غني ، والثاني فقير ، فقال له الفقير : أنا أعطيك أنا أمنحـــك ، فهو لا يملك شيئا ولقد كذب عليه ، وهذا نقص بحقه ، فلو قال له أنا لا أملك شيئا أنا فقير ، فهذا أفضل، فالكمال بحقه أن يكون صادقـــا ، أما الغني لو قال له أنا لا أملك شيئا أنا فقير وهو يملك وبإمكانـــه أن يعينه فقد كذب و هذا نقص فـــي حقـــه ، فـــالله ســـبحانه – و لـــه المثل الأعلى – إذا لجأ إليه العباد يعطيهم فإنه يعطيهم حاجاتهم ، قـــال الله تعالى :

﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

والقهار على وزن فعّال مبالغة من القاهر فيقتضي تكثير القهر التكثير العددي لأن التكثير النوعي لا يليق بحضرة الله تعالى .

كلكم يعلم أن لله عز وجل أسماء ذات وأسماء صفات وأسماء أفعال ، قال العلماء : القهر قدرة على وصف مخصوص ، كما أن الرحمة إرادة على صفة مخصوصة ، والقاهر هو القادر على منع غيره أن يفعل بخلاف ما يريد ، يعني صفة لله عز وجل في ذاته ، قدرة على نحو مخصوص يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون ، مشيئته هي النافذة ، أنت تريد وأنا أريد والله يفعل ما يريد ، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، والاسم القهار له علاقة وشيجة بالتوحيد ، الذي كما يقول العلماء :" ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد "

* فإذا قلنا أن اسم القهار هو قدرة على نحو مخصوص فهو من أسماء الذات .

* وإذا قلنا هو فعل يمنع الآخرين عن أن يفعلوا ما يريدون فهو من أسماء الأفعال .

القهار ، قال بعض المحققين إنه قهار للعدم ، فالعدم هو ما سوى الله عز وجل : ما سوى الله كان عدما فأوجده الله فهو ممكن ، وهذا الشيء الموجود بقدرة الله عز وجل لا يستمر إلا بقدرة الله ، قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ (٤١)

سورة فاطر

السماوات والأرض هذا تعبير قرآني عن الكون ، الكون كله كواكب ونجوم ومجرات ، الكون كله يتحرك وإذا لم يكن يتحرك لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، والدليل أن هناك قوى التجاذب بين الكواكب والنجوم والمجرات والمذنبات ، قوى التجاذب تقول إن النجم الأكبر يجذب الأصغر ، وهذا الجذب يتناسب مع الكتلة ومع مربع المسافة ، و قوة الجذب هذه لا تُرى بالعين كما لو جئت بمغناطيس ووضعت مسمارا وحركت المغناطيس يتحرك المسمار ، وقوى التجاذب هذه أودعها الله في الكون لحكمة بالغة فلو لم يتحرك الكون لأصبح الكون كله كتلة واحدة ، يعني الكوكب الأكبر جذب الأصغر ، فما الذي يمنع ؟ فمثلا أمسك وعاء ماء وأدره دائرية فإنك تستغرب ، إذا كان في الأعلى وفيه ماء فلماذا لا ينزل الماء فقوة النبذ (الطرد) تمنعه من النزول ، وكثير من الآلات أساسها القوة الطاردة كتجفيف الثياب في الغسالات ، وآلات عصر الفواكه .. إذن مع الدوران ينشأ قوة طاردة ، هذه القُوَى الطاردة تكافئ القوى الجاذبة ، فلولا أن الكون يتحرك لأصبح كله كتلة واحدة ، والأرض تدور حول الشمس منذ ملايين السنين فلم تنجذب إلى الشمس قال الله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾

معنى أن تزولا ، يعني يمنعها من أن تنحرف عن مسارها ، فمَن الذي قهر هذه النجوم وجعلها تبقى على مسارها ؟ الله عز وجل ، فالله عز وجل قهَّار للعدم ، فهذا الشيء الذي خلقه أصله لا شيء ، إذن هو أصله العدم ، وينتهي إلى فناء ، فكل شيء يسبقه العدم وينتهي إلى فناء فهو ممكن ، أما الله سبحانه وتعالى فهو واجب الوجود ، لا أول له ولا آخر له ، هو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية .

ربنا سبحانه وتعالى قهار للعدم بمعنى أن هذا الممكن ممكن بقدرة الله وممكن بإمداد الله وممكن بتسيير الله ، و في أي لحظة يوقف الله عز وجل عن هذا الممكن تجليه و إمداده ينعدم الممكن، هذا معنى قوله تعالى

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ

سورة البقرة ـ آية ٢٨٥

يعني قيام كل شيء في الكون بالله عز وجل ، فأول معنى

من معاني القهر أن الله عز وجل قهر الممكن وجعله قائما... جعله مستمرا ... جعله موجودا ، قال الله تعالى :

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

سورة طه

لو تُرك وحده لكان معدوما ، فكأن جوهر الممكن أنه العدم ولولا قدرة الله القاهرة في الممكن لما كان هذا الممكن موجودا ، يقول له : " كُن " فيكون ، " زُل " فيزول " !!!

فأنت وجودك بالله عز وجل ، والدليل أجهزة الإنسان ، دماغه مثلا مئة وأربعون مليار خلية ، الإدراك الإحساس الذاكرة المحاكمة التصور التخيل الغدد الصماء ، كل هذه الأجهزة أساسها أن الله عز وجل يتجلّى عليك ، بينما ينقطع التجلي عن الإنسان عند الموت ..

وازن بين إنسان في أوج نشاطه يتحرك يفكر يحاكم يتصرف يرى يسمع يشم يلمس يأخذ مواقف ينشئ مشاريع ، يترك بصمات في المجتمع وبين جثة هامدة ، الفرق بين الجثة الهامدة وبين هذا الإنسان الممتلئ نشاطا وحيوية هو التجلي الإلهي للقهار على عبده، الله عز و جل قهر المادة فجعلها تفكر و تسمع و تعقل و ترى و تشم و تبصر و تمشي و تتحرك و تغضب و تفرح وتحزن .

قال بعض المحققين القهار للعدم والوجود لأن الممكن لو ترك

وحده لكان معدوما فكأن ماهية الممكن تقتضي العدم إلا أنه سبحانه وتعالى منزّه يقهر هذه الحالة ويبدل العدم إلى وجود .

مثلا الشمس عمرها خمسة آلاف مليون سنة هذا عمر مديد وللشمس طاقة لا تخبو ، هل عندنا على الأرض مصدر طاقة لا يخبو؟! شخص ملأ خزان الوقود بعد مائتي كيلومتر ينتهي ، ملأ مستودع الوقود بمنزله بعد حين ينتهي ، كل شيء ينتهي ، أما هذه الشمس من خمسة آلاف مليون عام لا تنتهي ، هذا المعنى الأول .

المعنى الثاني ، إن أصغر كوكب في الفلك أضعاف جرم الأرض ثم إن هذه الأفلاك مع ما فيها من كواكب يمسكها الله تعالى بقدرته معلقة في الهواء كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴿٤١﴾

بعض العلماء يقولون بالحياة أربع مواد أساسية هي الماء والهواء والنار والتراب وهذه كلها متنافرة والله سبحانه وتعالى بقوته القاهرة ألَّف بينها ، من معاني قهره أنه ألف بين المتنافرات ، فأنت لا تستطيع أن تجعل البحر يحترق ، والبحر ماء لكن ربنا عز وجل قال : " والبحر المَسْجور " ، أسجر النار يعني أشعلها ، كيف ؟ أنت بالماء تطفئ النار لكن هذا الماء هدروجين وأكسجين ، الهدروجين من أشد العناصر احتراقا والأكسجين من أشد العناصر مساعدة على

الاحتراق ، حينما تشوي لحما لماذا تعرِّضه للـهواء؟ ؟ أنـت تحـرك الأوكسجين فوق الفحم لكي يزداد توهجه فالأكسجين يعين على الاشتعال والهيدروجين يشتعل ، وفي النهاية الماء يطفئ النار !!! فالله عز وجل بقدرته يجعل من هذا البحر نارا ، فمن معاني قـهر الله عز وجل أنه يؤلِّف بين الأشياء المتنافرة ، وهذه العناصر الماء والهواء والنار والتراب كلها متنافرة ومع ذلك تأتلف في المخلوقات .

شيء آخر ، إن الروح جوهر لطيف ، روحاني نوراني والبدن جوهر كثيف مظلم و بينهما منافرة عجيبة ومع ذلك أسكن الله الروح في هذا الجسد بقهره .

مثلا إن كان لديك معدن تريد لصقه يقال لك إن هذا المعدن لا يلتحم بلحام ألمنيوم يحتاج إلى لحام خاص ، فهل يلتحم الألمنيوم بلحام حديد ؟ طبعا لا لأنهما متنافران ، فالله عز وجل جعل الروح نورانية خفيفة سماوية وجعل الجسم مشدود للأرض ومع ذلك ألَّف بينهما في هذا الإنسان ، فالإنسان جسد ونفس ... أحيانا تتلألأ نفسه يبدو هذا على وجهه ، و أحيانا تُظلم نفسه ، ويبدو هذا أيضاً على وجهه . فالإنسان كائن فيه عنصر سماوي وعنصر أرضي لكنه أخلد إلى الأرض واتَّبع هواه ، قال الله تعالى : " ما لَكُم إذا قيلَ لكُم انفِروا في سبيلِ اللهِ اثَّاقَلتُم إلى الأرض؟ أرَضيتُم بالحياةِ الدنيا من الآخرة؟!

فما متاعُ الحياةِ الدنيا في الآخرةِ إلا قليل"٣٨-التوبة

و الآية تعني : اتجهتم نحو الأرض اتجهتم نحو الشهوات نحو الدنيا .

من معاني القهار أن الله تعالى يُذِلُّ الجبابرة و الأكاسرة تارة بالأمراض ، فترى ملكا من كبار الملوك عقيما و هو يحب زوجته ، فهو يدفع ألوف الملايين على أن تنجب فلا تنجب .

ملك ثان يصاب بمرض ، و لا يشفى منه مهما بذل الغالي و الرخيص ... فمن معاني القهار أن الله قهر العباد كلهم بالموت ، لا نبي و لا رسول و لا قوي و لا غني و لا صحيح و لا مريض و لا فقير و لا رُفيع و لا وضيع و لا ملك و لا وزير ، إلا و يموت . يقول الله تعالى :" إنَّك ميِّتٌ وإنَّهُم ميتون" (٣٠-الزمر) و حتى مَلَك الموت يأتي دوره يقال له:" مُت يا ملك الموت "فيذوق طعم الموت ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول "سبحان الله إن للموت لَسكرات " .

الله تعالى يذل الجبابرة و الأكاسرة تارة بالأمراض وتارة بالنكبات وتارة بالموت ، قصة النمرود مع سيدنا إبراهيم مشهورة ، لما أراد أن يذل النمرود ، أرسل الله له أضعف مخلوق من مخلوقاته وهي البعوضة فدخلت من أنفه إلى جيوبه و بدأت تتحرش به فكان يرجو كل داخل عليه أن يضربه على رأسه ، فبالضرب يسكن ألمه

قليلا ، فالإنسان ضعيف .

إن العقول مقهورة عن الوصول إلى كنه صمديته و الأبصار مقهورة عن الإحاطة بأنوار عزته ، فإياك أن تقول أنا أدرك الله لأن من معاني الإدراك الإحاطة ، فإذا أمسكت شيئا صغيرا تعرف طوله وعرضه ووزنه ، بينما عقلك يصل إلى الله لكنك لا تستطيع أن تحيط به لأن الله عز وجل لا يعرفه إلا الله ، قال الله تعالى :

وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٥﴾

سورة الإسراء

"ولا يُحيطون بشيء من علمِه إلا بما شاء" سورة البقرة

بالقدر الذي يشاء ، فعقل الإنسان مقهور عن إدراك كنه صمديته فالإنسان العاقل لا يطمع أن يجيب عن كل سؤال متعلق بالله عز وجل فليس معناه أنه جاهل .

سأل إنسان عن البحر فقال هذا البحر كم لتر ؟ فنظر إليه شخص و قال : هذا أمر بسيط ثمانية و ستون مليون و سبعمائة وستة وستون لتر ، هذا يكون جاهلا ما دام أعطى رقما ، و لكن إذا قلتَ لا أدري تكون عالماً ، لأنه ليس لديك حجوم و لا مقاييس لأعماق البحار كلمة لا أدري هي العلم وكلمة أدري هي الجهل ، لذلك قالوا عين العلم بالله هو عين الجهل به وعين الجهل به عين العلم به ، فكلما قلت أدري وكل سؤال له عندي جواب وأنا أعلم كل شيء

فهذا دليل قطعي على أنك لا تعلم ، خاصة فيما يتعلق بـذات الله عـز وجل .

ربنا قهار فهناك حوادث لا تعلم كنهها ،لذلك قُل:" سـبحان الله لا أدري ما حكمتها" ، وبلد يقع فيها زلزال قتل فيه تسعون ألفا ، هنـاك حكمة ولكن لا أعرفها فعقلي قاصر عن إدراك الحكمـة ، ليـس مـن المفروض أنه كلما وقع أمامي مشكلة أن أعطي التفسـير البسـيط ، قد يكون التفسير البسيط ساذجا ، فإذا قلـت أنـهم أصيبـوا بسـبب معاصيهم ، فهذا كلام إلى حد ما مقبول ولكن أحيانا المؤمـن يُبتلـى فالمؤمن له معاملة خاصة، له ابتلاء يرفعه درجـات ، فـالأكمل أن لا تدَّعي أنك تعرف كل شيء ، فمثلا مرض الإيدز إن قلت أنـه بسـبب انحراف السلوك الأخلاقي أو عقاب عاجل للعصاة للفجار ممكن ، لكـن هناك أشياء صعب تفسيرها ، فمثلا : لماذا هذا الشعب فقير ؟ لعـل الله عز وجل اقتضت حكمته ذلك .

المعنى السابع و الشامل ، إن جميـع الخلـق مقـهورون فـي مشيئته ، فمثلا – ولله المثل الأعلى – عندك مائة جهاز فـي البيـت كهربائيات ، وعندك مفتاح الكهرباء الأساسي فإذا أغلقته فسوف تقـف كل الأجهزة ، الثلاجة و الغسالة ، و غيرها ... فالقُوَى المُحركة بيـد الله عز وجل ، لا يستطيع إنسان أن يتحرك إلا بمشيئة الله ، إذن هـو القهار .

و بشكل عام : لا ترى شيئا سواه إلا مقهورا له تحـــــت أعـــلام عزته ذليلا في ميادين صمديته .

هناك معاني أخرى للقهار ، بعض العلماء يقول : " القاهر هـــو الذي قهر نفوس العابدين " ، وللهِ المثلُ الأعلى تكون فتاة جميلة جـــدا والخاطب غارق إلى قمة رأسه في حبـــها ، فتتحكـــم فيـــه لجمالـــها صاحب القوة كقوة المال ، يتحكم فـــي الضعـــاف ، لذلـــك ، قـــال الله تعالى :

وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾

سورة البقرة

إن كل القُوَى مصدرها من الله عز وجل ، فإذا أقبلتَ علـــى الله تسعد أضعاف ما يسعد من أحبوا أناسا من بني جنسهم!! إذا أقبلـــت على الله تَغْنَى أضعاف ما يحس به الأغنياء في الدنيـــا !! إذا أقبلـــت على الله تشعر بقوة أضعاف ما يشعر بها الموالون للأقوياء !! لـــهذا قيل :

" إذا أردتَ أن تكون أقوى الناس فتوكل على الله ،

و إذا أردت أن تكون أغنى الناس فكُن بما في يدِ الله أوثق منك بما في يديك ،

و إذا أردت أن تكون أكرم الناس فاتَّقِ الله " .

القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين فحبسها على طاعته ، العباد لمّا أقبلوا على الله وصلوا وسعدوا فحبسوا أنفسهم على طاعته ، فالله قهرهم بجماله قهرهم بكماله قهرهم بتجليه ، فالمحب لم يعد يريد من الدنيا شيئا

فما مقصودهم جنات عدن　　و لا الحور الحسان و لا الخيام

سوى نظر الحبيب فذا مناهم　　و هذا مطلب القوم الكِرام

شاب تعرف على فتاة في دمشق فخاف أهله أن يقع في شباكها فأرسلوه إلى بلد أجنبي بعيد جدا ليدرس في الجامعة وأعطوه مصاريف الجامعة وكانِ مبلغا كبيرا ، أنفق كل هذا المبلغ على مخابرات هاتفية ليتصل بها ، فهي قهرته بجمالها .

فلو عرفت الله عز وجل–ولله المَثَل الأعلى– لقهرك جماله ولقهرك كماله ، القاهر هو الذي قهر نفوس العابدين فحبسها على طاعته .

<u>فما حظ المؤمن من اسم القهار ؟</u>

إذا عرف المؤمن القهار فمعنى ذلك أنه عرف حجم عبوديته ، ، كلمة سأفعل كذا وكذا وسأعطي وسأمنع ، هذا كله يبتعد عنه المؤمن لأنه يتنافى مع اسم الله القهار . ولكن يمكن أن يكون المؤمن قهارا بمعنى خاص ، أن يقهر شهوته وأن يقهر متعلقات شهوته ، لأن

شهوته هي أعدى أعدائه ، فإذا قهر ميله وشهوته و هواه معنى ذلـــك أنه انتصر على ذاته ، وهذا معنى قوله تعالى :

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾

سورة الليل

فكل إنسان ينساق مع شهواته وميوله وأهوائه ، يتكلم كلامـــا لا يُرضي الله عز وجل ، يغتاب الناس ، يأخذ ما ليس له ، وأي حركـــة يتحركها الإنسان دون منهج الله عز وجل معنى ذلك أنه ينساق مـــع شهواته مع رغباته إذن ما طبَّق في نفسه اسم القهار .

إذن إن استطعت أن تقهر شهوتك التي هي أعدى أعدائـــك فقـد حققت في نفسك هذا الاسم العظيم ، بهذا الاسم تعـــرف ربـــك وبـــهذا الاسم تتخذ السبيل الى طاعته ومحبته ومرضاته .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الكريم

الكريم

أيها الإخوة الأكارم : الاسم اليوم اسم " الكريم " ، و هذا الاسم أيها الإخوة له دلالات كبيرة ، و يمكن للإنسان أن يتخلّق بهذا الاسم لأنه من الأسماء التي يمكن أن يتخلق بها الإنسان ، فكما تعلمون أن أسماء الله عز وجل ، منها ما هو خاص بالله عز وجل الخالق ، القديم ، ومنها أسماء أمرنا أن نتخلق بها . واسم الله " الكريم " من الأسماء الإلهية التي أُمِرنا أن نتخلق بها ، واسم الكريم ثابت بنص القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨ ﴾

سورة الانفطار

وهذه الآية تخاطب القلب والعقل معا. وقد ورد هذا الاسم ورد بصيغة اسم التفضيل في آية أخرى بقوله تعالى :

﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ۝٥ ﴾

سورة العلق

قبل أن نصل إلى ما تعنيه كلمة كريم في حق الله جل وعلا نريد أن نبدأ الحديث بما تعنيه كلمة كريم في التعامل اليومي ، كلمة كريم نستخدمها كثيرا ، فقال العلماء : " كل صفة محمودة تسمى كرما على خلاف ما يظنه معظم الناس " ، فلان كريم يعني يعطي ، كثير العطاء .

و معنى كلمة كريم : الحلم كرم ، السخاء كرم ، اللطف كرم ، الصبر كرم ، المروءة كرم .. الكرم أية صفة حميدة يتصف بها الإنسان ، بل إن الصفات الحميدة كلها تلخَص بكلمة واحدة هي الكرم ، وإن الصفات الخسيسة كلها تلخص بكلمة واحدة هي اللؤم .

قيل : الذُل : أن يقف الكريم بباب اللئيم ، فالخسيس لئيم والمتكبر لئيم ، والجَحود لئيم ، والذي يحب ذاته على حساب الآخرين لئيم ، والبخيل لئيم ، كل الصفات الخسيسة تجمعها كلمة لئيم ، وكل الصفات المحمودة تجمعها كلمة كريم ، فالناس رجلان ؛ بَرٌ كريم و فاجر لئيم هكذا قال عليه الصلاة والسلام ؛فليس معنى كريم الذي يعطي ، الحليم كريم اللطيف كريم ، الرحيم كريم ، الصافي كريم ، الودود كريم ، المنصف كريم ، ومنه :حَجَر كريم ،مثل: اللؤلؤ ، الألماس الياقوت المرجان فالياقوت حجر لكنه كريم ، والماس حجر لكنه كريم . ... يقول الشاعر :

محمد بشر وليس كالبشر بل هو ياقوتة والناس كالحجر

* * *

إذا أنت أكرمت الكريم ملكْتهُ وإن أنت أكرمت اللئيم تمَرَّدا

* * *

أُعلِّمُه الرماية كلَّ يــــوم فلما اشتدَّ ساعده رماني

وكَم علمتُه نَظْم القوافي فلما قال قافية هَجانــــــــي

ومن معاني الكريم : مَن كان كريم النسب ، فسيدنا يوسف ، هو الكريم بن الكريم ابن الكريم بن الكريم ، " يوســف أكــرم الناس " كما قال عليه الصلاة و السلام .

أو نقول : فلان كريم الطرفين ، يعني أمه كريمة و أبوه كريــم ، فقد حاز الشرف من طرفين ، من طرف أمه و أبيه .

من معاني الكريم : من كان ذا صورة حسنة ، والدليل قــول الله عز وجل حينما وصف سيدنا يوسف

فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

سورة يوسف

فالكرم يستعمل بمعنى النسب الشريف ، ولا يتحدث عن شرف النسب إلا بعد معرفة الله وتطبيق منهجه ، فإذا تحدثنا عن النسب فقط ؛ فأبو لهب ، تعرفون من أبو لهب :

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾

سورة المسد

أنا جد كل تقي ولو كان عبدا حبشيا .

لا نتحدث عن النسب إلا بعد الإيمان ، إذا أضيف النسب إلى الايمان نور على نور ، أما كما قال الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس   كقنديل على قبر المجوسي

المقام الكريم ؛ هو الجنة ، لا تعب هناك ولا نصب ولا خوف ولا حزن ولا حسد ولا تباغض ، ولا شيء يزعج ، مقام كريم في الجنة .

من معاني الكريم : الشيء العزيز ، الذي تشتد الحاجة إليه يحتاجه كل شيء في كل شيء ، ويقل وجوده ولا يستغنى عنه إطلاقا ، والدليل قوله تعالى :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

سورة الحجرات

والكريم الشيء الذي تكثر منافعه ، قال تعالى :

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ ٢٩

سورة النمل

كتاب كريم ؛ كله منافع ، كله فوائد ، كله حقائق ، كله توجيهات صائبة ، كله خيرات ، كله بركات ، اذن معنى القرآن الكريم ؛ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، القرآن الكريم ليس فيه باطل ولا غلط ، ليس فيه خلل ولا تناقض ، ليس فيه مخالفة للواقع ، ولا ضعف ، ليس فيه معالجة سريعة ،ولا معالجة متناقضة ، قرآن كريم ، خلا من كل شائبة ، يعني المعنى الذي يجمع كل هذه المعاني ، الكرم ، يعني الكمال ، قرآن كريم : أي خلا من كل عيب .

نقول ناقة كريمة ، أي غزيرة اللبن ، درها كثير ، والنبي عليه الصلاة والسلام – كما روى ابن عباس – حينما أرسل سيدنا مُعاذاً الى اليمن ، قال له :

" إنك ستأتي قوما أهل كتاب فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم

أموالهم واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينـــه وبيـن الله حجـاب
أخرجه البخاري

كرائم أموالهم : يعني عنده بقرة يحرص عليها حرصــا شـديدا دعها له خذ بقرة أخرى يختارها لك هو ، لا كما يفعل بعض النـاس ، حين يأخذون ما يعجبهم ، إذا فرضنا عليهم شيئا نـأخذ مـا يعجبنـا وندع ما لا يعجبنا ، أما السُنَّة المطهرة،فهي كما قال لـــه : " إيـاك وكرائم أموالهم " .

و سمي العنب كَرما لأنها فاكهة كثـيرة الخـير ، ظـل ظليـل ، و ثمار يانعة وقطوف دانية ، وغذاء جيد وفاكهة محبة .

أحيانا ينصب الناس خياما على مداخل البيوت هذه الخيـام مـن حين لآخر تتمزق ، تعصف بها الرياح ، تتلفها الأمطار ، ولكن أناسـا يزرعون الكرم على مداخل البيوت ، فهذا الكرم ظل ظليـل وفاكهـة دانية ويانعة ومفيدة وإلى ما شاكل ذلك .

و إذا قلنا مكارم الأخلاق ، يعني أفضلها و أحسـنها و أرفعـها و أسماها .. فهناك مكارم الأخلاق ، و الكرم و هو العنب ، و هنـاك ناقة كريمة كثيرة در اللبن ، و هناك الكتاب الكريم ، كثير الفوائـد ، و هناك الأحجار الكريمة الصافية من كل شائبة ، و هنـاك العزيـز ، الشيء النادر، و هناك مقام كريم ، و هناك الجمال الصوري .

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَئًا وَءَاتَتْ كُلَّ
وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ
أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا بَشَرًا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾

سورة يوسف

فإذا قلت : قرآن كريم يعني كتاب الله ، الله سبحانه وتعالى كماله مطلق وكلامه في كماله مطلق ، وفضل كلام الله علـــى كــلام خلقــه كفضل الله على خلقه . وقال بعض الشعراء :

وحمل الزاد أقبح كل شيء اذا كان القدوم على الكريم

الآن اذا وصفنا الله سبحانه وتعالى كما وصف هو نفســـه بأنـــه كريم :

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾

سورة الانفطار

كلمة ما غرك ، ما الغرور ؟ .. الغرور أن ترى علبة فـي الأرض تظنها شيئا ثمينا تنكب عليها تلتقطها فإذا هي علبة فارغة ظننت فيها قطعة ماس أو ظننت فيها قطعة ذهــب ، أو ســاعة ثمينـــة انكببــت عليها ، فاذا هي علبة فارغة ، هذه الحادثة اسمها الغـــرور ، أنــت اغتررت بها ، هذا المعنى هل يمكن أن ينسحب على هذه الآيــة ؟ لا ، فالمعنى الذي يليق بهذه الآية هو أنك إذا ظننـــت أن هــذا القــاضي يقبض الرشوة ، فإذا أعطيته مالا حكم لك وأنت ظـــالم ، تكــون قــد

اغتررت بنزاهة هذا القاضي . فإذا قلت يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم " ، يعني ظننت بربك غير الحق ، ظننته غير عادل ظننته غير رحيم ، ظننته غير قدير ، إذن نفيت عنه القدرة والرحمة و العدل والإنصاف ، وأنه لا ينسى عباده المؤمنين ، وأنه لن يضع الذين أفنوا حياتهم في طاعته في النار ، ولن يكافئ الذين ناصبوه العداء بالجنة ، إذا ظننت بالله غير الحق ظن الجاهلية ، فقد اغتررت بربك الكريم ، لأن الله كريم كيف تغتر به .

التعريف الدقيق لاسم الكريم ، هو الواجب الوجود المنزّه عن كل عدم وعن كل نقص ، العزيز الذي لا إله غيره .

هذا الكلام يلخص بكلمات ثلاث ، وجوده ووحدانيته وكماله ، الله كريم يعني موجود وواحد وكامل .

الآن التعاريف الدقيقة لهذا الاسم العظيم :

الكريم : هو الذي يبتدئ بالنعمة من غير استحقاق ، تفضل علينا وأوجدنا دون أن يكون لنا حق في أن نوجد ، ليس لنا حق عنده تفضل علينا و أوجدنا ، فنعمة الإيجاد ابتدأها الله دون استحقاق منا ، أنت كإنسان عندك موظف ، وأخلص إخلاصا شديدا ، وقدم جهدا طيبا ربما تكافئه ، فهذه المكافأة ، جاءت منك ليس ابتداء ولكن عقب إحسانه وإخلاصه ، مقابل شيء فعله ، أما الكريم الحقيقي ، الكريم المطلق هو الذي يبتدئ بالنعمة دون استحقاق ، ،حيث أنه أوجدنا

وأنعم علينا من دون اختيار ، و دون طلب فهو يتبرع بالإحسان من غير سؤال ، فإذا قلت يا كريم العفو .. ما هو العفو الكريم ؟ .. قد يعفو عنك شخص ، من حين لآخر يقول لك لا تنس أنك فعلت كذا ، يريحك أسبوع ، أنت فعلت كذا تقول : نعم .. جزاك الله خيرا عفوت عني ، من حين لآخر يذكرك بمساءتك ، لكنك إذا قلت يا رب ، يا كريم العفو ، فعفو الله عز وجل ليس معناه أن يلغي العقاب وليس معناه أن يُنسي الناس ذنبك ، و لكن عفو الله معناه ، أن يُنسيك أنت ذنبك ، وهذا معنى دقيق جدا ، يعني أنت صاحب الذنب من كمال عفوه عنك أن ينسيك ذنبك . " إذا تاب العبد توبة نصوحا أنسى الله حافظيه وملائكته ، وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه ، و أنساه هو نفسه " فالمؤمن ــ من كرم الله عز و جل ــ له جاهلية ، و قد ينسى أن له جاهلية ، فيعيش في جو لطيف ، الله عز و جل يكرمه ، هذا معنى كريم العفو .

و من معاني الكريم أنه يستر الذنوب و يخفي العيوب ، إنسان قد يلقى من إنسان آلاف الأعمال الطيبة ، فإذا عثر على نقص ، تشبث به و أظهره و أذاعه بين الناس ، لذلك قال عليه الصلاة والسلام : " اللهم إني أعوذ بك من جار سوء ، إن رأى خيرا كتمه ، و إن رأى شرا أذاعه اللهم إني أعوذ بك من إمام سوء ، إن أحسنت لم يقبل ، وإن أسأت لم يغفر " .

لكن الكريم يغفر الذنوب ويستر العيوب . حتى قال بعض العارفين ، والله لو عرفوا قبيح طويتي لأبى السلام علي من يلقاني ولأعرضوا عني وملوا صحبتي .

فربنا عز وجل يُظهر من عبده الكرم الجميل ويستر القبيح ، فإذا قلت يا ستار ، ستار العيوب ، يجب أن يقشعر جلدك ، لأن الله سبحانه و تعالى إذا ستر .. ستر ، أما الإنسان لابد من أن يذكر هذا العيب ، يهمسه بأذن إنسان آخر يقول : انتبه هذا الرجل فيه من العيوب كذا .. ما ستره ، لكن جميل الستر هو الله سبحانه وتعالى .

الكريم هو المتغافل ، أي الذي يتغافل، فهو لا يغفل ولكنه يتغافل، واللئيم يدقق العيوب ،و يتبع العيوب ...قال تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴿٤٢﴾

سورة إبراهيم

النبي الكريم مع أصحابه ، كانوا في وليمة وتناولوا طعام الجزور توضؤوا وصلوا الظهر جميعا ، يبدو أن أحد أصحاب رسول الله انتقض وضوؤه من دون قصد ، وعرف بعضهم ذلك ، فلما أذن العصر قال عليه الصلاة والسلام : " كل من أكل لحم جزور فليتوضأ ،

قالوا : كلنا اكلنا يا رسول الله ، قال : اذن كلكم فتوضؤوا " . لأنه كريم ، تغافل عنه فاللئيم يتبع ، يحمِّر الوجوه ، يُحرج ، يفضح فضاح ، طعّان ، ليس المؤمن بطعّان ولا فاحش ، ولا لعّان .

الكريم يتغافل واللئيم يتبع ، و الكريم ؛ إذا استغفره عباده غفر لهم ولا يذكِّرهم بأنواع معاصيهم و قبائحهم و فضائحهم .

مرة وقفت بمنطقة مشرفة على دمشق ،بها بيوت ، يسكنها فوق الخمسة ملايين من البشر، تلوت قوله تعالى :

وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء

هذه البيوت لا يعلم إلا الله ما فيها من طاعات أو من معاصي ومع ذلك يرزقهم ويعافيهم :يقول الله عز وجل في الحديث القدسي : " عبدي لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك " . و الكريم إذا أتاه عباده بالطاعات اليسيرة قابلهم بالثواب الجزيل .

إنسان يطعم لقمة ، هذه اللقمة تصبح يوم القيامة كجبل أحد ، لا أعتقد انه في الدنيا يوجد نظام تدفع له ليرة وتأخذ منه خمسة آلاف مليون ليرة ؟ بالآخرة تأخذ أكثر ، أعطيت شيئا يسيرا ، أعطيت

بعض الطاعات أنفقت بعض مالك ، ضبطت شهواتك ، التزمت طريق الحق ، فأعطاك الجنة وما فيها قال تعالى :

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾

سورة آل عمران

الكريم جعل هذا العبد الحقير ، هذا العبد الضعيف هذا العبد الذليل يرتفع !!! رفعه فقال :

﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾

سورة البقرة

فهل لنا عهد .. هل نحن ند إلى ند ؟؟!! لا ، ولكن هذا من كرم الله عز وجل خاطبنا ، حينما خاطبنا علّل أوامره ، وتعليل الأوامر إكرام لنا قال تعالى :

﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

سورة العنكبوت

الإنسان القوي يعطي أمرا لإنسان ضعيف دون تعليل افعل كذا فقط ، ولكن الله عز وجل حينما أمرنا أعطانا التعليل ، قال تعالى :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾

سورة البقرة

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

سورة التوبة

فلذلك جعلنا أهلا لمعاهدته فقال : " وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبوني " .

كريم ، والكريم جعلنا أهلا لمحبته ، قال تعالى :

يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ

سورة المائدة من الآية ٥٤

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾

سورة مريم

الكريم أعطانا الدنيا كلها ، والدليل قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

سورة البقرة

الهواء ، هل له ثمن عندكم ؟ ..إنه نعمة بلا ثمن ، تستنشق الهواء في أي مكان ، والماء ، و هذا الذي تدفعه ثمن الطعام ، هذا شيء رمزي ، من منكم يصدّق أنه يدفع ثمن التفاح ، هذا ثمن خدمة (زراعة وحصاد ونقل وتخزين وتقديم) التفاح ، أما هو فليس له ثمن ، هذا الفلاح الذي اعتنى بهذا البستان وسقاه وسمده وقطف

الفواكه و أنزلها إلى السوق ، أعطيته ثمن كيلو التفاح ، أما التفاح نفسه ، فلا يقدَّر بثمن ، لأنه من الله عز وجل .

و الآخرة أيضا ملَّكها لعباده المؤمنين و سخر الله سبحانه و تعالى ما في السماوات و الأرض جميعا منه ، تسخير تكريم وتسخير تعريف .

الكريم هو الذي يعطي من غير مِنَّة ، من الصعب أن ترى إنسانا يعطيك بلا منة ، يقول لك " لحمك من خيرِي ، أنا تفضلت عليك ، أنا أنقذتك من العدم ، أنت كنت لا شيء " . لكن العطاء من الله سبحانه وتعالى من غير مِنَّة .

كما أنه لا يحوجك إلى وسيلة ، أحيانا لا تُعطي الشخص حتى تُهلكه ، تقول له : قدِّم طلب ، هات ما يُثبت هويتك ، تعال بعد جمعة ، تعال بعد يومين ، سنجري تحقيق ، يكره العطاء لشدة التحقيقات وشدة التأجيلات والتأخيرات والتعقيدات والوثائق ، أما الكريم لا يحوجك إلى وسيلة . والكريم لا يقنِّط العُصاة من توبة ، قال تعالى :

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

سورة الزمر

الكريم ؛ إذا أعطى أجزل ، و إذا عُصِي أجمل لأنه حليم .

الكريم ؛ هو الذي لا تتخطاه الآمال .. أحيانا إنسان يـأتي إليـك يعرض عليك حاجته يتذلل ، يبذل ماء وجهه ، فـترده ... عندهـا ، ينزعك من قائمته ، ينزعك من مخيلته ، لأنك خيبت أمله ، أما إنسان يسأل الله عز وجل ويخيبه؟ لا هذا مستحيل ،فهو لا تتخطاه الآمـال .. إذا أولى فضلا أجزله ثم ستره ، يعني الكريـم إذا أعـارك بذلتـه ، يقولك : ارتديها لا شيء عليك ، ثم يفضحك أمـام النـاس . كثـيرا تلاحظ ذلك على شخص أعطى حاجة إلى إنسان .

و الكريم دائم المعروف كثير النوال ، ذو الطول والإنعـام يـداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، هذه كلها أوصاف قرآنية .

و إن الله حَيِيٌّ كريم ، ومن حيائه وكرمه أنه يستحيي من عبـده إذا رفع يديه أن يردهما خائبتين .

يقول الله في الحديث القدسي : " يا ابن " آدم كبرت سنك وانحنى ظهرك ، وضعف بصرك ، وشاب شعرك فاستحِ منـي فأنـا أسـتحي منك " !!!

و في الحديث القدسي أيضاً : " <u>ما أنصفني عبدي ، أسـتحي أن أعذبه و لا يستحي أن يعصيني " .</u>

" و ما قال عبد قط يا رب ثلاثا إلا قال الله : لبيك يا عبدي " .

بل إن الكريم يغضب على من لا يسـأله ، قـال عليـه الصـلاة والسلام : " إن الله عز اسمه كريم يحب مكـارم الأخـلاق ويبغـض سفاسفها " .

سفاسف الأمور يعني إذا رآك سخيفا ، تافهاً ، بخيل ، وأنـاني ، ومحور حياتك مصالحك ، هذه سفاسف الأمور ، و إذا اطَّلـع علـى قلبك فرآه قلبا يهتم لعامة المسلمين فهذا من مكارم الأخلاق ، فـالله عز وجل لا ينظر الى صوركم ، هذا طويل هذا قصير ، هـذا عيونـه كبيرة ، هذا عيونه صغيرة هذا ناتئ الوجنتين ، هذا غائر العينيـن ، هذا حواجبه متصلة منفصلة خده أسيل ،

عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سـلم إن الله لا ينظر الى صوركم و أموالكم و لكن ينظر إلى قلوبكـم و أعمـالكم " صحيح مسلم . و القلب محل نظر الرب .

قال : الكريم الذي لا يبالي كم أعطى ولا لمن أعطـى ، بل إن الكريم من إذا رُفعت حاجة إلى غيره لا يرضى .

أحيانا تذهب إلى إنسان تقول له : إياك أن تسأل أحدا غـيري ، هذه أعلى درجة في الكرم ، أنا أغضب لو سألت غيري .

تصور إنسانا والأمر كله بيد الله عز وجل ، يقف أمـام إنسـان ضعيف حقير ، لئيم يتذلل له ، يبذل ماء وجهه أمامه ، ثـم يـرده ،

والله سبحانه وتعالى أكرم الأكرمين ، فلذلك الكريم من إذا رفعت حاجة إلى غيره لا يرضى .

الكريم من إذا جفي عاتب وما استقصى ، وعدك أحدهم أن يزورك ، لم يأت ، عاتبته ، قال لك ابنتي كانت مريضة ، اتصلت بجاره صحيح كانت ابنته مريضة ، هذا اسمه استقصاء ، ولكن الله عز وجل يستحي منك،ويلتمس لك العذر، فمن عدم الكرم أن تستقصي الأمر .

لو إنسان اعتذر منك قال : جاءني أخي - متنصلا من ذنبه- فلتقبل منه محقا كان أو مبطلا ،فالكريم ؛ من إذا جُفي عاتب ولم يستقصي .

حديث أسرَّه النبي إلى بعض أزواجه ، فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرَّف (قال) بعضه وأعرض عن بعض ، لن تكون كريما إلا إذا كان أمامك عشرة أخطاء،فغضضت البصر عن تسعة وحاسبت على العاشر ، لأن كثرة العتاب تورث البغضاء ، فالكريم عرَّف بعضه وأعرض عن بعض .

الكريم ؛ لا يُضيِّع من لاذ به ، ولا يضيِّع من التجأ إليه ، هذه تعاريف دقيقة جدا ، الملخص : يجب أن تعتمد على الله وحده ، وأن تلتجئ إليه ، و أن تعلق عليه كل الآمال ، وأن تقطع آمالك من البشر

جميعا ، إذا كنت ترغب أن تسعد في الدنيا والآخرة ، فحيثما تعلقت بالبشر ، واعتمدت عليهم وعقدت عليهم الآمال خيبوك .

رجل له صديق تولى منصبا رفيعا ، لزمه حاجة ، فذهب إليه أقسم بالله أنه وقف أمام مكتبه ، ولم يقل له تفضل استرح ، وعندما سأله ما تريد قال : كذا ، قال ما في موافقة !!! لكن الكريم يغنيك عن الوسائل والشفعاء فصنع المعروف ، أن تكرم إنسانا دون تعقيد ، دون أن تمن عليه ، دون أن تضعه أمام عقبات تعجيزية . و الكريم من إذا هجرته وصلك .

أحيانا الإنسان العادي يكون فقيرا مثلا ، أموره غير مريحة ، تنفر نفسه من الدين ، تراه يترك الصلاة ، لكن الله عز وجل لا يدعه ، أحيانا يكرمه ، فيحل مشكلته ، يريه مناما طيبا ، العبد هجر لكن الله عز وجل وصل .

الكريم من إذا هجرته وصلك ، إذا مرضت عادك ، إذا وفيت من سفر زارك ، إذا افتقرت أحسن إليك ، فمن أدق معاني الكرم ، أن الكريم من بَني البشر إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه لأنه لم يبادر إلى قضائها قبل أن تسأله هذه الحاجة !!!هذا والله معنى دقيق .

أحيانا يكون لك أخ وهذا الأخ له كرامته ، و له مكانته ، له عزته و لكنه افتقر ، بينما حالتك المادية جيدة ، وأخوك يفضّل أن

ينسحق سحقا ولا يسألك وإذا سألك ، إعلم علم اليقين أنك إذا أحوجْته إلى أن يسألك فقد أسأت إليه .. دققوا في هذا الكلام ، إذا كنت كريما فعلا تتقصى شؤون إخوانك أقربائك ، أخواتك دون أن تحوجهم إلى أن يسألوك فالكريم من إذا رفعت إليه حاجة عاتب نفسه لِأنه لَم يبادِر إلى قضائها قبل أن تسأله .

الآن حظ العبد من هذا الاسم ، قال :قد يتصف العبد بأنه كريم ، هذا العبد الكريم ألِح عليه بطلبك ، زُره واجلس عنده ثلاث ساعات ، النتيجة هي أنه يتأفف يتضايق ، يسكت ، أو يقول لك عندي موعد ، ألح عليه بالطلب مرات عديدة يضجر منك ، قد ينهرك ، قد يقسو عيك ، إذ لا يمكنِ أن يكون الإنسان كريما كرما مطلقا ، لابد من أن يكون كريما كرما نسبيا ، لكن الكريم كرما مُطْلَقا هو الله وحده ، إن الله يحب الملحين في الدعاء أحضر لي إنسانا واحدا يحب من يلح عليه أما الله عز وجل " إن الله يحب الملحين في الدعاء " ، و يقول : من لا يدعُني أغضب عليه ، الإنسان كي يكون كريما يجب أن يتجاوز عن ذنوب المسيئين ، ويجب أن يوصل النفع إلى جميع الخلق ، أحيانا ترى بلدا متقدما المواطن في هذا البلد يحيا أرقى حياة ، له حقوق كثيرة جدا ، الطعام الشراب المسكن ، أنواع الأطعمة ، الحريات ، لكن هذا البلد المتقدم الذي يوفر لهؤلاء الناس حياة رفيعة المستوى ، هو ينهش بلحوم بقية الشعوب ، إذن هؤلاء ليسوا كرماء

هؤلاء أنانيون ،لكنهم بنوا أمجادهم وحضارتهم ورفاهية شعبهم وغِنى أبنائهم وتوافر الحاجات عندهم على نهب ثروات الآخرين ، وعلى قهر الآخرين ، وعلى سرقة ثرواتهم ، هؤلاء ليسوا كرماء ، لن تكون كريما إلا إذا عم نفعك كل الناس وكل الخَلق حتى الحيوانات .

في المداجن إذا وجدوا إنتاج الكتاكيت أكثر مما هم بحاجة إليه يضعونه في محارق... هكذا أوربا ، هكذا التعليمات .

هل يفعل هذا مسلم ؟ كتكوت يسبّح الله عز وجل تحرقه؟ ماذا عمل ؟ اجعله ينمو واذبحه وكله ، واستفِد منه ولك أجر بهذا العمل ، أما أن تحرقه بنار الدنيا هذا الكرم ؟

لن تكون كريما إلا إذا عم خيرك الناس جميعا و أنا أقول لكم والله إذا أسأت إلى مجوسي ، أو إلى عابد صنم أو إلى ملحد ، والله هذه الإساءة إثمها أضعاف مضاعفة عن إساءتك لمسلم ، لأن هذا عرَف الدين من إساءتك ، أبعدته عن الدين من إساءتك .

فالكريم من بَني البشر صفوح عن الذنوب، ستار للعيوب تارك للانتقام مسبغ للإنعام .

سمعت حادثة إنسان كان على وشك أن يلقي كيس القمامة في الحاوية فرأى كيسا فيه حركة ، دهش ، أخذ الكيس المتحرك ففتحه

فإذا فيه طفل قد وُلد حديثا ، يبدو انه ألقي خلال نصف ساعة . اخذه إلى البيت ، وأسرع به الى المستشفى ، و وضعه في الحاضنة ، واعتنى به ، إلى أن أصبح هذا الجنين طفلا ، أدخله المدرسة ، حتى أنهى الابتدائية ، ثم الإعدادي ثم الثانوي ، سمعت أنه اعتنى به عناية كبيرة ، القصة إلى هنا انتهت ، لو أن هذا الإنسان تابع العناية ، حتى جعله طبيبا ، جاء ، اشترى له عيادة ، زوجه ابنته ، أعطاه رأس مال ، هذا الإنسان الذي أنعم عليك كل هذا الإنعام ، ما موقفك منه ؟

وبعد ان أصبح طبيبا وهو راكب سيارة ، شاهد عمه الذي التقطه من الحاوية ، قال له يا بني أوصلني الى البيت ، تردد خمس ثوان ، قال له إلى البيت ؟ قال : نعم قال : تفضل . هذا التردد إجرام بحق هذا العم . كان في الحاوية كان سيموت ، صنع منه طبيبا ، فهذا إنسان فكيف خالق الأكوان ؟ من أنت ؟ .. عندك في البيت كتاب قديم مطبوع سنة الثلاثين مثلا وأنت ولدت في التاسع و الثلاثين في الأربعين في الستين ، ابحث عن كتاب تاريخه قبل ولادتك ، قل عندما صفوا الحروف أين كنت أنا ؟ .. عندما ألفه المؤلف أين كنت ؟ وقت باعوه أين كنت ؟ وقت نشروه أين كنت ؟

هذه القصة ذكرتني بموقف الصحابي الجليل عبد الله بن رواحه ، لما رأى صاحبيه قد استُشهدا وهو على وشــك مــوت ســريع جــدا قال :

أقسمتُ عليك يا نفسُ لَتنزلِنَّ مالي أراكِ تكرهين الجنة؟

يا نفسُ إلاَّ تُقتلي تموتي هــذا حِمام الموت قد صَليت

إن تفعلي فِعلَهما فقد رضيت وإن توليتِ فقد شقيتِ

أروي القصة إن صحت قال النبي عليه الصلاة والسلام : " أخذ الراية أخوكم جعفر فقاتل بها حتى قتل ، وإنــي لأرى مقامــه فــي الجنة ، ثم أخذ الرايةَ أخوكم زيد فقاتل بها حتــى قتــل وإنــي لأرى مقامه في الجنة ، ثم سكت النبي ، فقالوا ما فعل عبد الله قــال: ثــم أخذها عبد الله وقاتل بها حتى قتل ، وإني لأرى فــي مقامــه ازورارا عن صاحبيه ، يعني هبط مكانه درجة في الجنة لأنه تردد ..

هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴿١﴾

سورة الإنسان

فلذلك حق الله كبير . حينما قال ربنا في حق المنــافقين : " ولا تُصلِّ على أحدٍ منهُم مات أبداً ولا تَقُم على قبرهِ إنَّــهم كفَــروا بــالله ورسولهِ وماتوا وهم فاسقون " سورة التوبة حينما اقــترب أجــل النبي أسرَّ الى سيدنا حذيفة سرا أعطاه سبعة عشر اســما قــال لــه

هؤلاء ، إذا ماتوا بعدي لا تصلوا عليهم ، لأن الله نهانا عن أن نصلي عليهم ، كما جاء في الآية

فسيدنا حذيفة أمين سر رسول الله ، فمات سيدنا الصديق ، وجاء سيدنا عمر ، سيدنا عمر عملاق الإسلام ، الخليفة الراشد ، ثاني خليفة ، جاء إلى حذيفة قال له : يا حذيفة أنشدك الله هل رأيت اسمي بينهم .. والله ما قالها تمثيلا لا والله ، والله قالها صادقا ، لعظم حق الله عليه ، واكمل عمر : " لعلي مقصر ، لعلي منافق ، لو تعثَّرَت بغلة في العراق لحاسبني الله عنها ، جاءه من أذربيجان رسول ، كره أن يطرق بابه ليلا ، جاء للمسجد رأى رجلا يصلي ويبكي ، ويقول : " يا رب هل قبلت توبتي حتى أهنئ نفسي أم رددتها حتى أعزيها " قال له : من أنت ؟ قال أنا عمر ، قال : ألا تنام الليل ؟ ، قال له : " يا أخي إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي ، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي" أخذه إلى البيت قال : يا أم كلثوم ، ماذا عندك من طعام لضيفنا قالت له والله ما عندنا إلا خبز وملح ، قال هاته لنا ، وخيَّره أتحب أن تأكل مع فقراء المسلمين (الفقراء يأكلون اللحم) ، أم تحب أن تأكل عندي ؟ قال : لا والله عندك يا سيدي ، أنت خليفة ، عنده خبز وملح فقط قال له ما الذي جاء بك إلينا ؟ قال جئتك بهذه الهدية من أذربيجان ، علبة فيها حلوى ، لكنها درجة أولى ، قال : أو يأكل عندكم عامة المسلمين هذا

الطعام ، قال لا هذا طعام الخاصة الطبقة الراقية . الغنيـــة ، فأرسـل كتابا إلى عامله على أذربيجان عنفه فيه وقال له كل مما يأكل عامـة المسلمين وقال أعط هذه الهدية لفقـراء المسـلمين فـي المدينـة ، و حرام على بطن عمر أن يذوق طعاما لا يطعمه فقراء المسلمين .

رأى إبلا سمينة في الطريق ، قال لمن هذه الإبل ، قـــالوا هـي لابنك عبد الله ، قال : ائتوني به ، قال له : لمـــن هـذه ؟ بقسـوة ، قال : هذه إبلي اشتريتها بمالي وبعثت بها إلى المرعى لتسمن فمـــاذا فعلت ؟ اشتريتها بمالي و أسمنها لأبيعـــها و أرتـــزق بـــها " ، قـــال له : ويقول الناس ارعوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ؟ اسـقوا هذه الإبل فهي لابن أمير المؤمنين ؟ وهكذا تسمن إبلك يا بـــن أمـــير المؤمنين لأنك أنت ابني س منت هذه الإبل ، ثم قال له : بـــع هــذه الإبل وخذ رأس مالك ورد الباقي لبيت مال المسلمين .

وكان ذات مرة جالسا مع أصحابه ، قال أحدهم : والله ما رأينـــا خيرا منك بعد رسول الله (والله كلام لطيف كـــان عليـــه أن يقـــول : بارك الله فيك) ولكنه أحد إليهم النظر ، حتى كاد يأكلهم بنظراتـــــه ، إلى أن قال أحدهم : لا والله لقد رأينا من هو خير منـــك قـــال : مـــن هو ، قال : أبو بكر ، فقال رضي الله عنه كذبتم جميعـــا وصـــدق .. عد سكوتهم كذبا ، قال : والله كنت أضل من بعيري وكان أبـــو بكـــر أطيب من ريح المسك . وذات مرة سأل أحد عماله (ولاته) ، قـــال

ماذا تفعل إذا جاءك الناس بسارق أو ناهب ، قال أقطع يده ، قال له : إذن مَن جاءني من رعيتك من هو جائع أو عاطل فسأقطع يدك ، إن الله قد استخلفنا على خلقه لنسد جوعتهم ونستر عوراتهم ونوفر لهم حرفتهم ، إن وفيناهم ذلك تقاضيناهم شكرها ، إن هذه الأيدي خُلقت لتعمل فإذا لم تجد في الطاعة عملا التمست في المعصية أعمالا ، فاشغَلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية .

هذا هو عمر بن الخطاب الخليفة الذي قال لسيدنا حذيفة : أنشدك الله هل رأيت اسمي بين أسمائهم ، قال : لا والله أنت أكرمنا وأنت أرحمنا ، و أنت كذا .. خجل سيدنا حذيفة ، فهذا الكرم .

هذا الاسم الإلهي العظيم ، أمرنا النبي عليه الصلاة و السلام أن نتخلق به ، بأخلاق الله ، أن تصل من قَطَعَك ، و أن تعفو عمَّن ظَلَمك ، و أن تُعطي من حرمك ، وأن يكون صمتُك فِكرا ونُطقك ذِكرا و نَظَرك عِبرة .

الآن مع قصتين أو أكثر ، قال سيدنا موسى حينما ناجى ربه ، قال يا رب : إنه لتَعرِض إليَّ الحاجة أحيانا فأستحي أن أسألك ، أفأسأل غيرك ؟ فأوحى الله إليه أن يا موسى لا تسأل غيري ، وسلني حتى ملح عجينك وعَلَف شاتك .

ربنا عز وجل يحب المُلِحِّين ، لم لا تسألوه في السجود في صلاة السَحَر ؟ لم لا تسألوه عن حاجاتكم كلها ؟!!!

حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه جاءه إنسان ليلة يسأله حاجة ، فقال يا غلام ارفع السراج ، ولما رفع السراج : قال سلني حاجتك ، لماذا فعل هذا ، قال : لئلا أرى في وجهه ذل السؤال ، حتى لا يحرج ، حتى لا يخجل ،لا يعرف من هو ...هذا من كرم سيدنا علي .

أحد العلماء ، كان لا يناول الفقير شيئا بيده ، يضعه على الطاولة يقول له خذه لئلا تكون يده عليا ويد الفقير سفلى !!!

يحكى عن أبان بن عياش " أبان أحد الصحابة أما عياش ليس صحابيا " ، يحكى عن أبان بن عياش ، أنه قال خرجت يوما من عند أنس ابن مالك في البصرة ، فرأيت جنازة يحملها أربعة من الزنج ، ولم يكن معهم رجل آخر ، قلت سبحان الله ، سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد فلأكونن خامسهم (إذا رأى رجل جنازة ومشي فيها فلا مانع وإن كان لا يعرف الميت ، فهو ثواب له وعبرة) ، فتتبع الجنازة ، فمضيت معهم فلما وضعوها بالمصلى ، قالوا لي : تقدم قلت : أنتم أولى ، قالوا كلنا سواء لا نعرفه ، حتى دفنوه ، وصليت عليه ، وقلت لهم ما القصة ، قالوا اسأل هذه المرأة ، فهناك امرأة واقفة بعيدا ، قال : فلما سألتها ، قالت : هذا ابني كان مذنبا ، و قال لي يا أماه إذا مت فلا تخبري بوفاتي جيراني لئلا يشمتوا بي ، و اكتبي على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله

واجعليه في كفني فلعل الله تعالى يرحمني ، وضعي رجلك على خـدي وقولي هذا جزاء من عصى الله ، فإذا دفنتني فارفعي يديك إلـى الله تعالى وقولي إني راضية عنه ... تقول هذه المرأة فما رفعـت يـدي إلى السماء حتى سمعت صوته بلسان فصيح يقول : انصرفي يا أمـاه فقد قدمت على رب كريم .. هذا سر القصة .

فإذا كان الإنسان يخاف الله عز وجـل ويسـتحي منـه ، فـهذه فضيلة ، أما الأكمل ، للإنسان أن يكون بالرخاء تائبا منيبا مسـتقيما وباب رحمة الله واسع .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن يتغمدنا برحمتـه ، وأن يلـهمنا أن نكون كرماء لأنه كريم ، والكريم بالمعنى الموجز : ما كان خاليا مـن كل شائبة فكتاب كريم ومقام كريم ورب كريم وإنسان كريم ومؤمـن كريم . أي أن الكذب والنميمة والغيبة وتتبُّع العورات هذه كلها تقدح بكرم الإنسان ...

والحمد لله رب العالمين

*****

النور

النّورُ

أيها الإخوة الأكارم ، الاسم اليوم ، هو النــور ، والنــور مــن أسماء الله الحسنى التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليــه وسلم الصحيحة .

في اللغة النور هو الضوء أياً كان ، لا نحـــب أن ندخـل فـــي تفسير النور العلمي ، سواء إشعاع ، تفاعل في بنية الذرة ، موجــات تخرج من الذرة إلى الفضاء ، وكيف أن الجســم إذا ســار بســرعة الضوء أصبحت كتلته صِفراً وحجمه لا نهائيا .... هذه موضوعـــات في الفيزياء لها مجال آخر .

على كل في اللغة النور هو الضياءِ والسناء الذي يعين علـــى الإبصار، أنتم موجودون ولكم أعين ولكن هذه الأعين لا قيمة لها مــن دون هذا الضوء الذي يُعد وسيطا بينكم و بين المرئيات ، كي يعيـــن على الإبصار .

النور نوعان : دنيوي وأخروي ، و الدنيوي نوعان :

١- معقول بعين البصيرة

٢- محسوس بعين البصر.

١- المعقول بعين البصيرة : أحيانا تكون الفكرة الواضحة ، الأسلوب الذي تعلّمه الإنسان في حل المشكلات ، يُعد نورا مجازيا ، أحيانا يعاني إنسان مشكلة في آلة ،وعنده خبرة ، فيجعل هذا الشيء مكان هذا الشيء ويصل هذا الشيء بهذا الشيء فتعمل هذه الآلة ، هذه الخبرة التي يملكها ، أو هذا الأسلوب الجاهز في حل هذه المشكلة يمكن أن نسميه نورا .

وأحيانا يواجه الإنسان مشكلة لا يستطيع أن يفعل شيئا كأنه في ظلام ثم تلمع في ذهنه فكرة تحُل هذه المشكلة - فالفكر استنباط واستدلال - فإذا شبهناها بالنور التشبيه صحيح فالنور معقول بعين البصيرة و محسوس بعين البصر ، من هنا قالوا : " العلم نور " !!!

العلم يحرسك وأنت تحرس المال

والمال تُنقصه النفقة والعلم يزكو على الإنفاق .

العقل نور، و القرآن الكريم نور، أريد أن أوضّح مَثَلاً : قارورة تحوي مادة كيميائية أنت لا تعرف هذه المادة ، يا ترى مادة تلتهب أم تنفجر ! سامة ! مادة مؤذية ! نافعة ! مخدِّرة ! مسرطنة ! مادة في قارورة ، إذا لُصق على هذه القارورة لصاقة مكتوب عليها : كلوريد الصديوم هذه الكلمة كأنها نور كأن شيئا لا تراه سلّطتَ عليه ضوءا فعرفته كذلك هذه اللصاقة نور ، فالنور مادة محسوس ، وفي نفس الوقت معنوي معقول .

٣- النور المحسوس بعين البصر: هو المحسوس كنور القمر وضوء الشمس ، النور المعقول ورد في قوله تعالى :

يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ 

سورة المائدة

قد جاءكم من الله نور " الإنسان خُلق في الأرض لماذا خُلق ؟ ماذا ينبغي أن يفعل ؟ يأكل ويشرب وينام وانتهى الأمر؟ أم عليه مهمة لا يعرفها ؟ متى يموت ؟ لماذا يموت ؟ لماذا يعيش ؟ يحسن يسيء يصدق يكذب يؤتمن يخون ماذا يفعل ؟ يأتيه كتاب من الله يقول له أنت خُلقتَ لِجَنة عرضُها السماوات والأرض أنت خُلقت في الدنيا من أجل عمل صالح تبقى به في الجنة ، أنت لا يُسعدك إلا أن تتصل بالله عز وجل ، و لا تَسلَم إلا إذا أطعت الله ، لا تسعد إلا بقوب الله ، الله الذي خلق السماوات والأرض هو إله عظيم ، رب كريم ، سميع بصير، عليم قوي ، مجيب ، هذا القرآن عرَّفك بالله ، عرفك بالكون ، عرفك بحقيقة الحياة ، عرفك بحقيقة الإنسان ، قال لك : افعل و لا تفعل ، بيَّن لك الحلال و الحرام ، الخير و الشر، الحق و الباطل ، ما ينبغي و ما لا ينبغي .

إن نور المؤمن له راحة لا يعرفها غيره إطلاقا ، فكل الأمور عنده واضحة ، يعرف أن لهذا الكون خالقا ويعرف لهذا الكون مربيا ولهذا الكون مسيِّرا ، وأن الله موجود وواحد وكامل وأن أسماءه كلها حُسنى ، وأن صفاته كلها فُضلى ، وأن الله عز وجل سميع قريب ، مجيب رحيم ، ودود . الدنيا مزرعة الآخرة ، الإنسان يسعد بطاعة الله ويشقى بمعصية الله هذا الكتاب الذي بين أيدينا (القرآن) يقدم لنا راحة لا تُعد ولا تُحصى ولا توصف ، هي راحة التوازن ، أحيانا الإنسان يجد شيئا غامضا ، ويبقى في قلق منه فإذا اتَّضح انتهى الأمر ، فالله سبحانه وتعالى يقول :

قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ



سورة المائدة

هذا الكتاب هو النور ،أحيانا تشتري آلة معها تعليمات تقول: إضغط على المفتاح كذا ثم الثاني ثم الثالث تظهر على الشاشة هذه الكلمة ، افعل كذا افعل كذا كأنك تمشي على طريق واضح مستقيم كذلك القرآن الكريم فهو نور ، ومن النور المحسوس ذاك النور المعقول وهو القرآن الكريم ، أما النور المحسوس فورد في قوله تعالى :

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾

سورة يونس

و الإنسان قد يقف عند الشمس قليلا ، يقدِّر علماء الفلك أن عمر الشمس لا يقل عن خمسة آلاف مليون عام وأنها لن تنطفئ قبل خمسة آلاف مليون عام وأنها تُصدِر من الطاقة الحرارية والضوئية ما لا سبيل إلى وصفها ، فبيننا وبين الشمس مئة وست وخمسون مليون كيلو مترا ، ومع ذلك لا تستطيع أن تقف أمام أشعة الشمس طويلاً ، فكيف أشعتها هناك ؟ لسان اللهب لا يقل عن مليون كيلو متر ، الحرارة ستة آلاف درجة على سطحها ، بينما في مركزها عشرون مليون درجة !!!

كنت أقول لكم دائما إن في برج العقرب نجما أحمر اللون اسمه قلب العقرب يتسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما

من أبدع أصل النور ؟ الله عز وجل ، إن النور تفاعل يجري في مادة في بنيتها النووية ، هذا التفاعل يُنتج موجات ، فينتشر ... هذا النور ، هل له وزن ؟ لا ليس له وزن ، فحجمه لا نهائي وكتلته صفر، بل إن بعض علماء الفيزياء يقولون إن أي جسم لو سار بسرعة الضوء - الضوء سرعته ثلاثة ألف كيلو متر بالثانية - أي

جسم لو أتينا بكتلة حديد استطعنا أن نقذفها بسرعة الضوء تصبح نورا ، وتصبح كتلتها صفر وحجمها لا نهائي !!! إن موضوع النور يحتاج لجلسات علمية خاصة .

على كلٍ فالنور المحسوس مثل ضوء الشمس والقمر والقرآن الذي فيه تعليمات الصانع نور معقول ، التعليمات النظرية نور ، و البيان نور ، و الدليل نور ، و التفصيل نور ، و التوجيهات نور .

الإمام الغزالي رحمه الله يقول في تعريفه للنور في حق الله تعالى بأنه ظاهر : النور شيء ظاهر ، أحيانا ضوء ضئيل جداً يكون في الظلام الدامس ظاهرا جدا ، فالنور هو الشيء الظاهر أما أي شيء ليس له إشعاع فليس ظاهرا ، أحيانا يقود الإنسان سيارته بالليل يصدر ضوءا بعيدا ، يرى نقاط مضيئة فالنور هو الشيء الظاهر ، يقول الإمام الغزالي " الله عز و جل هو الظاهر الذي به كل ظهور ، فهو ظاهر مُظهِر " لعل النور الخفيض جدا يكون ظاهراً ... لكنه ليس مُظهر ، أحيانا قطعة فحم متأججة واضحة لكن هذه القطعة المتأججة لا تُنير غرفة !! أما مصباح كهربائي فينير غرفة .

فالإمام الغزالي يقول : " النور هو الشيء الظاهر الذي به كل ظهور، فالنور هو الشيء الظاهر في نفسه المُظهر لغيره " ، مصباح تسلطه على مكان ترى السجاد و الكرسي و القلم و الورقة

و المحبرة ... إلخ بهذا المصباح يظهر غيره ، ثم يقول هذا الإمـــام : " لذلك العدم ظلام والحـــادث نـــور ، أي : الشـــيء الموجـــود نـــور والمعدوم ظلام ، هذا معنى أعمق .

من لوازم الشيء الموجود أنه ظاهر منير بينمـــا مـــن لـــوازم الشيء المعدوم أنه مختفي ، قال مهما قوبل الوجـــود بـــالعدم كـــان الظهور علامة الوجود والخفاء علامة العدم ، قال : ولا ظـــلام أظلـــم من العدم فالمُظهِر لكل الأشياء من ظُلمة العدم إلى نور الوجود يسمى نوراً، وهو الله عز وجل وهو معنى قوله تعالى :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾

سورة النور

" الله نور السماوات " ظاهر بذاته مُظهر لغيره ، مُـــنزَّه عـــن العدم بل عن إمكان العدم ، ومُظهر غيره من ظُلمة العدم إلى ظُلمـــة الوجود ، إن الذات الظاهرة المُظهِرة هي النور وهي الله عز وجـــل ، إذن هو نور السماوات والأرض .

الإمام ابن عباس رحمه الله تعالى يقول : " النور هو الهادي الرشيد الذي يرشد بهدايته من يشاء فيبين له الحق ويلهمه اتِّباعه " .

هناك أشياء عويصة جدا ، فنجد مخترعاً يُعمِل ذِهنه سنوات طويلة وفجأة تلمع أمامه فكرة جديدة ، هذه الفكرة التي لمعت أمامه في رأي أهل الدين من إلهام الله عز وجل لأن الله نور قذف في قلبه وذهنه هذه الحقيقة فالتمعت فسُمِّي عند الناس مكتشفا أو مخترعا ، وفي الحقيقة أن هذه الومضة فضلٌ من الله عز وجل !!

حدثني صديق عما يسمى بزرع الأسنان ، فالجسم كما تعلمون يرفض الأجسام الغريبة .فهذا الصديق وضع ذات مرة ملقط من معدن معين على قطعة عظم ونسيه في المخبر، بعد حين التأم هذا العظم حول المعدن فانتبه هذا العالم إلى أن هذا المعدن يمكن أن يدخل في فك الإنسان ويلتئم النسيج العظمي حوله... هذه بارقة !! فلقد أمكن الآن زراعة الأسنان بأن نضع وتدا ضمن الفك نبني عليه سنا!! يقولون أن الاختراع أو الإبداع قفزة في المجهول ، لمعة في الذهن ... إلهام من الله عز و جل والدليل كما قال الله عز و جل :

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾

سورة يس

وما علّمناه الشعر وما ينبغي له " نفى الله عز وجل عن نبيـــه الشعر بمعنى أن الذين يُبدعون الشعر يُلهَمون من الله عــز وجــل !! فالقرآن مُنزّل عليه صلى الله عليه وسلم وليس إلهاماً !! ... معنـــى ذلك أن كل اختراع وكل اكتشاف هو في الحقيقة إلقاء مـــن الله عــز وجل في ذهن هذا العالم كبارقة أو ومضة إلا أن هذا الإلقاء يحتــــاج إلى ثمن ، الثمن هو الصدق في البحث ، لذلك قال بعـــض العلمـــاء : العبقرية تسعة وتسعون ، منها العَرَق وبذل الجهد .. و واحد بالمئـــة إلهام !!! فثمن هذه البارقة ثمن هذه الومضة ثمن هذه الفكرة الرائعـة ثمن هذا الاكتشاف هو البحث الدءوب ، فالبحث الدءوب هو ثمن هـذا الاختراع . لذلك هذا ينتهي بنا إلى معنى آخر، هو معنى الصدق .

فالله عز وجل لا يتعامل مع الناس بتمنياتـــهم ولكـــن يتعـــامل بصدقهم وإخلاصهم .

قال بعض العلماء : " النور هو الهادي " لو أن إنســـانا أضـــاع إبرة في الليل ولا يوجد ضوء فلن يراها في الليل أمـــا فـــي النـــهار فسوف يراها لأنه اهتدى بنور الشمس ، فإذا اهتديــت إلـــى حقيقـــة الإنسان وإلى سر وجوده وإلى غاية وجوده من الذي هـــداك ؟ هـــو الله ، إذن الله نور لأنه هو الهادي؛ فلا يعلم العباد إلا ما علّمـــهم الله عز وجل ولا يُدركون إلا ما يسّر الله لهم إدراكه فـــالحواس والعقـــل

فطرته وخلقه وعطيته . النور هو الظاهر الذي ظهر به كل ظهور فإن الظاهر في ذاته المُظهر لغيره يسمى نورا وهو الله عز وجل .

قال بعض العارفين : " النور هو الذي نوَّر المعالم فأوجدها من العدم " - فنَقْل الشيء من العدم إلى الوجود نور كل شيء له خصائص : كل نبات ، كل حيوان ، كل جماد ، المعادن لها خصائص ، الله عز وجل الذي أبدعها من عدم وأظهرها إلى حيز الوجود وأعطاها خصائصها :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

سورة طه

الذهب مثلا لا يتأثر بكل العوامل المحيطة به لا بماء ولا بملوحة ولا برطوبة ولا يتأكسد ولا يتأثر ، أنا قرأت مقالة عن سفينة غرقت قبل مئة وعشرين عاما ، وعليها خمسة أطنان من الذهب استطاعوا أن يصلوا إليها الآن وأن يستخرجوا هذه السبائك ، وصلت هذه السبائك - صدقوني أيها الإخوة - كأنها صُبَّت الآن !!! مئة وعشرون سنة في قاع البحر والذهب هو لم يتأثر، الله عز وجل أعطى الذهب خصائص، أعطى الألماس خصائص ، أعطى الفضة خصائص ، أعطى الرصاص خصائص ، أعطى الحديد خصائص : الحديد لا يُصهر إلا في ألف وخمسمائة درجة ، بينما الرصاص

يُصهر في مائة درجة على موقد عادي ينصهر معدن الرصاص فكل معدن ظهر وخصص نقل من العدم إلى الوجود فأعطي خصائصه والنور هو الذي نور الموجود الظاهر بالشمس والكواكب .

العوام يقولون والحق معهم : هذه جلسة فيها نور فيها سرور فيها تجلي ، أحياناً تجد إنسانا موصولا بالله عز وجل تشعر بأُنس معه ، وبسرور كأنه ينعشك ، هذا نور الله عز وجل ، فالله عز وجل خلق نورا محسوسا هو نور الشمس والقمر وفي الليل عندنا إضاءة اصطناعية لكن الله إذا تجلى على قلب الإنسان تألق هذا القلب !!!!! والدليل كما جاء في سورة الأنفال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

و قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾

سورة الحديد

فإذا طلبت مني أن أضغط الدين كله في كلمة ، أقول لك :
" المؤمن معه نور بينما الكافر أعمى " و الدليل قول الله عز وجل :

نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَـٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٨﴾

سورة التحريم

بينما الكافرون في ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ، و الدليل :

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ
أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

سورة طه

يقال له : لقد كنت أعمى في الدنيا ... إنها لا تعمى الأبصار و لكن تعمى القلوب التي في الصدور ، لذلك قال تعالى :

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ
سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾

سورة التوبة

الذي شعره أصحاب رسول الله من رسول الله شيء لا يوصف كانوا إذا جلسوا معه ارتاحت قلوبهم واطمأنت نفوسهم وكأنهم في جنة !!! .

و الله سبحانه و تعالى نور إن اتصلت به أخذت من نوره المعنوي وشعرت براحة ، وأصبحت لك رؤية صحيحة ، الأمر كله أن هناك إنسانا يرى رؤية صحيحة و إنسانا أعمى ... فالأعمى في متاهة و الذي يرى رؤية صحيحة يتحرك على هُدىً من ربه .

و قيل : النور هو الذي حسَّن الأبشار بالتصوير فأعطاك شكلا جميلا والأسرار بالتنوير ، وقيل هو الذي أحيا قلوب العارفين بنور معرفته و أحيا نفوس العابدين بنور عبادته ، و قيل هو الذي يهدي القلوب إلى إيثار الحق و اصطفائه و يهدي الأسرار إلى مناجاته و اجتبائه قال الله تعالى :

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

سورة النور

المشكاة : كُوَّة في الجدار ، فيها مصباح ، المشكاة هي الصبر و المصباح هو القلب لا قلب الجسد بل قلب النفس :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِى فِى الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

سورة الحج

أرجو الله سبحانه وتعالى أن ينور قلوبنا بنوره ، فالمؤمن رؤيته واضحة تماما مرتاح من أي مشكلة يحسن التصرف ، يملك زمام الأمر ، ينظر بنور ساطع يكشف دقائق الأمور و ملابسات الحوادث ، يقف الموقف السليم ، ينطق الكلمة المناسبة ، يفعل الفعل المناسب ، يرتاح ويُريح الآخرين ، بينما إذا كان الإنسان في عمى أساء التصرف ، أساء الكلام ،أساء الحركة أساء الموقف ، يتخبط خبطة عشواء ... هذا كله واضح .

قال بعض العارفين : " النور معناه الظاهر في نفسه بوجوده الذي لا يقبل العدم المُظهر لغيره بإخراجه من ظلمة العدم إلى نور الوجود ، وجوده سبحانه وتعالى نور فائض على الأشياء كلها وهو الذي مد جميع المخلوقات بالأنوار الحسية والمعنوية ، فعينك تحتاج إلى نور حسي وقلبك يحتاج إلى نور الوحي .

أيها الإخوة : الآن دخلنا في موضوع أنا أعده من أخطر الموضوعات : أنت لك عين ترى بها الأشياء ولك عقل تدرك به الحقائق ، فإذا قلت لك أن المعادن تتمدد بالحرارة فأنت ترى ميزان الزئبق ضع يدك عليه الخط يرتفع ترى بعينك أن هذا المعدن الرجراج

الزنبقي يتمدد بالحرارة لكن تقول : رأيت العلم نافعا لكن هـل تـرى العلم ؟ إن العلم لا يُرى بالعين لكن ترى إنسانا متعلما متزنا يُحسن التصرف حكيما سعيد في بيته يحسن معاملة زوجته ، يحسن كسب المال ، يحسن معاملة الناس ، مورده حلال ، صادقا أمينا محبوبا معززًا مبجلا ، لأنه متعلم ، لأنه حصَّل علما دينيا ، لأنه عرف الله عز وجل فهو في سعادة ، فهذا قد نفعه علمه بالدين، فرأيت أثر ذلك عليه ... فهذه رؤية قلبية إذن هناك رؤية حسية و رؤية معنوية ، الرؤية الحسية أساسها ضوء الشمس أو القمر أو الكهرباء ، و الرؤية العقلية المعنوية أساسها نور الله عز وجل ... يقول الشاعر

شَكَوتُ إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي

وأنبأني بأن العلم نور ونورُ الله لا يُهدى لعاصي

إذن أنت بحاجة لنور الشمس كي تستطيع عينك أن ترى الأشياء وأنت بحاجة لنور الله ليعرف عقلك حقائق الأشياء... ماذا نستنبط من هذا ؟ أن الانسان مهما كان ذكيا ،و مهما كان عبقريا ، و مهما كان ألمعيا ، إن لم يستنير بنور الله فهو في عمى، لذلك تجد بعض الناس وهم في أعلى درجات الذكاء يرتكبون حماقات لا تُوصف .

و الإمام القشيري يرى أن الله تعالى سمى نفسه نورا لأن منه النور ، هو منوِّر الآفاق بالنجوم والأنوار ومنوِّر الأبدان بآثار العبادات ومنوِّر القلوب بالدلائل والحجج .

سبحان الله إذا الإنسان اتصل بالله تجد على وجهه نورا وقد يكون ملوّنا لكن يوجد نور في وجهه ، فالنور الذي على وجه الإنسان - سيماهم في وجوههم من أثر السجود - بعضهم يفهم أن في جبهته أثر . لا ، ثم لا - كان النبي عليه الصلاة والسلام له وجه كالشمس ، و يصف بعض الصحابة الكرام أن الحور العين لو أطلت على أهل الأرض لغلب نور وجهها ضوء الشمس والقمر هنا يوجد معنى ثالث و هي أن العبادة تُكسب الوجه نورا لذلك قال عز وجل :

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾

سورة القيامة

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

سورة عبس

إذن العبادات تنير الوجه !!!

قالوا : الطاعة هي زينة النفوس والأشباح ، والمعـــارف زينـــة القلوب والأرواح ، والله عز وجل يزيد قلب المؤمن نورا على نـــور يؤيده بنور البرهان ثم يؤيده بنور العرفان قال تعالى :

نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَـٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

سورة النور

أحيانا يوجد برهان بياني أما بعد ذلك فهناك عرفان إشـــراقي ، أنت ممكن أن تعرف أن هذه المادة كلور الصديوم من لصاقـــة لكـــن يوجد من يعرف هذه المادة من دون لصاقة ،هذه أرقى ! هناك إنســان علمه أعمق يعرف كل خصائصها وكل مؤداها ، هناك نـــور إشــراقي ونور بياني وقال بعضهم : الله جل جلاله يهدي القلوب بنـــوره إلـــى محاسن الأخلاق لِيُؤْثِر العبد الحق ويَدَع الباطل .

يقول الإمام ابن عباس رضي الله عنه : الله هادي أهـــل الأرض والسماوات . مثل هداه في قلب المؤمن كما يكـــاد الزيـــت الصـــافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا علـــى ضـــوء فيزداد نورا على نور ، في سورة التوبة قال تعالى :

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾

إذا أراد انسان أن يقاوم الحق كأنه أراد أن يطفىء نور الله عــز وجل ، وفي سورة الزمر قال تعالى :

أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾

و في السورة نفسها :

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾

و في سورة الصف :

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾

أيها الإخوة الإنسان يطلب العلم ليكون قلبه منيرا ، كـــان عليـــه الصلاة والسلام – كما روى الترمذي – يقول في دعائـــــه : " اللــــهم اجعل لي نورا في قلبي ونورا في قبري ونورا من بين يـــدي ونـــورا من خلفي ونورا عن يميني ونورا عن شمالي ونورا من فوقي ونـــورا من تحتي ونورا في سمعي ونورا في بصري ونورا في شعري ونـــورا في بشري ونورا في لحمي ونورا في دمي ونورا في عظامي اللـــــهم أعظم لي نورا وأعطني نورا واجعل لي نورا رواه الترمذي .

إن إقبالك على الله ، واتصالك به ، ودعاؤك له ، و طاعتك له ، تكسبك هذا النور وهذا النور من أثمـــن عطـــاءات الله عـــز وجـــل ، فإنسان منوَّر يرى الحقيقة لأن قلبه منير ، الآن سمعه منــــوَّر فـــإذا استمع إلى كلام عنده ميزان يقول لك هذا الكلام غلط وهذا صـــواب ، بصره منور إذا نظر إلى الجبل يرى عظمة الله عز وجل بينما الكـــافر ينظر إلى أعلى جبل يرى مناسيبة جميلة جدا كي يتزحلق على الثلـــج فهو لا يتعامل مع الأشياء إلا بالنفع ، أما المؤمـــــن فيتعـــامل معـــها بالمعرفة فنجد في نظَرِه عِبْرَة ، إذا استمع قيَّم تقييما صحيحا ، مـــا كل شيء يسمعه يقبله ، إذا تحرك فإلى الخير، في يده نور إذا أعطـــى يعطي بالعدل ، في رجله نور إذا مشى مشى إلى طاعة الله عز وجـــل فمعنى النور أن يهديك إلى ما يرضي الله وثانيا : عندك ميزان فالنور ميزان وهدى .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آلـــــه وصحبـــه وسلم .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الهادي

الهادي

أيها الإخوة المؤمنون ، إن الله سبحانه وتعالى ، خلق ثم هدى . كما شققنا الطريق ، ثم وضعنا الشاخصات ، صنعنا الآلة وأصدرنا كتيب التعليمات ، ولله المَثل الأعلى ؛ الله سبحانه وتعالى خلق الكون ثم نوَّره .

و كلمة الهادي مأخوذة من فعل هَدَى ، والهادي اسم فاعل ، ما معنى هدى ؟ الحقيقة ربنا عز وجل يقول :

وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

سورة يونس

يعني خلقك ليسعدك ، لا سعادة تنقطع عند الموت ، ليسعدك إلى الأبد ، وما الحياة الدنيا إلا إعداد لهذه الحياة الأبدية ، و الصراط الذي أشارت إليه الآية الكريمة هو الطريق ، فالله عز وجل أعطى الإنسان حرية الاختيار ؛ فمن شاء الهدى ، هداه إلى صراط يؤدي إلى دار السلام ، فأنت خُلقت لدار السلام ، و دار السلام هي الجنة ، خلقت لدار السلام وأنت مخيَّر ، فإذا اخترت دار السلام هداك الله إلى الصراط المستقيم الذي يوصلك إلى دار السلام ، آية دقيقة جدا ، لا تظنوا كما يظن بعض الناس أن الله سبحانه وتعالى خلق الناس

لیعذبهم، لا تظنوا أن هذه المصائب عشوائية ؛ هذه المصائب مقـــررة من قِبل الله عز وجل لإلجاء العباد إلى بابه قال تعالى : "

ما معنى الهداية ؟ الهداية هي الإمالة ، و هداه أي أمالَـــه ، أي وجهه نحو الحق ، فالهداية في اللغة معناها الإمالة ، وتسمى الهَدِيَّــة هدية لأن من شأنها أن تميل قلب المُهدي إليه .

يقول الإمام الجنيد قال تعالى : " إهدنا الصـــــراط المســتقيم " ؛ يعني يا رب مل بقلوبنا إليك ، و أقم هِمَمنا بين يديك ، وكُـــن دليلنـــا منك عليك " ، النقطة الدقيقة ؛ هو أن الإنسان مخير ، و معنى مخــير أمامه عدة خيارات ، قال تعالى :

إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

سورة الإنسان

من هو الداعية ؟ هو الذي يقنعك بأن تتجه إلى طريق الحـــــق ، عن طريق ماذا ؟ عن طريـــق الإقنـــاع ، و عـــن طريـــق الدليـــل ، و عن طريق التبيين ، و عن طريق التوضيح ؛ فربنا عز و جل هـــو الهادي .

الآن : كم طريقة من الطرق يهتدي بها الإنسان ؟ .. بـــادئ ذي بدء الله سبحانه هدى الإنسان إليه عن طريق الخلق ، الكون ، فــــهو قوي ، و في الكون مظاهر قوته . هو الغني و فـــي الكـــون مظــاهر

الغني . هو عليم وفي الكون مظاهر العلم . هو رحيم وفي الكون مظاهر الرحمة . يعني بإمكانك أن تقول : إن الكون مظهر لأسماء الله الحسنى ولصفاته الفُضلى . فإذا أردت أن تفكر في الكون وصلت إلى الله ، إنه صنْعته ، منه تصل إلى الصانع . إنه خلقه ، منه تصل إلى الخالق ، إنه كوْنُه ، منه تصل إلى المكوِّن . إنه تنظيمه ، منه تصل إلى المنظِّم . به ترى العلم ، به ترى الحكمة ، به ترى القدرة ، به ترى اللطف ، به ترى العطف ، به ترى الرحمة ، به ترى الخبرة ، كل ما في الكون يدل على الله عز وجل.

لكن أحيانا تنظر إلى وردة فكأن الله سبحانه وتعالى تجلَّى عليها باسم الجميل . فإذا رأيت البحر هائجا ، تجلى الله عز وجل على البحر باسم الجبار . تارة ترى اسم الجبار ، تارة ترى اسم القهار ، تارة ترى اسم المنتقم ، تارة ترى اسم العليم ، تارة ترى اسم الحكيم ، تارة ترى اسم العلي الكبير . فكل مظهر في الكون ؛ يدل على اسم من أسمائه ؛ أو على كل أسمائه فكيف هدانا الله ؟ قال عز وجل :

قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِى ٱلۡأٓيَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٍ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠١﴾

سورة يونس

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾

سورة عبس

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

سورة الطارق

فإذا أردت أن تهتدي إلى الله فحسبك الكون ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : " حسبُكم الكون معجزة " .

هذا أول باب ، ولكن أقول لكم : إن باب الكون أوسع أبواب الهدى ، وأقرب طرق الهدى ؛ لأن الكون يضعك وجها لوجه أمام قدرة الله ، وأمام عظمته ، وأمام حكمته ، وأمام رحمته ، وأمام علمه ، وأمام خبرته . فالله سبحانه وتعالى هداك بخلقه ؛ إذن الهادي اسم من أسماء أفعاله .

يمكن أن تتأمل آلة و تقول : المهندس خبرته رفيعة المستوى . تقول : هذه الألوان التي أعطاها للآلة لطيفة فيها ذوق رفيع . تكتشف علمه،و ذوقه ، و خبرته ، لكن أحيانا توجد مع الآلة نشرة مكتوبة بتعليمات التشغيل ، ولله المَثَل الأعلى إن ربنا عز وجل أيضاً يهدي الإنسان لا بخلقه فحسب بل بكلامه ، قال :

إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾

سورة الحج

وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾

سورة التوبة

إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾

سورة النحل

إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾

سورة البقرة

وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾

سورة البروج

إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾

سورة هود

ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ
ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾

سورة الرعد

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

سورة الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

سورة هود

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ
ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

سورة الروم

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾

سورة الروم

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾

سورة فصلت

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ
وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

سورة الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ
وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

سورة الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

سورة الروم

وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾

سورة الروم

أول بند من بنود الهدى : خلقه ، فالـهادي اسم من أسماء أفعاله .

البند الثاني : أن الهادي اسم من أسماء ذاته ، لأنه المتكلم ، الله متكلم ، والقرآن كلامه .

أحيانا تنظر لشيء رائع ، أحيانا يقول لك صانع الشيء هذه صنعتُها لكذا و هذه لكذا ، وهذه المادة الأولية من أعلى مستوى ، و هذه الآلة لأجل كذا ، الآن أعطاك تعليمات من عنده مباشرة ، فالله سبحانه و تعالى- و له المَثَل الأعلى - يهدي بكلامه ، إذن الـهادي اسم من أسماء ذاته أيضاً .

إذا قرأت القرآن فإنه يبين لك أصل الخليقة ، حقيقة الحياة الدنيا ، ما بعد الدنيا ، يبين لك أسماء الله عز وجل ، يبين لك صفاته ، يبين لك أنبياءه السابقين واللاحقين ، يبين لك حكمة الوجود ، يأمرك بالصلاة ، يأمرك بالصوم وبالزكاة وبالحج ، يبين لك لماذا تصلي حين يقول سبحانه :.

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ

الآية ٤٥ من سورة العنكبوت

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾

سورة البقرة

﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾

سورة التوبة

فهو هادي ، الله هداك بكلامه ، فإذا أردت أن تقرأ القرآن ؛ فالقرآن باب إلى الله عز وجل . الكون باب ؛ لكن الكون لغة عالمية ، تتحدث إلى المسلم وغير المسلم ، العربي وغير العربي ، إفريقي ، صيني ، أمريكي ، أوروبي ، من أي مكان ، الشمس ساطعة ، النجوم زاهرة ، الكواكب متألقة ، الماء عذب زلال ، من جعله عذبا زلالا بعد أن كان مِلحا أجاجا ؟ الكون يقرأه كل إنسان ، لكن القرآن يقرأه العربي .

على كل ؛ إذا تعمق الإنسان في معرفة الله عز وجل ، تعلم العربية حُبّاً بالله عز وجل ، وقد تجد شعوبا من غير العرب أتقنوا العربية لا لشيء إلا حبا بالله عز وجل . كما أنك إذا أردت أن تأخذ شهادة عُليا من بلد أجنبي ، فإنك تسعى لأن تتعلم لغة هذا البلد ، يقول لك : لابد من أن تقضي سنتان تتعلم لغة .

طالب من طلابي نال بعثة إلى تشيكيسلوفاكيا ، فتعلم لغتهم في سنتين ، من أجل شهادة دنيوية ، من أجل حياة محدودة تعلم لغة هؤلاء كي يتعلم علمهم ، لذلك إذا عرفت الله عز وجل ، ورأيت أن كلامه شيء ثمين جدا ، وكُنت غير عربي ، تجد نفسك مَسوقا إلى تعلُّم اللغة العربية . والإخوة الأكارم الأفارقة مثلا ، الأتراك الذين وفدوا إلى هذه البلدة الطيبة ، لتعلُّم أمور الدين ؛ تراهم يُتقنون اللغة العربية ، بل إنهم ينزعجون انزعاجا شديدا لو تكلمنا بكلمة واحدة في الدرس عامية ، لأنهم لا يفهمون إلا اللغة الفصحى .

إذن إذا بلغ حبك لله عز وجل حدا معينا ؛ ترى نفسك مسوقا إلى تعلم اللغة العربية . إذن القرآن ؛ باب آخر من أبواب الهدى . الكون ؛ هداك بخلقه . والقرآن ؛ هداك بكلامه . لكن لا تنسَوا أن الله عز وجل جعل الكون كله في كفة ، وجعل القرآن كله في كفة ، قال :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾

سورة الأنعام

لأنهما يدلان عليه ، لأنهما يشيران إليه ، لأنهما يظهران أسماءه الحسنى ، و قال :

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾

سورة الكهف

الكتاب ؛ هُدى بياني ؛ والكون ؛ هدى استدلالي .

لاحظ نفسك ، أحيانا تشتري آلة من دون نشرة تعليمات تنظر إليها ، تدقق ، تستنبط ، تحرك بعض أزرارها ، تشغلها ، تحرك هذا المفتاح ، انقطع التيار ، تحرك هذا المفتاح على الصوت ؛ إذن هذه للصوت ، تحرك هذا المفتاح أصبح الصوت صافيا ؟ إذن هذا للتصفية ، تكتشفْ خصائصها بالتأمل والملاحظة ، لكن إذا رأيت معها نشرة باللغة العربية تقرؤها .. مفتاح رقم واحد للصوت ، اثنين للتصفية .. تطابق ، يمكن أن تتأمل في هذه الآلة فتصل إلى بعض خصائصها ؛ لكنك إذا قرأت التعليمات التي أصدرها الصانع تصل إلى خصائصها الكاملة . الآن هناك ميزة ؛ فأنت من طريق التأمل تصل إلى أشياء كثيرة جدا ، لكن ما كل شيء تصل إليه من خلال الكون .

الكون ؛ يدل على وجود الله ، يدل على عظمته ، يدل على أسمائه لكن الكون لا يدلك على الصلاة ، مهما تأمّلت في الكون أين الصلاة ؟ أين الخمس صلوات ؟ أين الفرائض ؟ أين السُنَن ؟ أين الزكاة ؟ أين الحج ؟ أين الصيام ؟ أين غض البصر ؟ هذه لابد لها

من منهج أنزله الله على نبيه عليه الصلاة والسلام . من اكتفى بالكون فقد أخذ شطر الدين ، لكن لابد من أن تهتدي بالكون ، ومن أن تهتدي بالقرآن .

القرآن فيه أحكام ، القرآن فيه أوامر ، القرآن فيه نواه ، فيه منهج ، فيه أخبار السابقين و اللاحقين ، فيه بيان للمستقبل البعيد ، فيه بيان ذات الله عز وجل . لا يكفي الكون وحده لا بد من أن يتكامل الكون مع القرآن .

فإذا دخلت إلى جامعة ، تأملت في قاعاتها الفسيحة ، تأملت في قاعات المحاضرات الكبيرة ، تأملت في حدائقها الرائعة ، تأملت في بيوت طلابها ، تأملت في مخبرها ، تأملت في مسرحها ، تأملت في مكتبتها أخذك العَجَب العُجاب ، لكن مهما تأملت في هذه الجامعة وفي أقواسها وقاعات محاضراتها ، مهما تأملت في بيوت الطلاب فيها وفي حدائقها وفي مكتبتها ، لا يمكن أن تصل إلى نظامها الداخلي ، لا يمكن أن تصل إلى طريقة النجاح والرسوب ، لا يمكن أن تصل إلى أسماء الأساتذة ، تأمل في الجدران ،مَن هم مدرسو هذه الجامعة ؟ لابد من كتاب تقرأه في الكليات ، أقسام الكليات ، رؤساء الأقسام ، عمداء الكليات ، أسماء الأساتذة ، اختصاصاتهم ، ميزاتهم ، موقع كل كلية ، نظامها الداخلي ، طريقة النجاح ، طريقة الرسوب ، طريقة

الانتقال ، طريقة الدرجات ، امتياز ،مرتبة شرف ، جيد ، جيد جـــدا مقبول هذا شيء لابد من أن تقرأه في النظام الداخلي .

أنا أقول هذا الكلام وأريد منه أنك إذا فكرت في الكـــون عرفــت عظمة الله عز وجل . أما إذا أردت أن تعرف منهجه ، لابد من قــراءة القرآن . والقرآن في أساسه موجز ، فيه كُليّات الدين ، جاء النبـــي عليه الصلاة والسلام فشرحه وبينه ، فإذا فكرت في الكون عرفــت أن لهذا الكون خالقاً عظيما كبيرا عليما قديرا حكيما لطيفا .. الخ .

لكنك إذا أردت أن تعبده ، إذا أردت أن تتقرب إليه ، إذا أردت أن يحبك ، ماذا تفعل ، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات من قِبَل الخـــالق ، يقول لك صُمْ شهر رمضان ، أدِّ زكاة مالك ، غُضَّ بصـــرك ، أحسِـن إلى أخيك ، إعفُ عنه ، أنت الآن بحاجة إلى تعليمات هذا الخـــالق ، أنت بعقلك عن طريق الكون آمنتَ بالخالق ، لكنك إذا أردتَ أن تعرف منهج الخالق ، أمره ونهيه ، أخباره ، ماذا يريد منك ، لماذا خُلِقْـــتَ لابد من أن تقرأ كتابه .

أذكِّركم مرة ثانية بمثال الجامعة ، دخلت إلى الجامعة ، أطلعـــوك على قاعات المحاضرات ، على بيوت الطلاب ، على الحدائق الغناء ، على الملاعب ، على المكتبة الضخمة ، أعجبت بها ؛ مهما تأملت في هذه الجامعة هل تعرف هذه الجامعة كم كلية فيها ؟ هل تعرف نظـــام النجاح فيها ؟ هل تعرف نظام الإقامة في بيوت الطلاب ؟ لا تعـرف ،

هل تعرف من هم المدرسون ؟ لا تعرف . ما أسماء الكتب المقــررة ؟ لا تعرف .

إذا كان الكون يدلك على وجود الله وعلى أســمائه الحســنى ، و القرآن يدلك على منهجه ، يعنــي إذا أردت أن تؤمــن بــه ففكــر بالكون ، و إذا أردت أن تعبده فــاقرأ القــرآن ، بــالكون تعرفــه ، وبالقرآن تعبده ، و لا يغني أحدهما عن الآخر . إذا قرأت القرآن ولــم تفكر في الواحد الديان كأنك ما قرأت القرآن ، لمــاذا ؟ لأن القــرآن يأمرك أن تفكر ، فإذا لم تفكر فقد عطلت آيات التفكر في القرآن . إذا فكرت في الأكوان ولم تقرأ القرآن عرفت الصانع ، كيف تصلي كيــف تصوم ؟ أين أمره ؟ ما عباداته؟ ماذا يريد منك لا تعرف ذلك .

إذن هو هداك بالكون ؛ فالهادي اسم من أسماء أفعاله ، وهــداك بالقرآن ؛ فالهادي اسم من أســماء ذاتــه لأن الله متكلــم ، هــداك بكلامه .

الآن بعد أن خلق الكون ، والكون دلك عليه ، وأنــزل القــرآن ، والقرآن بيَّن لك منهجه ، وأمره ، ونَهْيه ، الآن يوجد حوادث ، يوجــد تصرفات ، شيء ما يحدث ، أمطار تنهمر ، سماء تمطر ، ســماء لا تمطر ، تأتي موجة صقيع :

فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾

سورة القلم

ترى محصولا بمئة الف مليون بثلاث دقــائق ينتــهي بــالصقيع ونعوذ بالله من الصقيع ، فلله سبحانه أفعال ، كالصقيع ، والريـــاح العاتية ، والأعاصير والفيضانات والبراكين ، والزلازل ،والأمـــراض الوبيلة، فقر هذه أفعاله . خلقه يدل عليه ، و كلامه يدل عليــه ، الآن أفعاله تدل عليه :

وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾

سورة هود

وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾

سورة الشورى

فلو فرضنا أن طالبا ضرب رفيقه فضربه المعلم ، المرة الثانية لم يضرب رفيقه فلم يضربه المعلم ، و المعلم ساكت ، المرة الثالثـــة ضرب رفيقه فالمعلم ضربه ، ألا يستنبط هذا الطالب من ضرب المعلم له كلما ضرب رفيقه ؟ أن المعلـــم لا يرضيـــه أن يضــرب الطـــالب رفيقه ؟ الآن علمك لا بكلامه ، ولا بخلقه ، علمك بفعله . فإذا منـــع المسلم زكاة ماله فتلف ماله بقدر زكاة ماله ، فإن هذا تعليم له .

و إذا استطلت في أعراض النـــاس ، فالنـــاس اســتطالوا فـــي عرضك . هذه بتلك . وإذا تكبرت ؛ فأهانك الله . تواضعت ؛ فرفعــك الله . و إذا أنفقت ؛ فعوض الله عليـــك ، و إذا بخلــت ، فــأتلف الله مالك ، تعلمت الإنفاق . وإذا غضضـــت بصــرك عــن محــارم الله ،

أسعدك الله في بيتك .أما إذا أطلقت بصرك .ثم أشقاك فـــي بيتــك . كنت مع الناس صادقا ، ووثق الناس بك ،وإذا . كذبت عليهم ، فضح أمرك .

الآن بعد كتاب الله ، و بعد خلق الله ، تعـــال إلـــى أفعـــال الله ، أفعال الله وحدها تعلمك ، مرة ثانية ؛ المعلم ســـاكت لـــم يتكلـــم و لا كلمة ، حينما رآك وكزت رفيقك وأنت خارج إلى الباحة ضربك علـــى رأسك ، في الساعة الثانية ما وكزته فلـــم يضربـــك ، فـــي الســـاعة الثالثة ، و كزته فضربك و المعلم ساكت ؟ سكوته كاف ، فعله يعلّم ، أليس كذلك . طبعا قِس على هذه الفكرة آلاف القصص ، أفعـــــال الله وحدها تعلمك . كما ان خلقه يعلمك ، و كلامه يعلمك ، ربنا عز و جل قال :

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾

سورة النمل

هذا الذي غش الناس لماذا صـــودرت أملاكـــه ؟ و هـــذا الـــذي نصحهم لماذا نمّى الله ماله ؟ هذا الذي أكرمهم لماذا أكرمه النـــاس ؟ هذا الذي أعطاهم لماذا أعطاه الله ؟

إذن : <u>هو الهادي بخلقه ، و الهادي بكلامه ، و الهادي بأفعالـــه</u> ، لا أعتقد أن واحدا من الإخوة الحاضرين إلا وعلّمـــه الله بالأفعـــال ..

صليت الصبح في جماعة ، شعرت طوال النهار أن كلامك سديد ، وأن عقلك رشيد ، وأن أحوالك عالية ، وأن قلبك عامر ، وأن الناس قد هابوك ، وأن الأمور ميسرة .

في اليوم التالي لم تُصَلِّ الصبح ، فاتتك صلاة الفجر ، فتتعرض لأول مشكلة بالطريق ، و الثانية بالمحل ، و الثالثة جاءك موظف تطاول عليك ، والرابعة ذهبت إلى فلان فلم تجده .

الآن علَّمك بأفعاله ، يوم صليت الفجر في جماعة ؛ فأنت في حفظ الله وفي ذمته ، فلما فاتتك صلاة الفجر ، نبعت لك المشاكل في الطريق وفي العمل وفي البيت ؟ هذا تعليم ، الله يهديك إليه بأفعاله ، كما لو تصدقت فجاءتك منحة لم تكن بالحسبان . وكما حين سألك إنسان سؤالا أعطيته وأنت مضطر للمال ، ففتح الله عليك رزقا .

قال لي أخ : اتصلت بي أختي صباحا ، قالت لي أريد خمسة آلاف ليرة ، قال معي المبلغ ولكني في ضيق شديد ، فنشأ صراع في نفسه ، ثم غلب نفسه وذهب إلى بيت أخته وأعطاها المبلغ.

و كان له دكان في البزورية ، يقول : " جاءني شخص ، قال لي أريد هذه السلعة ، قلت : والله ليس عندي هذه السلعة ، قال أين توجد قلت في المعمل الفلاني ، قال دلني عليه ، فذهبت إليه ودللته عليه وعدت إلى محلي ، مساء يأتيني صاحب المعمل وقد أعطاني مبلغا من المال " طبعا هذا المبلغ إذا حسبه على الزبون فيه شبهة

أما إذا أعطاه له التاجر من ربحه فلا شيء فيه " قال: "أخذت ضعف ما أنفقته على أختي صباحا !!!"

وأنا متأكد أنه . لا يوجد واحد من الحاضرين إلا وعامله الله كذلك ، قال عليه السلام : " أنفِق بلال ولا تخْشَ مِن ذي العرش إقلالاً " .

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " قال الله تعالى في الحديث القدسي:" أنفِق يا ابن آدم أُنفِق عليك"

لقد علَّمك الله عز وجل ، هو يعلمك باستمرار ؟ لذلك عندما قالْ :

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾
سورة البقرة

يعلمك بأفعاله ، لكن الإنسان حينما يفهم رسائل ربه : هذه لتلك ، وهذه لتلك ... وحينما تنعقد صلة مباشرة ، و إدراك مباشر ، بينه وبين ربه فإنه يظل رتقي بدينه ودنياه..

شخص له استقامته ، وله انضباطه ، وله ورعه ، سافر إلى أوروبا وفي أول مطار ينزل به أطلق بصره إلى الحرام ، فلما وصل إلى بلد آخر استبدل العملة ، ولما ركب تاكسي ، ودفع لسائق

التاكسي أجرته ، أخذه سائق التاكسي إلى مكتب الشرطة ، لأنه اتضح أن النقود مزورة ، قال : " أنا مدعو إلى مؤتمر في أعلى درجة ، فإذا بي في قفص اتهام ؟!!!. قال : والله دمعت عيني كأنني عاتبت ربي ، قال : ووقع في قلبي " لماذا أطْلَقتَ بصرك يا عبدي" ، فهو بالأفعال يعاملك ، فهو : الهادي بالخلق ، و الهادي ؛ بالقرآن ، و الهادي بأفعاله .

الآن ، صممك الله تصميما دقيقا ، مثال ذلك في بعض المحلات التجارية ، على البضاعة يوجد سعر ،و يوجد مادة على لصاقة السعر ، إذا أخرجت هذه البضاعة دون أن تدفع ثمنها وأنت خارج تحت قوس معين يصدر صوت عال ، أما إذا دفعت ثمنها يعطل الموظف هذه المادة بمادة أخرى ، فلو رأى واحد شيئا ، قليل الحجم غالي الثمن وضعه في جيبه ولم ينتبه ، وخرج من هذا المحل ، هذا القوس الذي يخرج منه يصدر صوتا مزعجا ، كأنه يقول هذا سارق خذوه ؛ هذه البضاعة مصممة بحيث أنك إذا أخذتها من دون دفع ثمنها تصيح بك ، وهكذا صنعة الإنسان ، الله سبحانه وتعالى صمم لك نفسا إذا أسأت تشعر بالضيق ، تسميه وخز ضمير ، تسميه كآبة ، تسميه ضيق أو ، ضجر ، تقول:ضاقت علي الأرض بما رحبت ، لأن فطرتك عالية ، فأنت حينما أسأت خرجت عن قانون

فطرتك ، هكذا علّمك بالفطرة ، علمـــك بخلقـــه و علمـــك بكلامـــه ، و علمك بأفعاله ، والآن علمك بالفطرة والدليل :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾

سورة الشمس

يعني ؛ إذا فجرت ، تعرف أنها فجرت ، و إذا اتقـت ، ترتـاح ، الآن كل واحد منكم – وأنا لا أبالغ – يحس براحة نفسـية لا تُقـدَّر بثمن لأنه مطيع لله فكيف يعرف ذلك ؟ ، لو أنه زلت قدمه لا سـمح الله ، لو أنه لم يغُض بصره ، لو أنه فاته فرض صلاة ، لو أنه كذب في كلمة ، لو أنه اغتاب ، لشعر كأنه سقط من السماء إلـى الأرض ، يشعر بالضيق ، يحس بالحجاب يحس أن الله أبعده ، أن الله لعنـه ، أن الله لم يقبله ، هذا التعليم الرابع ! هداية الفطرة ، الآية الكريمة :

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٠ ﴾

سورة الروم

إقامة وجهك للدين حنيفا ؛ هو نفسه فطرة الله التي فطر النـاس عليها لا ترتاح إلا إذا عرفت الله ، لأنك إذا عرفته آويت إلـى ركـن وثيق ، فمثلاً – ولله المثل الأعلى– إذا وجد موظف في دائـرة مـن الدرجة الخامسة ،ومؤهله هو الثانوية العامة مثلاً ، لكن المدير العام يكون زوج أخته ، ترى أن هذا الموظف له وضع خاص ، مطمئـن ،

يحس بأمن عجيب بهذه الدائرة ، لا يخشى لا من رئيسه المباشـر ولا من أعلى من رئيسه ولا من المديـر المعـاون ، كلـهم مربوطـون بالأعلى والأعلى من طرفه ، فهذا إنسان مع إنسان يحـس بـالأمن ؛ فإذا كنت مع الله ؟

إذا كنت مع الله فمن عليك ؟ وإذا كان الله عليك فمن معك ؟

علَّمك بالفطرة ، الإنسان متى يرتـاح ؟ إذا أوى إلـى الله ، إذا شعر أن الله يحبه ، إذا شعر أنه بعين الله ، إذا شعر أنه بحفـظ الله ، إذا شعر أنه يحب الخلق إكراما لله ، إذا نام مساء و لم يؤذِ مخلوقـا ولم يعلق حقا برقبته ، لم يبنِ مجده على أنقاض الناس ، لـم يبـنِ ثروته على فقر الناس ، لم يبن أمنه عَلى خوف النـاس ، لـم يبـن حياته على موت الناس ، كان معطاء ، كان خيرا . إذن أنت لك فطـوة قال تعالى : " و نَفْسٍ وما سوَّاها فأَلْهَمَهَا فُجورها وتَقواها قـد أَفْلَحَ مَن زكَّاها وقد خاب مَن دَسَّاها " .

كنت في عقد قران تبعني شاب كريم ، سألني سؤالا ، هو حينمـا فعل هذا الشيء جاء بمبررات غير صحيحة ، و حينما عاد إلى بلده ، قال: والله ما أعجبتني هذه المبررات ، كأنني رسبت في امتحـان الله عز وجل ، لم يعلِّمه أحد ولا سأل أحدا ولكنه أدرك .

إذن : الله عز وجل هداك بخلقه ، وهداك بكلامه ، وهداك بأفعاله وهداك بالفطرة . الله عز وجل له أساليب كثيرة في الهُدى ، أحيانا يهديك بالإلهام قال تعالى :

وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ

الآية ٧ من سورة القصص

هذا وحي إلهام ، يقول لك : الله ألهمني أن أسافر ، الله ألهمني أن لا أشتري هذه الصفقة ، الله ألهمني أن لا أشارك فلان ، الله ألهمني أن لا أشتري هذا البيت ، ما عندي دليل ، لأنه مجرد إلهام ، كما جاء في الآية السابقة .

مرة في أحد أيام الأعياد ، نويت أن أذهب لأزور صديقي غربي دمشق ، و لكني وجدت نفسي أنساق إلى بيتي فأعود مرة ثانية دون سبب ، ولا مبرر ، فلما وصلت إلى البيت فإذا رجل يأتيني من مكان بعيد من بلد في الشمال جاء لزيارتي في العيد ، وليس له في الشام بيت آخر يبيت فيه ، كيف ؟ هذا إلهام . عندما يستسلم الإنسان لله عز وجل يلهمه الله ، وإلهامات المؤمن كلها لصالحه ، بينما إلهامات الكافر ، والفاسق ، والمنحرف ، كلها لغير صالحه ، يلهمه أن يعقد هذه الصفقة ، يفلس من خلالها . يلهمه أن يشارك فلانا ينهبه ، يلهمه أن يفتح هذه المصلحة يتدمر فيها . هذا إلهام شيطاني ، أنت بين إلهام الرحمن أو وسوسة الشيطان ، فإذا كنت مع الرحمن

ألهمك ، وإذا كان المرء مع الشيطان وسوس إليـــه . هــذه طريقــة أخرى في الهدى ، الله يلهمك ، لذلك قال تعالى :

ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

سورة طه

أحيانا يلهمك أن تزور مثلا هذا المسجد ، هناك أخ اهتــدى إلــى الله عز وجل عن طريق هذه الدروس ، كنت أسأله ســؤالا صغــيرا ، أقول له كيف عرفت هذا الجامع ؟ أسمع قصصا عجيبة واحد دخـــل ليصلي المغرب مصادفة فرأى جمعا فجلس ، كان هذا أول درس ومــا ترك بعده درس ، هناك إنسان اهتدى عن طريق صديق ، عن طريــق قريب ، عن طريق صاحب عن طريق موعد أحيانا ، هذا إلهام .

إذن فهو يهدي بخلقه ، بكلامه ، بأفعاله ، بالفطرة ، بالإلـــهام ، الآن بالرؤيا الصالحـــة هنـــاك أشـــخاص إذا رأوا رؤيـــا صالحـــة ، واضحة ، صارخة ، بارزة ، هذه الرؤيا تحملهم على طاعة الله عـــز وجل ، وهذا شيء مؤيَّد ، لأن النبي عليه الصلاة والســـلام يقــول " الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءا من النبوة " ، يعنـــي الله عز وجل إذا أراد أن يعلمك شيئا ما بطريـــق مباشـــر ، لا إســـتنباط ولا تأمل ولا إدراك ، من طريق الأفعال :

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾

سورة الأنعام

.. تفكروا في خلق السماوات والأرض ، الكون تفكر ، والأفعال نظر ، والقرآن تدبر ، لكن أحيانا يريد الله عز وجل أن يعلمك إعلاما ، مباشرا ، سريعا ، حازما ، واضحا ترى نفسك تسير في طريق الهاوية ، كأن الله يحذرك ، يعني أحيانا تتساءل عن سؤال كبير ، الله عز و جل يجيبك عن هذا السؤال في الرؤيا .

كثير من الإخوان قالوا لي انهم قبل أن يناموا حين صادفتهم مشكلات ، يتضرع كل منهم بقوله : " يا رب ألهمني الصواب " ، فرأى رؤيا صالحة كأنها إجابة لهذا السؤال ، إذن هذا هدى عن طريق الرؤيا ، لكن هنا يوجد نقطة دقيقة جدا ، أية رؤيا خالفت أوامر الشرع ؛ اسمعوا ما أقول ؛ اركلها بقدمك ، لأن الشرع هو الثابت وكل ما جاء في الرؤيا خلاف القرآن الكريم من الشيطان ، لو رأى واحد رجلا صالحا ، قال يا أستاذ ويضع لفة خضراء و وجهه يشع نورا وقال له لا تُصَلِّ ، نقول له هذه الرؤيا اركلها بقدمك ، لا تُصدق ، كل ذلك كلام فارغ ، نحن عندنا مقياس الشرع ، أية رؤيا تخالف أوامر الله تخالف شرع الله عز وجل ، لا تعبأ بها ، ولا تقم لها قيمة ، ولا تأخذ بها ، ولا تحفل بها فإنها قطعا من الشيطان .

لكن الرؤيا التي من الرحمن لها خصائص ، إذا كنت لا سمح الله منحرفا ، ورأيت رؤيا مخيفة ، فهذه من الرحمن قطعا ، وإذا كنت محسنا ، ورأيت رؤيا مبشرة ، هذه من الرحمن قطعا .

فإذا كنت محسنا ، ورأيت رؤيا مخيفة ؛ هذه من الشيطان لكي تخاف ، وإذا كنت لا سمح الله مسيئا ، ورأيت رؤيا مبشرة ؛ هذه أيضا من الشيطان .

أحيانا يهديك عن طريق خلقه ، لا عن طريق مخلوقاته عن طريق الأشخاص يعني ، يجمعك مع شخص يحكي لك موضوعا ، أنا أحيانا حينما ألتقي بإنسانا ويتكلم هذا الإنسان ، أشعر بطريقة أو بأخرى أن هذا الإنسان من الذي جمعني به ؟ هو الله ، من الذي ألهمه ؟ هو الله ، من الذي أنطقه ؟ هو الله ، يعني حينما تكون في طريق غير صحيح ، ويأتي إنسان يبين لك اعتقد اعتقادا صحيحا أن هذا الإنسان قد ساقه الله إليك ليبلغك ليعرفك ، هذا أيضا هدى عن طريق الخلق .

هناك هدى من نوع آخر ، هذا الهدى الانقباض والانبساط ، يقول لك انقبضت ، أزمعت أن تسافر إلى جهة ما ، ثم شعرت بانقباض ، أو شعرت بانشراح ، أو الأمور تيسرت أو تعسرت ، فالانقباض والتعسير والانشراح والتيسير هذا تعليم أيضا ، فإذا كان الله راضيا يصبح هناك انشراح وتيسير ، الله غير راض وأنت مؤمن عندك حساسية وعندك إدراك دقيق أنت مؤمن أصبح هناك انقباض وتعسير إذن هذا شيء لا يرضي الله عز وجل .

آخر شيء : أحيانا يسلب الله سبحانه و تعالى لب عبده أي عقله ويسيره تسييرا في جهة ما ، هذا أيضا هدى . فإذا قلنا الهادي يعني هدانا بخلق الكون ، وهدانا بالقرآن وهدانا بأفعاله وهدانا بالفطرة ، وهدانا بالإلهام ، وهدانا بالرؤيا ، وهدانا عن طريق الأشخاص ، وهدانا عن طريق الانشراح والانقباض والتيسير والتعسير ، ثم هدانا عن طريق التسيير المباشر . هذه كلها تعني أن الله هو الهادي قال تعالى :

سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾

سورة الأعلى

العلماء لهم تفسيرات دقيقة للهدى الإلهي ، قالوا : الهدى أربعة أنواع :

١- الهُدَى العام: الله عز وجل زودك بحاسة الشم ، تقول رائحة غاز . كيف هداك أنه يوجد غاز خطر بالبيت ؟ عن طريق الشم . أحيانا تسمع صوتا في الغرفة الثانية ، كيف هداك أن هناك حركة في البيت ؟ عن طريق السمع ، أعطاك حاسة الشم ، أعطاك حاسة السمع . أعطاك حاسة الإستدلال والتفكير ، أعطاك علم ، أعطاك خبرة ، أعطاك حواس خمس ، هذه كلها القدرات التي أودعها الله في المخلوقات هداهم إلى مصالحهم .

إئت بنملة ضع أصبعك أمامها تقف وتغـــير طريقــها ، معناهــا أعطاها بصر ، أعطاها إدراك أنه هنا خطر يوجد حـــاجز ، الله عــز وجل هدى كل الحيوانات ؛ عن طريق الغريزة إلى مصالحها .

أحد الأشخاص كان في بستان ، فرأى قنفذا يأكل أفعـــى ، أكــل قطعة ثم تركها وذهب إلى نبات وأكل منه ورقة ، ثم عاد ، أكل قطعــة ثانية ثم ذهب إلى هذا النبات وأكل ورقــة ثانيــة ، فـــهذا البســتاني أمسك النبات وقلعه ، أكل قطعة ثالثة ذهب للنبات فلم يجـــده فمــات القنفذ ، من هداه إلى أن هذا النبات يتناسب مع هذا الطعام ؟ الله عــز وجل

مثلا : لو أحضرنا أعلى ربان في العالم ، أعلى ربان على وجـــه الأرض ، معه شهادات عليا ومعه ألفا ساعة قيادة ســـفن ، وعنـــده دراسات وعنده اختصاص ، وعنده خبرات ، لو وضعناه على ســفينة بلا بوصلة على ساحل فرنسا ، وقلنا له : اتجه بها إلى مصب نـــهر الأمازون ، لا أبالغ ربما جاء في البرازيل فـــي الجنـــوب ، لا يوجــد إمكانية ، لو انحرف درجة ينحرف في النهاية خمسمائة كيلو مــــتر ، أما سمك السلمون يتجه من سواحل الأطلسي إلى مصبات الأنهار فـــي أمريكا ، وكل سمكة ولدت بمنبع نهر تتجه إلى مصب النهر ، وهــــذه السمكة ليست هي التي جاءت ، أمها التي جاءت إلى هنا ، تعود إلـــى مسقط رأسها هناك وتلد وتموت بعد أن تخرج من البيوض تتجه نحـو

الشرق إلى سواحل فرنسا ، فإذا كبرت عادت إلى مصبات الأنهار ، قال تعالى في سورة طه :

قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

هذه هداية ، فأول هداية : هداية عامة ، هدى الإنسان إلى طعامه صنع نسيجا ولبس ، صنع بيتا ، طَهى الطعام ، فطهي الطعام شيء معقد جدا ، تأكل الأكلة إذا فيها خلل تتضايق منها ، من هداك لوضع ملح وطحينة وكمون وفلفل وعصفر ؟ من ؟ يوجد هدى ، هدى إلى كسب الرزق ، هدى إلى تأمين المعاش ، هدى إلى تأمين الحاجات ، فهذا الهدى الأول هداية عامة .

٢- **هدى الإيمان** ، يهديك إليه ، يهديك إلى كتابه يهديك إلى الحق .

٣- **هدى التوفيق** ، قال تعالى في سورة الكهف :

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾

٤ –**هدى الجنة** ، قال تعالى في سورة محمد :

وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٤﴾
سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

يوجد هداية عامة ، يوجد هداية الإيمان وهداية التوفيق والـهدى إلى الجنة ، هذا بعض ما يمكن أن يقال في موضوع اسم الـهادي . لكن ختام هذا الدرس قوله تعالى : " واتَّقوا اللهَ ويُعَلِّمُكُم اللهُ واللهُ بكل شيءٍ عليم " هذه الواو .. الجملة ليست شرطية ، ليس اتقوا الله يعلمكم .. بل : اتقوا الله ، لماذا لا تتقونه ؟ لأنه يعلمكم ، يعلمكم دائما ، بالخلق ، وبكلامه وبأفعاله وبالفطرة وبالإلهام ، وبالرؤيا وبالخلق ، وبالقلب وبالانقباض والتيسير وبالتعسير وما إلى ذلك . " واتَّقوا اللهَ ويعلِّمُكمُ اللهُ واللهُ بكل شيءٍ عليم " .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الوهاب

الوهاب

يا أيها الإخوة الأكارم : بادئ ذي بدء ،أقول:إن الإنسان عقل وقلب ، بعقله يعرف الله وبقلبه يحبه ، وهذا الاسم اليوم متعلق بالحب ، وقبل أن أشرح معنى الوهاب لغة واصطلاحا أضرب لكم مثلا منتزعا من حياتكم اليومية : قد يوجد شاب فقير جدا يعاني من شظف العيش ومن خشونة الحياة ، لو أن إنسانا اختاره زوجا لابنته - وابنته مهذبة متعلمة مؤمنة طيِّعة - ومنحه منزلا ومنحه متجرا ومنحه مركبة ، ألا يمتلئ قلب هذا الشاب حبا وحمدا وشكرا لهذا الرجل الذي أنعم عليه بكل هذه النعم ؟! هذا شأن الإنسان .

" يقول ربنا عز وجل في الحديث القدسي : " يا داوود ذكِّر عبادي بإحساني إليهم فإن النفوس جُبلَت على حب من أحسن إليها وبُغض من أساء إليها " .

القصد من معرفة اسم الوهاب أن تحب الله عز وجل ، لأنه لا إيمان لمن لا محبة له ، ليس الإسلام حقائق ندركها وحسب ، بل هو حقائق ومشاعر ، أن يكون العقل مدركا لوجود الله ولعظمته ولأسمائه الحسنى وأن يكون القلب مفعما بحب الله ، سأضع بين أيديكم هذه الحقيقة : أقول لكم إن الذي يحرك الإنسان حبه أكثر مما يحركه عقله ، فالإنسان بدافع الحب يقدم الغالي والرخيص والنفس

والنفيس ،أمابدافع العقل فقد يقتنع وقد يعتقد وقد يوقن ولكن لا يتحرك.

لذلك فالدعاة إلى الله يجب أن يخاطبوا العقل والقلب في وقت واحد ، ربما إذا أحدثوا في العقل القناعة فهذا نصف النجاح ، أما إذا أحدثوا في الإنسان بالإضافة إلى قناعة العقل موقفا أساسه الحب فهذا كل النجاح ، أنت قبل كل شيء إنسان لك عقل ولك قلب ، العقل إذا أعملته في الكون عرفت الله ، وإذا أدركت النعم الإلهية أحببته بقلبك ، وإذا أحببت الله فقد أحسنت الاختيار ، لا يسمى الإنسان إنسانا إلا إذا أحب .

مرة كنا في الجامعة وقد أحيل أحد الأساتذة إلى التقاعد وأقيمت له حفلة طيبة وهو أستاذ في علم النفس ، قال هذه الكلمة و لا أنساها :

" الإنسان الذي لا يشعر برغبة أن يحب و لا يشعر برغبة أن يُحَب فليس من بني البشر !! فلا يمكن أن تُسمَّى إنسانا إذا كان قلبك صخرا ، أو إذا كان قلبك جامدا ... إذن لا بد من أن تحب.

الشيء الذي يلفت النظر هو : لماذا فعل أصحاب النبي عليهم رضوان الله ، المستحيلات ؟ لماذا باعوا أنفسهم لماذا قدَّموا كل شيء ؟ أحدنا لو جُرحت يده أو أصبعه لصاح ولضمَّدها ولاعتذر عن لقاءاته ولأخذ إجازة ... سيدنا جعفر تأتيه ضربة سيف تقطع يمينه

فيمسك الراية بشماله ، تأتيه ضربة سيف أخرى تقطع شماله فيمسك الراية بعضديه إلى أن يخِر شهيدا ، ما هذا الحب ؟!

الخنساء قبل أن تُسلم ملأت الدنيا صخبا وعويلا على أخيها صخر ، فلما استُشهد أولادها الأربع في معركة القادسية ، ما زادت على أن قالت : " الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم ، وأرجو الله أن يجمعني معهم في مستقر رحمته " !!!

خُبَيب بن عَدِي وهو على مشارف القتل ، صلبه المشركون في جذع نخلة ، تمهيدا لرميه بالسهام ، قال له أبو سفيان : أتحب أن يكون محمد مكانك ؟ قال : " والله ما أحب أن أكون في أهلي وولدي وعندي عافية الدنيا ونعيمها ويُصاب رسول الله بشوكه " ما هذا الحب ؟ اقرءوا تاريخ الصحابة أيها الإخوة تجدوا العجَب العُجاب ، تجدوا شيئا لا يُوصَف .

سيدنا الصديق وهو خليفة رسول الله ، من أعماله الطيبة أنه كان يحلب شياه جيرانه ، يبدو أنه قد توفي الزوج وليس عندهم من يرعى شؤونهم ، فكان يقوم بخدمة حلب شياههم ، فلما صار خليفة ظن الجيران أنه سينقطع عن هذه الخدمة ، ولكنه ذهب إليهم وطرق الباب ، ففتحت البنت ، قالت الأم : يا بُنيتي من الطارق ؟ فقالت البنت : يا أمي جاء حالب الشاة ... ما هذا ؟ رئيس دولة ، خليفة رسول الله ..

الذي ظهر من الصحابة في عهدهم شيء لا يُصدَّق ، أساسه الحب ، لأنهم أحبوا الله عز وجل .

و أنا أقول لكم : الذي يبذل ويضحِّي ويقف عند حدود الله ويتجشم المشاق في سبيل الله فإن الذي حرَّكه هو الحب ، والذي يُسعِد هو الحب ، فلن تسعد إلا إذا أحببت الله عز وجل ، والله سبحانه وتعالى بابه مفتوح في كل وقت لمَن يريد ، بينما هناك شخصيات من البشر لا تفتح بابها في أي وقت ، وتفتح بابها لأُناس دون أناس ، يَقبلون أُناسا ولا يقبلون آخرين يُسترضَون وقد لا يَرضون ، و لكن سبحانه وتعالى بابه مفتوح لكل الخلق ورضاه سهل ، وقلبه رحيم،وعطاؤه جزيل ... فإذا رجع العبد العاصي إلى الله ، نادى مُنادٍ في السماوات والأرض أن هنِّئوا فُلانا فقد اصطلح مع الله !!! .

إذا تأملنا في اسم الوهاب بحسب فطرتنا لوجدنا أنه يجب أن يمتلئ قلبنا حبا لله ، فإذا امتلأ قلبنا حبا لله رأينا من معاملة الله لنا ، رأينا من تجلِّيه على قلوبنا رأينا من التوفيق ، رأينا من السداد ، رأينا من الرَّشاد ، رأينا من الشعور بالتفوق ، رأينا من الشعور بالفلاح ما لا سبيل إلى وصفه .

إذن الإيمان أساسه الحب ، هذا القلب متـــى يضطـرب ؟ مــن علامات الإيمان أنه إذا ذُكر الله وجل قلب المؤمن ، و الدليـــل قولـــه تعالى :

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾

سورة الأنفال

هذا من العلامات القلبية ، فالإنسان لا يجامل نفسه ولا يتملـــق نفسه، بل يتعهد قلبه ويتفحصه ، ويسأل نفسه السؤال الحرج ، مـــن أحب ؟؟؟ إن ادّعاءات الحب كثيرة ، فلما كثر دُعاة المحبة طالبهم الله بالدليل ، قال الله تعالى :

قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾

سورة آل عمران

إذن دليل حب الله هو طاعته وطاعة رسوله واجتناب مـــا نـــهى عنه الله ورسوله .

فنحن غارقون في النعم ، لاحظ نفسك لو ركبت ســـيارة عامـــة وبجانبك صديق دفع عنك ثلاث ليرات ونصف ، تشكره و تبالغ فـــي شكره وتخجل وقبل أن تنزل تدعوه إلى البيت ، لأنه دفع عنك ثـــلاث

ليرات ونصف .. راقب نفسك ، لو أن إنسانا قدم لك هدية فإنك تذوب خجلا أمامه ، تعبِّر عن امتنانك وعن شكرك وعن محبتك وتوعده بزيارة وتدعوه لأنه قدم لك هدية ، هكذا النفس البشر.

فما الفرق بين المؤمن و الكافر ؟ الكافر يبقى في النعمة والمؤمن ينتقل منها إلى المنعِم .. معقول أن تدخل إلى بيت وأنت في حال جوع شديد ترى طعاما نفيسا ألوانا منوعة ، أطعمة فاخرة ، مقبِّلات ، طعام من الدرجة الأولى ، ووراءه الحلويات ووراءه الفواكه ، تأكل بنهم وتنتهي من الطعام وتتجه نحو الباب وتخرج؟ هذا شأن الإنسان !!! لا حظ نفسك لو أن أحدا دعاك إلى طعام فقبل أن تنتهي من الطعام تقول له أكَل طعامَك الأبرار أو تقول له نعمة دائمة.أو أكرمتنا أكرمك الله ، والله يديم عزك والله يبارك فيك ، تتفنن بالعبارات ، تذوب خجلا .. فلماذا إذا جاءتك نعمة من إنسان تذوب خجلا وإذا أنعم الله عليك بنعم لا تقدر فإنك تسهو عن شكره ؟؟؟!!

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾

سورة البلد

هاتان العينانترى ابنك الصغير ترى أهلك ترى إخوانك ترى الغابات ترى الأشجار ترى الأزهار ترى من تُحب ترى معالم الطبيعة ترى الألوان ترى الأشخاص ، تسير في الطريق مرتاحا مطمئنا ، الطريق واضح أمامك ، تقرأ ، تطلع تطالع تنظر تستمتع :

مرة ذهبت إلى إنسان لا يتكلم ويعمل في طلاء الأثاث وأردت أن أتكلم فأشار إليّ أن أتحدث مع الصانع ، فتكلمت مع الصانع ، نظرت فرأيت لغة جديدة بينهما ، هي لغة الإشارة ، فحمدت الله على نعمة النُطق !!! قال الله تعالى :

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ

سورة البلد

تتكلم وتعبر عن مشاعرك وعن أحوالك وعن قناعاتك ، تقول أنا اليوم قرأت مقالة كذا ، تعبر عن تفسير آية ، عن قصة ممتعة ، تتصدر المجالس تتحدث مع أهلك وأولادك .

علمونا في الجامعة في التربية أن الإنسان حينما يُولد لا يملك إلا رد فعل واحد ، فلو فرضنا أن أحدهم مسك بجمرة فإنه يسحب يده فوراً دون تفكير– صُنع الله الذي أتقَن كل شيء – فإذا جاء تنبيه عصبي بالحرارة يأتي الأمر لا من الدماغ بل من النخاع الشوكي ، هذا يسمونه المنعكس(أو رد الفعل) الشرطي اكتشفه عالم يدعى " بابلوف " ، ولولا هذا المنعكس لما كنا في هذا المسجد ، لما عاش إنسان ... لمجرد أن يولد الطفل يعطى ثدي أمه يضع شفتيه على ثدي أمه ، يحكم شفتيه على الثدي ، ولو سمح للهواء أن يمر لا يستطيع الرضاعة فلابد من إحكام شفتيه على حلمة الثدي وبعدئذ

يسحب الهواء ، هذا منعكس معقد جدا ، حينما يولد الإنسان يكون مزودا بهذا المنعكس .

و ما سوى ذلك من المفاهيم من التخيلات ، يقول لك الطفل الصغير عن كل رجل أبوه ، بعد حين يقول عمو ، فصل بذهنه مفهوم الوالد ومفهوم العم ، أول فترة كل رجل أب وبعد ذلك يظهر عنده مفهوم الرجل ، إنسان يفصل مفهوم الرجل عن مفهوم العم والوالد ، كيف تنشأ هذه المفاهيم ؟ يقول شجرة يتصور الطفل معنى الشجرة ، لا يتصور برتقالة ولا جوز ، يتصور مفهوم مجرد ، شجرة ، لو تتبعنا كيف تتشكل في الدماغ المفهومات والمصطلحات ، كيف يتعامل الإنسان ويفكر ، كيف يتعامل بالرموز ،لعلمنا أنه عالَم قائم بذاته .

مائة وأربعون مليار خليةِ سمراء لم تُعرف وظيفتها بعد في الدماغ فالدماغ عاجز عن فهم ذاته . فالفرق بين المؤمن والكافر أن المؤمن ينتقل من النعمة إلى المنعِم ، وغير المؤمن من الكفار و الفساق و الفجار يستمتعون بالنعم أعلى استمتاع و لكنهم غفلوا عن المنعم وغفلتهم عن المنعم سوف تودي بهم إلى النار إلى أبد الآبدين . أما المؤمن فيفكر من أين هذه النعمة ، كل أخ منكم يدخل إلى بيته يلقى زوجة لها مشاعر وتفكير ، تجد الطعام جاهزا والبيت نظيفا ، هذه هدية من الله عز وجل .

الإنسان في ساعة غفلة يقول أنا تزوجت وأنا كديت وسعيت بكد يميني وعرق جبيني وأسَّستُ هذا البيت وفرشته وجمعت مهرا واخترت فلانة هذه هي الغفلة عن الله عز وجل ، هذه الزوجة هدية قدمها الله لك ، وهذا الطفل الذي يملأ بيتك سرورا وسعادة من جعله بهذه النفسية اللطيفة ؟ من جعله بريئا من جعله ساذجا ؟ لو كان الطفل الصغير يتعامل معك تعامل الكبير لن تحبه ، إذا تكلمت معه كلمة ، يخاصمك شهرا .. قد تؤنبه وتوبخه وبعد قليل يقبل عليك ويقبلك ، من جعل الطفل بهذه النفسية من الصفاء بهذه الذاتية ، من جعل الطفل بهذا الحب الذي أودعه الله عز وجل بقلبه لأمه وأبيه .

في علم النفس تجربة هي أن حياة الإنسان النفسية أساسها الدماغ هكذا يقول العلماء ، فوجدوا طفلا دماغه سائل ، حالة نادرة ، فصار يبكي فلما جاءت أمه سكت ، معنى ذلك أن في الإنسان نفسا ، هذه النفس حتى الآن لا يستطيع أحد أن يكشف حقيقتها ، أساسا " الإنسان ذلك المجهول " عنوان كتاب شهير محوره أن العالم الآن ما عرف إلا شيئا طفيفا عن طبيعة الجسد ، أما طبيعة النفس فلا تزال سرا مجهولا ، قال الله تعالى :

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

سورة الإسراء

يعني إذا تحدثنا عن اسم الوهاب ورأيت النعم التـــي وهبـــك الله إياها يجب أن يكون رد فعلك هو الحب لله تعالى ، والحب من علامتـــه الطاعة . يقول الشاعر:

تَعصي الإلَه وأنت تُظهر حُبَّهُ؟! *ذاك لعَمري في المَقال شنيع*

لو كان حبك صادقا لأطعتَه *إن المُحبُّ لمَن يُحبُّ مُطيعُ*

وإذا تحدثنا عن الآيات الكريمة التي ورد فيها اسم الله الوهاب :

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾

سورة آل عمران

لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾

سورة الشورى

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

سورة مريم

وهَبَ ، فعل ماض ، يهب فعل مضارع ، هب فعل أمر ، معقـــول أن إنسانا يأمر الله عز وجل ؟ لا فقد قال علماء البلاغة :

إن الأمر إذا كان من أدنى إلى أعلى فهو دعاء

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)

سورة آل عمران

فإذا كان من مُساوٍ إلى مُساوٍ هذا التماس ، مثلا .. أنت موظف من المرتبة الأولى جالس إلى المائدة وأمامك بالغرفة نفسها موظف بالمرتبة الأولى لست رئيسه ولا هو رئيسك قلت له: رجاءً ، أعطني المسطرة مثلا ، هذا ليس أمرا ولا دعاء هذا التماس ، فمن مساو إلى مساو التماس ، لكن لو وجهت أمرا وأنت معلم إلى طالب أو من ضابط إلى ذي رتبة عالية إلى مرؤوسه فهذا اسمه أمر " الأمر ـ الالتماس ـ الدعاء " وهناك أمر إباحة ، قال الله تعالى :

وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ

سورة البقرة ـ من الآية ١٨٧

رجل استيقظ في السحور ليس جائعا فإذا لم يأكل يكون قد عصى ؟ لا قال العلماء هذا أمر إباحة :

وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا

سورة المائدة : من الآية ٢

فإذا كان لا يريد الصيد ، فهذا أمر إباحة . وهناك أمـــر نـــدب ، أي استحباب :

وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾

سورة النور

و هناك أمر وجوب :

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾

سورة النور

و هناك أمر تهديد :

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

سورة الكهف

إكفر وانتظر ماذا يحصل لك !!! كما تقول الأم لابنها اكســـرها لترى ، تقول له اكسرها ، قالت له اكسرها أمـــر تـــهديد ، فالبلاغـــة ضرورية جدا لفهم كلام الله " .

رب هب لي " .. معنى هب لي هذا دعاء ، وهب يَهب هَب .

سؤال : ما اسم الفاعل من هذا الفعل وهب ؟ ..إنـــه واهــب ، لكن ربنا وهّاب ، ووهاب صيغة مبالغة لاسم الفاعل .

فإذا أعطاك رجل قلم حبر ، هذا اسمه واهِــب .. وإذا أعطــاك سيارة قال لك هذه هدية ، هذا لم يعد في نظرك واهب بـــل وهَّــاب ، عندما يكون العطاء كبيرا نقول وهاب ، فإذا كـــان العطــاء يوميــا متنوعا أو كبيرا كما هو عطاء الله سبحانه،فإننـــا نســتخدم صيغــة مبالغة اسم الفاعل " إنك أنت الوهَّاب " .

ماذا وهبنا الله ؟ ، أول شيء وهبنا الله إياه هو نعمة الوجـــود ، بقيود النفوس فلان بن فلان مقيم في مكان كـــذا " عمــارة نارنجــة خانة ٦٧ " فأنت موجود ، لك اسم في السجلات ، من وهبـــك نعمــة الوجود ، الله عز وجل .

إذن أنت متمتع بوجودك متمتع بصحتك متمتع بالطعام بالشــراب متمتع بزواجك متمتع ببيت ، لك عمل لك شــأن اجتمــاعي ، كلــك ، وجودك من وهبك إياه ، الله عز وجل وهبك نعمة الوجود ، أوجـــدك وأمدك بكل شيء . فمثلا ، كيف نتعامل مع الحجر بالحديد ؟ نريــد أن نضع لسان " دلاية " بالحجر لغلق الحديـــد ، إذا حفــرت الحجــر ، وأدخلت الدلاية تنزل ، لكن ربنا خلق لنا معدنا نصهره بدرجة قليلــة ، نصبه في الحفرة وحينما يبرد يتوسع ويثبت الحديد .

مرة لفت نظري حديقة ألغيت وقد ثبتوا سور حديد على الحجـــر ولما أرادوا إلغاءها قصوا الحديد قصا ، سألت نفسي سؤالا لماذا تـــم قصِ الحديد لماذا لم يُنزع ؟ فلما سألت قالوا قصُّه أهون ألف مـــرة من نزعه لأنه مثبَّت بالرصاص ، فلو أن الله عـــز وجـلِ مـــا خلـــق الرصاص ، هل تستطيع أن تعامل الحديد مع الحجر ؟

ولاحظ طبيب الأسنان يضع لك حشوة الضرس لونـــها أســـود ، ففيها رصاص ، تتوسع . وخلق لك جبســـــا ، تصنـــع إســـفينا فـــي الحائط ، تُدخل خشبة مع جبس ، فعندما يبرد الجبس يتوســـع ، كـــل شيء يبرد ينكمش ، لكن الله خلق مواد ومعادن على البرودة يـــزداد حجمها ، هذا خلق وإمداد منه سبحانه .

خلق الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة لـــــه ،و لـــه ســيولة عجيبة يسري في أدق المسامات ... لو كان المـــاء لونـــه زهـــري ، لضاق الإنسان بحياته ، لو كان الماء حلوا ، لأصبـــح الطعـــام وكـــل شيء حلوا ، لو كان الماء لزجا ، بمـــــاذا يغســـل الإنســـان جســـده وأشياءه ، فقد جعله الله سائلا لا لون ولا رائحة ولا طعم، ومن نِعَـــم الله أن الماء يتبخر بدرجة أربعة عشر ، فلو كان الماء يتبخر بدرجـــة مائة .. لكنا تنظف البيت ، بالشتاء فيبقى للصيف حتى يتبخر ، ولـــو أنك سكبت كوب ماء في غرفة لتبخر بعد ســـاعتين ، والمـــاء يغلـــي

بدرجة مائة لو كان يغلي بدرجة خمسمائة مثل الزيت لحرق الطعام أثناء الطبخ !!!

من أعطى الماء خواصه ؟ إنه الوهاب!!!

لو تحدثنا عن الكون كله لتأكدنا من أنه الوهاب ، فمثلاً : جاءوا بإنسان وضعوا له بصيوان أذنه شمعا فلم يعرف من أين يأتي الصوت ، هذا الصيوان لو أنك درسته دراسة هندسية ، لوجدتَ فيه سطح بكل اتجاه ، من أي جهة يأتي الصوت يجد سطحاً يعكسه إلى داخل الأُذُن !!

من أعطاك ذاكرة صوتية ، فتعرف الأصوات وتتعرف عليها حتى على الهاتف ؟ وإذا سحقت قطعة زجاج تحت البـاب ، تنزعج وتخرج من جلدك فهذا اسمه الضجيج وتطرب لصوت العصفور وهذا اسمه النغم إنه الوهاب !!! .

من جعل الطعام ذا رائحة طيبة ، فمثلاً اللحم إذا فسد له رائحة لا تطاق ... و لو جعل الله الطعام المفيد رائحته كريهة والطعام غير المفيد رائحته طيبة ، كيف يكون الحال ؟؟؟ .

من وهبنا الشمس ؟ أنت تدفع ثمن البيت مائة ألف زيادة إن كان البيت مُشمساً ، هذه الشمس لا تنطفئ قالوا إن عمرها خمسة

آلاف مليون سنة ، وطمأننا العلماء قالوا ستبقى خمسة آلاف مليـــون سنة أخرى ليس لنا مشكلة مع الشمس ، " إنك أنت الوهاب " .

من جعل القمر في السماء تقويمـــــا ، لتعلمـــوا عـــدد الســـنين و الحساب و كل شيء فصلناه تفصيلا ؟ إنه الوهاب !!! .

من جعل الرياح تتحرك ، تنشط ، و تتنعـــش الإنســـان ، تتبـــدل الأجواء حينما يكون فيها تلوث أو غبار أو روائح كريهة ، إن تحريك الرياح و تخزين المياه في الأرض من نعم الله العظمى :

وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾

سورة الحجر

مرة أجرينا حساب فلو أراد كل إنسان أن يخزن احتياجـــه مـــن الماء عن سنة تقريبا لاحتاج إلى خزان يعادل مساحة بيتـــه تمامـــا ، فإذا كان بيتك مائة متر مربع فإنك تحتاج إلى خزان مائة متر مكعب ، قال الله تعالى : " وما أنتم له بخازنين " .

إن تخزين المياه بالينابيع شيء لا يصـــدّق ، مـــن خـــزن هـــذه الأمواه ؟ ، أمواه جمع مياه . " إنه الوهاب " .

تعريف الهبة ؟ .. إذا قال رجل لآخر وهبتك هذا الكتـــاب بمائـــة ليرة هذا الكلام في الشرع عقد بيع ، ما دام قال له وهبتـــك ، فـــهذا

عقد بيع ولا عبرة لكلمة وهبتك . وإذا قلت بعتك هـــذا الكتــاب بــلا ثمن ، هذا عقد هبة ، ما تعريف الهبة إذن ، " تمليك بـــلا عــوض " لذلك بعض الناس حتى يتهربوا من ضريبة انتقال الملكية ، صـــاروا يقبضون الثمن سرا والعلن هبة ، فانتبهت الدولة ووضعــت ضريبــة على الهبة ، فهذا ليس هبة ، هذا بيع غير مصرح به ، الهبة تمليــك بلا عوض .

إذا كان هناك رجل عنده ابن متدين خلوق بار بوالديـــه خـدوم لطيف مهذب ، فإذا قال أنا تعبت في تربية ابني كثيرا ربيته وعلمتـه وحرصت عليه ، هذا الكلام صح أم خطأ ؟ أنا أقول لك إن هذا الكــلام خطأ ، قال الله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ (٨٤)

سورة الإنعام

يعني بلا عوض ، فإذا أعطاك الله ولدا بلا عوض فهذا هبة مــن الله وقد تكون أعظم إنسان ، يأتيك ولد يحيرك يجعل حياتك شــقاء ، وكثير من الأشخاص في أعلى مستوى من العلم أبنــاؤهم ضــالون ، سمعت عن إمام بالمسجد النبوي إذا ذُكِّر بابنه يموت من البكاء ، ابنه منحرف انحرافا شديدا ، فالأمر إذن ليس باليد ، فإذا وهب الله لرجــل

ابنا صالحا مطيعا بارا فلابد أن يقبّل الأرض شكرا لله عز وجل ، فـلا يُرجع ذلك لذكائه " أنا أب ناجح أنا فوق رأس أبني " إذا كان الابـن منحرفا فمهما كنت رقيبا عليه قد يتفلت منك ، فكلمة : " ووهبنا لـه إسحاق ويعقوب " تعني أنه هذا عطاء بلا عوض فأنت لم تقدم شـيئا أنت تلقيت هذه الهبة من الله عز وجل .

إذن الهبة عبارة عن التمليك بغير عوض ، والوهـاب صيغـة مبالغة من وهب ، بناء على هذا التعريف هل يصح أن نقول إن فلانـا وهب فلانا ؟ أتُصدّق إنسانا في الأرض يعطي شيئا بـلا عـوض ؟ لا يفعل ذلك إلا مؤمن يرجو الثواب من الله عز وجل ، يطمع برضاء الله عز وجل ، يقدم شيئا بلا مقابل !!ينطلـق إلـى خدمـة النـاس بـلا مقابل !! يسعف المريض بلا مقابل، يقول لا أريد شيئا ، أأنت مصـدق أنه لا يريد شيئا ؟!

لو رجل قال لمعلم ، علم فلانا دروسا خاصة ، وخذ علـى كـل درس مليون ليرة ، تأخذها مني ، ولا تأخذ شيئا منه ولما ذهب أخـذ من الطالب مائة ليرة ، فلما أخذ مائة من الطـالب فقـد حقـه عنـد الأول .

فالذكي لا يطلب الأجر من الناس ، بل يطلـب الأجـر مـن رب الناس فهل تصدّق إنسانا يطلب شيئا بلا عوض ، أعلـى عـوض أن

تطلب رضاء الله عز وجل ، أن تطلب جنّته ، أن تطلب ما عنـده ، أن تطلب توفيقه ، إذن لا بد من عوض .

فلا يصح أن نقول فلان وهب إلا مجازا ، لكن الإنسـان أحيانـا يهب شيئا وبنيته أن ينال المديح ، فهذا هو العوض ، ثنـاء النـاس عليه هو العوض أحيانا يتفاخر أمام الناس فيدفـع مبلغـا ضخمـا لجمعية خيرية ، ويتمنى أن يشيد الناس بـه ، يقـول أنـا دفعـت ، يريد لوحة رخامية ، يريد أن يُقرأ اسمه ليعرفونه،لماذا هذا الكـلام ، يريد عوضا ، إذن تمليك بلا عوض ، لا يصـح إلا مـن حضـرة الله عز وجل .

و شيء آخر إذا وهبك إنسان شيئا فمن هو الواهب الحقيقـي ، فمن ألقى في قلبه أن أعطِ فلانا ؟ الله عز وجل .

أحد العلماء الأجلاء في طرابلس الشام ، يسكن في بيـت أجـرة ويبدو أن صاحب البيت أراد أن يخرجه من البيت والقـانون معـه ، فأقام عليه دعوى واستحق الحكم ، والعالِم ليس له بيت وهو رجـل صالح ، والقصة غريبة جدا ، فأحد كبار أغنياء طرابلـس رأى فـي المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له اشتر لفـلان بيتـا ، وهذا الرجل ميسور الحال فما صدَّق ، بحث عنه حتى وجده ، فقال له انتَقِ أي بيت تريد .

لا تظن أن إنسانا يعطي شيئا إلا والله عز وجل ألقى في قلبه الدافع ... أحيانا تكون أمام موظف يقول لك موافق ، فإذا أردت الحقيقة فهذه من الله ، فإذا كان الله يريد أن يؤدبك يخلق لك ألف عقبة ، تحتاج المعاملة إلى توقيع ، تحتاج إلى تصديق من السفارة السورية في الدولة الفلانية .

فإذا عاونك إنسان يجب أن تعتقد اعتقادا جازما أن الله عز وجل ألقى في روع هذا الموظف أن يتساهل معك ، ألقى عطفا عليك في قلبه ألقى رغبة بمساعدتك .

بناء على هذا ألا أشكر الموظف ؟ فإذا أحدهم قدم لك خدمة فلابد أن تشكره ، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : عن أبي سعيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَن لم يشكُر الناس لمَ يشكُر الله "

لأن هذا الإنسان خدمك وهو واعٍ وعاقل وخدمك بمحض اختياره ، لكن الله عز وجل ألقى في روعه ودفعه لخدمتك ، فيجب أن تشكر الله أولا على أنه ألقى في قلبه رغبة في خدمتك وأن تشكر هذا الإنسان ثانيا على أنه خدمك مختارا ؛ عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من استعاذ بالله فأعيذوه ومن سألكم بالله فأعطوه ومن استجار بالله فأجيروه ومن أتى إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا فادعوا له حتى تعلموا أن قد كافأتموه " .

فالمسلون يعرفون كلمة الله يجزيك الخير وأكثر الله خيرك ، هذا كله كلام فارغ ، فإذا قدم لك إنسان خدمة يجب أن تقدم له خدمة مقابلها أما إذا كنت عاجزا لا تملك ، فالآن مقبول منك أن تقول جزاك الله عني خيرا ، وهذه كبيرة جدا ، إذا كنت فعلا عاجزا عن رد جميله عاجزا عن مقابلة هديته بهدية ، وقلت له جزاك الله عني كل خير مقبولة منك .

تعلمت هذا من موقف لسيدنا ربيعة ، فسيدنا ربيعة خدم النبي عليه الصلاة والسلام . بعد أيام قال له يا ربيعة سلني حاجتك ، قلت سبحان الله نبي الله ، رسول الله ، ألا يستحق أن تقدم له خدمات بلا مقابل ، لقد رآها دينا عليه ، هذا هو الكمال .

و لا تذكر أفعالك الطيبة ولا تنس كل فعل طيب أسدي إليك ، فإذا خدمت إنسانا فالكمال يقتضي أن تنسى هذا المعروف وكأنك ما فعلته لأنك فعلته من أجل الله عز وجل ، ، قال الله تعالى :

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

سورة الإنسان

أما إذا خدمك أحد خدمة فإنه يعد جريمة إذا نسيت الفضل منه مع اعتقادك أن هذا الذي جاءك عن طريق فلان من الله عز وجل ، فهو سبحانه الذي ألهمه أولاً ،و ثالثا مكّنَه ، فلو ألهمه وما سمح له ، " يقول لك العين بصيرة واليد قصيرة " وأحيانا إنسان يحب أن

يخدمك ، ولا يقدر ، يقول لك " لم أستطع " هو راغب في خدمتك ، هنا يكون ألهمه ولم يسمح له ، فإذا إنسان قدم لك خدمة فهذه يجب ألا تنسى . كما قال عليه الصلاة والسلام : " من أسلم على يد رجل فله ولاؤه " .

الإنسان يعطيك حاجة تنتهي بانتهاء الحياة ، أما إذا ساق لك الله الهدى عن طريق إنسان ، فهذا أعطاك شيئا يستمر معك إلى أبد الآبدين فربنا عز وجل قال :

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾

سورة الشورى

فإذا شرب الإنسان من نبع لا يجوز له أن يبصق فيه. ولا يكون كما قال الشاعر :

أعلمه الرماية كل يوم فلما اشتد ساعده رماني

وكم علمته نظم القوافي فلما قال قافية هجاني!!!

فإذا ساق الله له الهدى عن طريق إنسان ، فلا يتنكر للفضل ولا للجميل ، و هذا من لوازم الإيمان .

فالذي ألقى في روع الإنسان أن يخدمك هو الله والذي مكن هـذا الإنسان أن يخدمك هو الله ، المُلهم هو الله والفعّال هو الله .

ألم يحدث معك أن إنساناً خدمك وتعجبت لماذا خدمك ؟!! لا يوجد معرفة سابقة معه ، قد لان معك ، يسَّر لك أمرك ، تساهل معك ، إذن موقفك السليم الموحد ، أن تقول يا رَب لك الحمد .

السيدة عائشة رضي الله عنه لما نزلت الآيات بتبرئتها قال لها أبوها قومي إلى رسول الله .. قالت لا والله لا أقوم إلا إلى الله . فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يقل شيئا ، الأصل أن الله عز وجل برَّأها ، ثم قامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . رجل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما شاء اللهُ وشئتَ " ، فقال له : " أجعلتني مع الله نِدًّا ؟ بل قُل : ما شاء الله فقط " .

قالوا الوهاب من يكون جزيل العطاء والنوال ، كثير المن والأفضال واللطف والإقبال يعطي من غير سؤال ولا يقطع عن العبد فضله في كل حال .

و الوهاب من يعطيك بلا وسيله وينعم عليك بلا سبب ولا حيلة.

و الوهاب هو الذي يعطي بلا عوض ويُميت بلا غرض .

نحن عبيد لله عز وجل ، وكل ما نحن فيه فضل من الله عز وجل فيجب أن تعلم علم اليقين أن كل نعمة أصبحتَ بها فمن الله ،

وكلكم يعلم أن الشكر ثلاث مراتب ، أول مرتبة أن تعلم أن هذه النعمة من الله هذا أحد أنواع الشكر ، وأن يمتلئ قلبك حمدا لله هــــذا نـــوع آخر ، وأن تنطلق لخدمة العباد وهذا أرقى أنواع الشــــكر ، قـــال الله تعالى :

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَـٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَـٰنُ ﴿٦٠﴾

سورة الرحمن

يعني يا عبدي إذا استقمت على أمري وخدمت عبادي ودللتَـــــهم عليِ وراعيتهم ونصحتهم وعاونتهم وتكرَّمتَ عليهم ، فقـــد أحســـنتَ لعبادي هل أنساك من إحساني ؟؟!! هل جزاء إحسانك يا عبـدي إلا أن أُحسن إليك ؟! الله شكور .

و الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه .

و القصص التي تؤكد أن الله وهاب كثيرة جدا في كل مكان وكـل زمان لكن هناك قصة وقعت لأحد إخوتنا الكرام يعمل في عمل دخلـــه بالشهر ثلاثة آلاف ، له آخ مؤمن فقد عمله ، ففقد دخله كلياً ، فلمـــا شكا له همه ، قال له تعال واعمل معي وخذ نصـــف الربـــح ، وهـــو دخله ثلاثة آلاف ، أقسم لي وهو صادق ، أول شـــهر ربـــح عشـــرة أمثال الدخل السابق ، عشرة أمثال !!!! " إنه هو الوهاب " . لذلـــك قال صلى الله عليه وسلم لبلال الفقير : " أنفِق بلالا و لا تخــش مـــن ذي العرش إقلالا " .

لكن إياك أن تُؤْثِر الخَلق على الله ، فتُنفق مــن دينــك إكرامــا للناس فهذا ليس هبة ، لا ينبغي أن تؤثر جهة دون الله على الله .

الشبلي أحد العلماء سأل بعض أصحاب أبي علي الثقفي ، قـــال أي اسم من أسماء الله تعالى يجري على لسانك ، قال الوهــاب ، لأن أحد هبات الله عز وجل هو وجودك .

أما حظ الإنسان من هذا الاسم فهو أن يبذل مما آتـــاه الله عــز وجل : مِن علمه من خبرته من وقته من عضلاته مــن جــهده مــن مكانته من جاهه ، هذا الذي يستفاد من هذا الاسم .

و الحمد لله رب العالمين

*****

مالك الملك

مالك الملك

أيها الإخوة المؤمنون : الاسم اليوم: مالك الملك ، وهـــو مــن أسماء الله تعالى الحسنى ، بدليل قوله تعالى :

مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

الأعراف : الآية ١٨٠

إذا قلت : يا مالك الملك بك أستجير ؛ فهذا دعاء صحيح .

و في القرآن الكريم ورد اسم الملك ، و المـــالك ، و المَليـــك ، و مالكُ الملك و الملَكوت ، حصرا ، أما اسـم الملــك ففـــي ، قولـــه تعالى :

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ

سورة الحشر : الآية ٢٣

و في قوله تعالى :

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾

سورة الناس : الآية ١ ـــ ٢

و أما اسم المالك ففي الفاتحة الشريفة :

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾

سورة الفاتحة : الآية ٢ ــ ٤

وأما المليك ففي قوله تعالى :

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ

سورة القمر : الآية ٥٤ ــ ٥٥

و أما مالك الملك فقد ورد هذا الاسم مرة واحدة في قوله تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

سورة آل عمران : الآية ٢٦

و أما الملكوت ففي قوله تعالى :

فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

يس : الآية٨٣

أيها الإخوة الكرام : قبل أن نمضي في الحديث عن هذا الاســـم الجليل ؛ أريد أن أقف قليلا عند خطورة هذا الموضوع . فالله سبحانه

و تعالى لا تُدركه الأبصار ، و قد أمرنا أن نؤمن به ، و أن نعبده ، و أن نتوجه إليه ، وأن نحبه . فربنا عز وجل تيسيرا لنا كي نعبده ؛ ذكر أسماءه الحسنى في كتابه الكريم ، وجعل الكون كله دالا عليه ، وجعل الكون كله مظهرا لأسمائه الحسنى وصفاته العظمى . فأنت حينما تبحث في أسماء الله الحسنى ، تتعرف إلى الله . وكلما ازددت معرفة بأسمائه الحسنى ، ازددت معرفة به . فالشيء المادي بإمكانك إدراكه باللمس ، وأن تعرف وزنه ، وطوله ، وارتفاعه ، وعرضه ، وحجمه ، ولونه ، وخصائصه ؛ لكن إذا أردت أن تتعرف إلى الله عز وجل ، في الحياة الدنيا يستحيل أن تدركهِ بحواسك ؛ لا بد من أن تدركه بعقلك . قد تقول أن هذا الكون يدل على خالق عظيم ، ومسيِّر حكيم ، ومُربٍّ رحيم . ولكن التفاصيل ؛ ما صفاته ؟ وما هي أسماؤه ؟ هو رحمن رحيم ، ملك ، هو الله الذي لا إله إلا هو الملك، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر . فحينما تجول في هذا الموضوع ، فأنت في الحقيقة تجول في أخطر موضوع على الإطلاق لأن الله سبحانه وتعالى هو كل شيء ؛ هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن .،يقول سبحانه في الحديث القدسي : " ابن آدم اطلبني ؛ تجدني ، فإذا وجدتني ، وجدت كل شيء " .

يا رب ماذا فقد من وجدك ؟ وماذا وجد من فقدك ؟ وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان عليك فمن معك ؟ .

أيها الإخوة الكرام : باب الأسماء الحسنى من أخطر الموضوعات في الدين ، لأنك من خلالها تتعرف إلى أسمائه وصفاته سبحانه وتعالى . الحقيقة أن الإنسان لا يحب جهةً ما لاسمها ؛ ولكن يحبها لصفاتها . فكلما تعرفت إلى أسمائه الحسنى ، وصفاته العليا ، كانت عبادتك أصح ، وكانت خشيتك أكبر، وكان إقبالك أشد .

يقول عليه الصلاة والسلام فيما روي عن أبي هريرة لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة وإن الله وِتر يحب الوِتر (و ممكن أن نقول : وتر يحب الوَتر) وفي رواية ابن أبي عمر : من أحصاها "

صحيح مسلم ، فما معنى من أحصاها ؟ الله عز وجل قال :

لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدّٗا ﴿٩٤﴾

مريم : الآية ٩٤

الإحصاء شيء والعد أو التعداد شيء آخر ، تقول : كم طالبا في الصف ؟ إذا ذكرت عددهم ، كان هذا تعدادا . أما إن ذكرت أعمارهم ، مستوياتهم ، ورجاحتهم ، أخلاقهم ، طموحاتهم ، اجتهادهم اوصافهم ، كان ذلك إحصاء ، فالعد كمي ، أما الإحصاء

فهو نوعي. فالله أراد منا الإحصاء لا التعداد لأسماءه ، بل أراد منا أن نُحصيها ومن أحصاها دخل الجنة ، هناك معنى ضمني ؛ وهو من أحصاها أي : من تعرَّف إليها فأقبل على الله واستقام على أمره ، سعد في الدنيا ، وفي الآخرة أُكرم بالجنة . فالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ؛ إذ أنه في الحديث الصحيح يؤكد لنا أنك إذا أحصيت أسماء الله الحسنى ، دخلت الجنة .

لكن بالمناسبة نقول : ليس كل الأسماء الحسنى وردت في الحديث الشريف ، لعل النبي صلى الله عليه وسلم ذكر الأسماء الحسنى التي نحن في أمس الحاجة إلى معرفتها ؛ فهناك أسماء حسنى كثيرة وردت في كتاب الله ولم ترد في هذا الحديث ، والأسماء الحسنى التي وردت في هذا الحديث عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن لله تعالى تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من أحصاها دخل الجنة هو الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور الغفار القهار الوهاب الرزاق الفتاح العليم القابض الباسط الخافض الرافع المعز المذل السميع البصير الحكم العدل اللطيف الخبير الحليم العظيم الغفور الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب الجليل الكريم الرقيب المجيب الواسع الحكيم الودود المجيد الباعث الشهيد الحق الوكيل القوي المتين الولي

الحميد المحصي المبدئ المعيد المحيي المميت الحي القيوم الواجد الماجد الواحد الصمد القادر المقتدر المقدم المؤخر الأول الآخر الظاهر الباطن الوالي المتعالي البر التواب المنتقم العفو الرءوف مالك الملك ذو الجلال والإكرام المقسط الجامع الغني المغني المانع الضار النافع النور الهادي البديع الباقي الوارث الرشيد الصبور" رواه الترمذي

أيها الإخوة : اسمحوا لي أن أروي لكم هذا الدعاء النبوي ، يروي عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قال عبد قط إذا أصابه هم وحزن :" اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيدك ماض في حكمك ، عَدْل فِيَّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته في كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي ، إلا أذهب الله عز وجل همه ، وأبدله مكان حزنه فرحا . قالوا : يا رسول الله، ينبغي لنا أن نتعلم هؤلاء الكلمات ؟ قال : أجل ينبغي لمن سمعهن أن يتعلمهن " . رواه أحمد

نتيجة الدعاء به : إلا أذهب الله حزنه ، وأبدله مكانه فرحا

هذا الدعاء ؛ لا بد أن يحفظه المؤمن ، حتى إذا أصابه مكروه

أو هم أو حزن دعا به ، والنبـي صلى الله عليه و سلم صادق مصدوق .

قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ



آل عمران: الآية ٢٦

المُلك هو الكون . والكون ما سوى الله ؛ فالله واجب الوجود ، و الكون ممكن الوجود ، ما سوى الله هو المُلك . لكن السؤال : " لماذا جاءت كلمة المُلك بصيغة المُفرد؟ " ، مع أن هناك سماوات، ومجرات ، وكازرات ، ومذنبات ، وثقوب سوداء ، ومسافات بينية شاسعة ، والأرض فيها أودية ، وجبال وصحراء وسهول وطيور وحيوانات وإنس وجن

خلق كثير لا يعلمهم إلا الله أسماك – نباتات – عوالم – في البحار وحدها أكثر من مليون نوع سمك . كل هذا الكون سماه الله مُلكا بلفظ المفرد فما حكمة ذلك ؟ هناك حكمة كبيرة جدا ؛ وهو أن الكون كله متناسق مع بعضه بعضا ، كل جزء فيه يعمل للمجموع ، لأن الله سبحانه و تعالى صممه لذلك؛ فالحيوان للإنسان ، والنبات للحيوان ، والتراب للنبات ، والماء للتراب ، وحجم الأرض يتناسب

مع طاقة الإنسان وسرعتها حـــول نفســها تتناســب مـــع إمكاناتـــه وهكذا ... أهم كلمة في هذا الكون أنه وحدة متكاملة ، والله ســـبحانه وتعالى مالك الملك وأمره نافذ فيه . يوم القيامة يقول الله عز وجل :

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

الشورى :الآية ٥٣

قد يسأل سائل بيد من كانت ثم آلت إليه ؟ الحقيقة : هـــي إليـــه في الأول و الآخر ؛ ولكن أهل الدنيا والمشركين و الكفار ، والفجار ، والمنافقين ، وضعاف الإيمان ، يرون في الأرض آلهة كثيرة ؛ مراكز قوى ، وأشخاصا أقويـــاء ، يـــأمرون فيُطـــاعون ، ويدمـــرون ... يرفعون ... يخفضون ... أما المؤمن فلا يرى إلا الله فـــي الدنيـــا ، يرى أن :

يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ

سورة الفتح : الآية ١٠

يرى أن :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ

سورة الحديد الآية : ٣

يرى أنه

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ﴾

سورة فاطر : الآية ٢

يرى أنه :

﴿لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾

سورة الأعراف : الآية ٥٤

يرى

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾

سورة الزمر : الآية ٦٢

يرى :

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾

سورة هود : الآية ١٢٣

فهذه رؤية المؤمن ، لا يرى مع الله أحدا ، وهذا هو التوحيد ، وما تعلَّمَت العبيد أفضل من التوحيد ، لكن العصاة والمشركين والكفار يرون أشخاصا أقوياء أرادتهم نافذة ، أما الحقيقة هو أنه لا ينفُذ في كون الله إلا إرادة الله . ما شاء الله كان ، ومالم يشأ لم يكن .

وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ

سورة الرعد : الاية ٤١

مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

سورة الكهف

فالمؤمن الصادق لا يرى مع الله أحدا ، يــرى صــورا ودُمــى تتحرك في الخفاء ، لكن الله هو كل شيء ، قال تعالى :

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ

سورة الحديد : الآية ٣

لذلك :

أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ

سورة الشورى : الآية ٥٣

حتى الكفار يوم القيامة يرون أن الأمور كلــها بيــد الله . أمــا المؤمنون فهم وحدهم الذين يرون هذه الحقيقة في الدنيا ، الكفــار تغيب عنهم هذه الحقيقة فيرون الأمور بيد زيد أو عبيد ، تذكــرون : أن التابعي الجليل الحسن البصري كان عند والي البصــرة للخليفــة يزيد بن معاوية ، فجاءه البريد يحمل توجيها ؛ إن نفَّذه ، أغضــب الله سبحانه وتعالى ، وإن لم ينفِّذه ، أغضب الخليفة وربما أزاحــه مــن مكانه . فوقع في حيرة شديدة فسأل الحسن البصري ، فقال الحســن

البصري : إن الله يمنعك من يزيد ، ولكن يزيد لا يمنعك من الله . بمعنى أنه إذا غضب أهل الأرض جميعا عليك والله راض عنك ، فلن يستطيعوا أن يفعلوا لك شيئا .

" واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك " .

فملخص الملخص : ما شاءَ كان وما لم يشأ لم يكن . معنى مالك الملك ؛ فهذا الكون العظيم تحكمه إرادة واحدة نافذة فيه هي إرادة الله. قال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا
وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا
فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ
يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

سورة يونس: الآية ٢٤

أتاها أمرُنا – لا أمرهم – يقول مثلا : الدولة الفلانية عندها قنابل نووية كافية لتدمير الأرض خمس مرات الآن هي في الحضيض ، في الوحول ، هي الآن ، كل أنواع السقوط في هذه الدولة ، قال تعالى :

حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا

سورة يونس : الآية ٢٤

فهذا المُلك العظيم ؛ فيه إرادة واحدة نـافذة ؛ هـي إرادة الله . بربك إذا أيقنت هذا اليقين هل تتوجه لغير الله ؟! هل تخشـى غـير الله ؟ هل ترجو غير الله ؟ هل تطمـح إلـى غـير الله ؟ هـذا هـو التوحيد ؛ كلها تؤدي إلى الله عز وجل .

يقول الإمام الغزالي : مالك الملك ؛ هو الذي تنفذ مشـيئته فـي مملكته كيف يشاء وكما يشاء ؛ إيجادا وإعدامـا ، إبقـاء وإفنـاء ، والمُلك هنا ؛ بمعنى المملكة ، والمالك ؛ بمعنى القادر التام القـدرة . والموجودات كلها مملكة واحدة ؛ لأنها متناسقة مرتبط بعضها ببعض فإنها تعني أن حجم الأرض متناسب مع الإنسان . أحيانا لو وجـدت قفلا في بيت ، و وجدت مفتاحا في آخر ؛ هـذا المفتـاح فتـح ذاك القفل ، تقول : كلاهما من مصنع واحد ، طالما فيهما انسجام .

أحيانا يشتري أحدنا قطعة لسيارته ، تأتي هذه القطعة في مكانها الصحيح بالميليمترات . معنى ذلك ؛ أن المحل واحد . والذي صمـم واحد والذي أعطى القياسات واحد . فهي وإن كانت كثيرة من وجـه ؛ إلا أنها وحدة واحدة ، الكون كله يعمل بالتنسيق ، فالانسـجام دليـل وحدة الخالق .

هناك معنى واسع ، وهناك معنى واحد ؛ خمسـة آلاف مليـون إنسان كل واحد يحمل قزحية عين تختلف عن الأخرى ؛ مـن أجـل ذلك صممت أقفال لا تفتح إلا على قزحية العين . لأن إنسـانا واحـدا

في الأرض لا يمكن ان يشبهك في قزحية عينك .معنى ذلك أن الله واسع. كما أن لكل إنسان رائحة جلد لا يمكن أن يشركه فيها أحد من الخلق وأساس الكلب البوليسي رائحة الجسم ، ونبرة الصوت كذلك لا يمكن أن تتشابه في الأرض نبرتان . تعرف الشخص من نبرات صوته ، فأصبح لدينا قزحية العين ، ورائحة الجلد ، ونبرة الصوت ، بصمتين ، وبلازما الدم ، كذلك إكتشفوا الآن مليارين ونصف وحدة نسيجية . يعني أن هناك واحد فقط في الأرض وحدته النسيجية تشبه وحدتك ، وبصمة اليد هذه الأنملة بمعنى أنه لو وجد مئة نقطة بين جزيرة ، وخليج ، ورأس ، ونتوء ، وفرع ، وغصن ، هناك مئة صفة لبصمة اليد . ولو تشابهت سبع صفات في بصمتين لكانت لإنسان واحد بصمة اليد توقيع . فهذه الاختلافات كلها تعني أن الله واسع . بالمقابل تجد أن شركة أدوية تصنع دواء في بلد ما كندا مثلا ؛ فإذا استعمل شخص من استراليا نفعه هذا الدواء ؛ ما معنى هذا ؟ هذا يدل أن الخلق واحد في البِنَى الأساسية ، و في الخصائص ، إذن هناك وحدة في الخلق . تجد طبيبا درس الجراحة ببلد ما ؛أمريكا مثلا يقول في اختصاصه أن العصب الفلاني على بعد ٢سم من مكان كذا ... بالتفاصيل الدقيقة ثم يقيم عملية جراحية بالخليج لإنسان في عروق وأعصاب كما درسها هذا الطبيب في أمريكا ، من هنا قال بعض العارفين : والله يا رب لو تشابهت ورقتا زيتون ، لما سمِّيت الواسع . وأقرب من هذا وجوه البشر ؛ فكل

واحد منا له شكل وطريقة في العيش فهذا يدل على سعة الخلق وحينما تكون الأجهزة واحدة ؛ القلب واحد ، والرئتان ، المعدة ، الأمعاء ، الشرايين ، الأوردة ، الأعصاب ، العظام ، خصائص العظام ؛ زمن التحامها ، الطبيب مثلا من مصر ودرس في روسيا ، والمريض في أفريقيا . معنى ذلك أنه يوجد قواعد عامة في الجسم .

فالله عز وجل واحد واسع ، أما لو قلت لمهندس ما : لنا بناء يمكن أن يرسم مخططا وآخر و آخر ثم يقف . ومثل ذلك هندسة السيارات يصممون شكلا بيضويا ثم شكل زوايا حادة ثم يعودون للشكل البيضوي . أي أن طاقة الإبداع محدودة عند البشر . أما في صنع الله ؛ إذا رأيت أنواع الأشجار في الأرض تجد أمورا لا إبرية ، وأوراق دائرية ، وأوراق مسننة ، وأوراق مفلطحة ، أوراق خضراء مع لون آخر ، وأوراق واسعة ، وأوراق صغيرة ، وأوراق كبيرة ، وتلك تحمل الألوان الجذابة ؛ فلو دققت في أنواع الأوراق ، لأخذك العجب العجاب .

أيها الإخوة : الله عز وجل مالك الملك ؛ أي مشيئته في ملكه كما قاله الإمام الغزالي . وقيل مالك الملك ؛ هو المتصرف في ملكه كيف يشاء ، ولا راد ، ولا لأمره . والوجود كله من جميع مراتبه ، مملكة واحدة لمالك واحد وهو الله تبارك وتعالى .

لو لاحظت البشر في كيفية ملكهم تجد أصنافا شتى ، فإذا قلنا : فلان يملك هذا البيت فهو يملك ولا يملك منفعته ، المستأجر لا ، فإذا كنت مالك المنفعة العين يعني البيت ؛ لا تملك المصير ؛ حيث أنه لو صدر قانون استملاك ، يضيع البيت من يدك!. فهناك عين ، و ملك منفعة ، وملك مصير . أما إذا قلنا : الله مالك الملك ؛ فهو مالك الوجود خلقا ، وتصرفا ، ومصيرا ، أحيانا مثلا : بلد يبيع آخر طائرات . كان للطائرات ؛ فلما باعها شاريها . وأصبحت هذه الطائرات بأمر شاريها . لكن الله عز وجل يقول :

ٱللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾

سورة الزمر : الآية ٦٢

كلمة مالك تعني : ما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، كل شيء وقع أراده الله ، وكل شيء أراده الله وقع . هذا هو معنى مالك الملك .

قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾

سورة آل عمران : الآية ٢٦

إذا أعطى الله عز وجل لإنسان ، يعطيه الهيبة ؛ فكلهم يخافونه ؛ فإذا أراد أن ينزع منه الملك ، ألغى هيبته ؛ فكلهم يجترىء عليه أحد القواد العظام في العهد العباسي بلغت شهرته الآفاق حتى صارت الأمهات أولادهن به ، فلما دخل على هارون الرشيد ، رآه صغير الجسم ، قصير القامة نحيلا ، فقال له : أنت فلان ؟ ! فقال له : "حبذا لو رأيتني و قد أسبغ الهيبة ، أما الآن فقد نزعها " فالإنسان إذا نزع الله منه الهيبة صار شخصا تافها ، قال تعالى :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ 

سورة آل عمران : الآية ٢٦

أروع ما في الآية ؛ أنه لو قال الله عز وجل :

قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ

سورة آل عمران : الآية ٢٦

صار هناك . لكن تؤتي الملك من تشاء ؛ وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ؛ بيدك الخير ، الخير فقط الإعزاز خير والإذلال خير ، فمعنى الآية دقيق فالإعطاء خير والمنع خير ، والإيتاء خير والسلب خير ؛ فكل هذا خير . ربما أعطاك

فمنعك ، وربما منعك فأعطاك . لذلك سنرى أنـــه يوجـد أســماء لله متقابلة ؛ المعطي المانع ، القابض الباسط ، النافع الضـــار ، الرافــع الخافض ، المعز المذل .

قال العلماء : هذه الأسماء بالذات لا يجوز أن تذكـــر وحدهـــا ، فيجب أن تقول الضار النافع ، المعز ، المعطـــي المـــانع ، القـــابض الباسطن، لماذا هذا الاقتران ؟ لأن الله يضر لينفع ، ليعـــز ، ويمنـــع ليعطي ، ويقبض ليبسط ، وأوضح مثال علـــى ذلـــك : أن تجـد الأب يقسو على ابنه في الصغر ، كي يصنع منه رجلا في المســـتقبل كـل هذه الشدة من الأب هي لصالح الابن . كل هذه الشدة صنعـــت منــه إنسانا متفوقا فهذه الأسماء المتقابلة ؛ لا يجوز أن نذكر واحدا منـــها من دون ذكر ما يقابله

يقول أحد المفسرين : مالك الملك ؛ هو الملك الحقيقي . لذلـــك ورد في الحديث القدسي " أنا ملك الملوك و مالك الملـــوك ، قلـــوب الملوك بيدي فإن العباد أطاعوني ، حولت قلـــوب ملوكـــهم عليـــهم بالرحمة والرأفة . وإن العباد عصوني ، حولتها عليهم بالســـخطة ؛ فلا تشغلوا أنفسكم بسب الملوك وادعوا لهم بالصلاح فإن صلاحـــهم بصلاحكم " .

يقول أحد المفسرين : مالك الملـــك ؛ هـــو الملـــك الحقيقـــي ، المتصرف بما شاء وكيف شاء ؛ إيجادا وإعداما ، إحيـــاء وإماتـــة ،

تعذيبا ورحمة ، من غير مشارك ولا ممانع . وقد اسم مـــالك الملــك مرة واحدة في القرآن الكريم في الآية الآنفة الذكر .

من أدب المؤمن مع هذا الاسم أن العبد من ذكره ، وبذلك يغنيه الله عن الناس . لكن هناك وقفة قليلة . وهي:هل أنت تملك ســمعك ؟ هل تملك بصرك ؟ هل تملك ؟ هل تملك أعصابك ؟ هل تملك ســـيولة الدم ؟ هل تملك استقامتك ؟ هل تملك نمو خلاياك ؟ فأنت إذا أصـــابتك جلطة دموية ،تبحياتك إلى الهلاك . فهذا ليس إلا تجمــد نقطــة فـــي الدم ، وكذلك نمو الخلايا العشوائي ، أنت لا تملك شيئا من جســمك ، وإنما يعطيك الله صحة طيبة كي تســتمتع بــها ، فــهو ســمح لــك بالاستمتاع بها ولكنه هو المالك لها .يلنا أن شخصا ذهب إلى فرنســا وحاز أعلى الاختصاصات ، وتوظف في مناصب جيدة ، حتـــى حــاز على درجة مساعد وزير . بعدها أصيب بذهاب بصره مما أدى إلـــى إخراجه من عمله ، فزاره أحد الأصدقاء فقال لـــه : أتمنـــى أن فـــي الطرقات ، وأن يرجع إلي بصري فكلمة مالك الملك تعنـــي ؛ أنـــك لا تملك شيئا ، لأنك لو بخلل بسيط في القلب ، أودى هذا بحياتك ؛ فأنت لا تملك شيئا من جسدك ، و لا أعرف شخصا معرفة جيدة وهو مـــن الأفراد المرموقين في البلد ، أنه خرج مرة من بيته فنسي في الرجعة أين يسكن ! حتى تذكر بيت ابنه فدله ابنه على بيتـــه . فســبحان الله هناك بعض الحالات لمفاجئ يموت الإنسان بلا أي سبب فـــلا يمكــن

للعبد أن يكون مالكا يروي الرازي عن سفيان بن هذه القصة قـــال : بينما أنا أطوف بالبيت إذ رأيت رجلا وقع في قلبي أنه من عبـــاد الله لله فأخلصه الله من الشوائب - فدنوت منه فقلت : هل تقول لي شـيئا ينفعني الله به ؟ فلم يرد علي ومشى في طوافه ، ولما فـــرغ صلـــى خلف المقام ركعتين ثم دخل الحجر فجلس ، فدنوت منه فقلت : هـــل تقول لي شيئا ينفعني الله به ؟ قال : هل تدرون مـــاذا قـــال ربكـــم ؟ قال : لا ، فقال : لقد قال : " أنـــا الحـــي الـــذي لا أمـــوت ، هلمـــوا أطيعوني أجعلكم أحياء لا تموتون " فالإنسان إذا أطاع الله يكون موتـــه تحفة وعرسا و موته انتقال من الدنيا التي هو سعيد بها بمعرفـــة الله إلى جنة الله في الآخرة ، لذلك من الأدعية اللطيفة : " اللـــهم اجعـــل نعمك متصلة بين الدنيا والآخرة " . فـــالخط البيـــاني للمؤمـــن فـــي صعود ، وموته نقطة على هذا الخط . أنا الملك الذي لا أزول هلمـــوا أطيعوني ، أجعلكم ملوكا لا تزولون .

لو أنك أعرضت عن الدين و عن الآخـــرة وعـــن منـــهج الله ؛ فمهما كسبت من المال ومن المناصب ، فكـــل هـــذا نهايتـــه قبيحـــة وتجعلك في قلق . نعم هناك صعود ، لكن يوجد سقوط بعد الصعـــود ، والموت هو السقوط . لكن المؤمن في صعود ليس بعده سقوط هـــذا الشعور لا يوصف فهو في طمأنينة من ناحية المستقبل ، يمشي في طريق سالك إلى جنة الله ، يمشي على طريق ينتهي به إلى الجنـــة .

أما أهل الدنيا ، فالطريق عريض ، ولكنه ينتهي إلى حفرة سـحيقة ، وفيها وحوش كاسرة وقلق دائم لذلك فالمبالغة بالنعيم ، و المبالغـة بالانغماس باللذات؛ عملية تعويض لما يصيبه من قلـق و خـوف . لذلك يبالغ بالرفاهية و الاعتناء بمظاهر الحياة و كأنه سيعيش مئـات السنين . يوجد قلق و خوف أساسه بالشعور أن بعد هـذا الصعـود هناك سقوط . أما المؤمن فهو مرتاح من هذا القلق لأن حياته صعـود بلا سقوط ، و نمو بلا تراجع ، و سعادة بلا شقاء ، و حياة بلا مـوت لقوله تعالى :

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ .

آل عمران: الآية ١٦٩

أنا الملك الذي لا أزول ؛ هلموا أطيعوني ، أجعلكم ملوكا لا تزولون .

أنا الملك الذي إذا أردت شيئا قلت له : كـن فيكـون ؛ هلمـوا أطيعوني ، أجعلكم إذا أردتم شيئا أن تقولوا له : كـن فيكـون ، أي أصبحتم مستجابي الدعاء . إن أطعت الملك ، كنت في معية الملـك . وإن أطعت الغني ، كنت مع الغني . وإن أطعت القـوي ، كنـت مـع القوي . لذلك قالوا :

إذا أردت أن تكون أغنى الناس ، فكن بما في يـــدي الله أوثـــق منك بما في يديك

وإذا أردت أن تكون أكرم الناس ، فاتق الله .

وإذا أردت أن تكون أقوى الناس ، فتوكل على الله

فأنت قوي بالله ، وغني بالله ، وكريم بالله ، وعزيز بالله ، بينمـا لو ابتعدت عن الله ؛ فتجد عزا بعده ذل ، وغنى بعده فقـــر ، وحيـــاة بعدها موت ، و سعادة بعدها شقاء !!!!

و الحمد لله رب العالمين

*****

الأكرم

الأكرم

أيها الأخوة الكرام ... الإسم اليوم هو " الأكرم " ، قال الله تعالى في سورة العلق :

ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ﴿٤﴾

الأكرم : من أسماء الله الحسنى ، لكن هذا الاسم زائد على الأسماء التسعة والتسعين المعروفة ، ويقترب من هذا الاسم اسم الكريم ، كما يقترب منه اسم : ذو الجلال و الإكرام .

أيها الإخوة ... يجب أن نعلم علم اليقين أنه ما من موضوع في الدين يرقى إلى مستوى أن تعرف أسماء الله الحسنى ، لأن الله عز وجل هو القصد ، و لأن الإنسان سوف يكون في حضرة الله عز وجل إلى أبد الآبدين ، فكلما ازدادت معرفته في الدنيا برب العالمين سعد بقربه وكان في عداد أوليائه المقربين ، فقد قال الله تعالى :

إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ﴿٥٤﴾ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ



سورة القمر

أيها الإخوة ... انظروا إلى الإنسان أحيانا كيف يفخر إذا كانت له مكانة عند إنسان قوي ، لا يفتأ يتحدث عنه وعن علاقته به وعن

مكانته عنده وعن حظوته بين يديه فكيف إذا كانت لك مكانة عند خالق السموات و الأرض ؟؟؟!!! الله جل جلاله يقول في سورة مريم:

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا ﴿٩٦﴾

أنت في الدنيا تتعرف إلى الناس بعينيك ، ترى قامتهم ، ولون جلدهم لون عينيهم ، شعرهم ، أناقتهم ، ثيابهم ، تحدُثهم ويحدثونك ، تكلمهم ويكلمونك ، تعاملهم ويعاملونك ، تسافر معهم ، تُجاورهم ، فتعرفهم جيدا ... ولكن كيف السبيل إلى معرفة الله من أجل أن تحبه ؟ من أجل أن تخاف منه ؟ من أجل أن تعظِّمه ؟ من أجل أن تخضع له ؟ من أجل أن تجعله نهاية المطاف ؟ وأن تجعله هدفك الأول والأخير ؟ من أجل أن تعرف أنه هو الأول والآخر والظاهر والباطن وأنه بكل شيء عليم ؟ من أجل أن تعرف الله ، من اجل ان تسعد بقربه ، من أجل أن تُفني شبابك في طاعته ، من أجل أن تمضي حياتك في خدمة خلقه ... يجب أن تعرفه ، لذلك ما من عمل ، ما من جهد ، ما من نشاط فكري يعلو على عمل يؤدِّي بك إلى أن تعرف الله ... ولكن المعرفة المختصرة لا تقوى على حملك على طاعته ، فلابد من أن تتبحر في المعرفة من أجل أن تعرف من هو الله .. الله عز وجل يقول في سورة الطلاق :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

و في سورة النحل:

وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾

و في سورة الروم :

۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

ماذا يريد الله من هذه الآيات ؟ المعنى: يا عبادي اعرفوني ،فأنا بيدي الشمس والقمر ، بيدي الليل والنهار ، بيدي خلقكم وبعثكم ، حياتكم وموتكم ورزقكم ، بيدي المطر ، بيدي المرض ، بيدي كل شيء فلا تلتفتوا إلى سواي.

فلذلك عندما يعرف الإنسان الله عز وجل وهو يدري من هو ويقدر لله قدره ، وهو يعلم علم اليقين أنه ربه و خالقه ، تجده قد التزم منهجه بشكل صحيح ، وأقبل عليه ،و ابتغى مرضاته ، وسعى إلى طاعته ... إذن : لا شيء يعلو على أن تعرف الله ، إنك إن عرفته أطعته ، وإن أطعته أقبلت عليه ، وإن أقبلت عليه سعدت بقربه ، وإن سعدت بقربه تاقت نفسك إلى الجنة .

سيدنا عمر بن عبد العزيز يقول : تاقت نفسي إلى الإمارة فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الخلافة ، فلما بلغتها تاقت نفسي إلى الجنة ، معنى ذلك أنه أراد الإمارة والخلافة لتكونا مطيتين إلى الجنة .. فلما بلغهما تاقت نفسه إلى الجنة .

إخواننا الكرام .. في مقتبل العمر تكون الأمور متشابهة عند جميع الناس إلى حد بعيد ..فالشاب في أول حياته يكون الخط البياني في حياته صاعداً، ثم يبدأ الخط البياني الصاعد يسير مستقيما ثم يبدأ ينحدر ، فإن الخط البياني عندئذ يؤذِّن ببدء النهاية ، نهاية المطاف وهي صعبة جدا ، إلا لمن أمضى حياته في طاعة الله ، إن المغادرة لا تُحتمل إلا لمن قدم بين يديه أعمالا صالحة كبيرة .

الاسمِ اليوم : الأكرم ، والأكرم اسم تفضيل .. قال الله تعالى : " اقرأ وربُّك الأكرَم " ، من الكرم ، والكرم ضد اللؤم .

بالمناسبة الأخلاق لها مفردات مثلا مثل الشجاعة ، أو الصبر ، أو الحلم ، وتحمل بعض الصفات الإنسانية معاني جامعة ، مثلا المروءة .. صاحب المروءة كريم ، صاحب المروءة عفيف ، صاحب المروءة شجاع ، صاحب المروءة يلبي حاجة الضعيف ، صاحب المروءة صاحب نجدة ، صاحب المروءة صاحب إغاثة للَّهفان ، كلمة مروءة ، كلمة تشمل عشرات الصفات .. أما

اللؤم- والعياذ بالله - فهو بُخل على جُبن على كِبر على أثرة على قسوة على دناءة .

هل تعلمون أيها الإخوة ما هو الذل ؟ الذُّل أن يقف الكريم باب اللئيم ثم يرُدَّه ، وهناك إخوان كرام لا يسمح أحدهم لنفسه أن يقف موقف ضعف أمام لئيم ولو ضاعت منه الدنيا بأكملها .

فإذا كنت واقفا على إشارة المرور الحمراء فانتظر دقيقتين حتى تلوح الخضراء خير لك من أن تقف موقفا أمام إنسان سيحاسبك بقسوة ، الإنسان المؤمن كريم ، لا ينبغي للمؤمن أن يُذِل نفسَه ولا ينبغي له ..

إطلبوا الحوائج بعِزَّة الأنفُس فإن الأمورَ تجري بالمقادير ..

من جلس إلى غني فتضعضع له ،ذهب ثُلُثا دينه .

و إليكم هذه القصة :. إنسان جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام يطلب منه مساعدة ، سبحان الله : النبي الكريم أراد أن يعلِّمه درسا ويعلم الناس درسا ، قال له : أعندك شيء في البيت ؟ قال له : والله ما عندي إلا قعب (إناء) أشرب به وحِلس (بساط) أجلس عليه ، فقال له : " إئتني بهما " - فلم يبق في بيته شيء - قال الرجل : فأتيته بهما ، فقال عليه الصلاة والسلام : من يشتري هذين منكم ؟ قال أحد الصحابة : أنا أشتريهما بدرهم، قال عليه

الصلاة والسلام : من يزد على درهم ؟ (من هنا شرعت المزايـدة) ، فقال صحابي آخر : أنا أشتريهما بدرهمين ، قال : هات الثمن ، باعه الحلس والقعب وأخذ الدرهمين ، قال عليه الصلاة والســـلام للرجـــل السائل : اذهب إلى أهلك فاشتر لهم بدرهم طعامـــا فـــامدده إليـــهم ، وائتني بالدرهم الآخر بقَدوم (هذه خطة النبي) : فلما جـــاءه بقَـــدوم شد عليه النبي صلى الله عليه وسلم عصا بيده الشـــريفة ، وقـــال : اذهب واحتطب ولا أرينَّك لخمسة عشر يوما .

العلماء فسروا هذا الموقف .. أن الإنسان إذا كان أهله جياعـــاً، فلا يصح أن يُتاجر أو يُنتج ، أما حينما يؤمّن الطعام لأهلـــه فلـــه أن يتاجر و ينتج كما يشاء .

فعاد بعد سبعة أيام وقد جمع عشرة دراهم ، فقال لـــه : هـــذا خير لك من أن تسأل الناس . علمه درسا في التعفف عن المســـألة كما عليه أن يقرع أبواب الرزق التي شرعها الله لعباده .

فالإنسان إذا فتح على نفسه باب مسألة ، فتح الله عليه بـــاب فقر. لأن الذي أعطى غيرك سوف يعطيك !!!

الذي يلفت نظري أن شابا مؤمنا تكون الطـــرق كلـــها أمامـــه مغلقة ، فيطرق باب الله تعالى قائلا : يارب الأمر بيدك وقد تعلق قلبه ورجاؤه بالله فهل يرده الله خائبا ؟!!

قال لي أخ كريم : صليت قيام الليل ودعوت الله من أعماقي أن يرزقني كي أتزوج ، وذكر لي : أنه يملك محلا في أطراف المدينة لتصليح مكيفات ، ولكنه لا يجد زبونا واحدا ، ولا شيء على الإطلاق من أسباب الرزق قال : وأنا على أحر من الجمر أريد الزواج ، وخطبت فتاة صالحة وممتازة ، لكن تنتظر مني أن أقدّم لها شيئا ، وأن أخطبها بشكل رسمي وأن أعقد العقد ولكني لا أملك شيئا ، فلم يجد إلا الله ملجأ وملاذا ، يقول الشاب : والله صليت ركعتين في جوف الليل ، وسألت الله في السجود أن يرزقني رزقا حلالا طيبا كي أتزوج ، ولم يلبث وهو يقص القصة أن بكى ، وقال : والله خلال مدة عشرين يوما حصلت على سبعين ألف ليرة من المحل نفسه وقال لي : وصار عندي تصليح وتركيب وبيع كثير ، وقد مضى على المحل مفتوحا سنتان ، كانت أموري خلالها بائسة ، ثم بالدعاء والابتهال فتح الله ما كان مغلقا ، فالأمر بيد الله عز وجل !!!

إن ربنا عز وجل لحكمة بالغة يقطع آمالك من الخلق لأيام طويلة فإذا يئست منهم فتح لك بابه ، فأنت كن ذكيا ألمعيا واتجه إليه مباشرة و لا تطرق باب الخلق أصلا .

إذن: الكرم ضد اللؤم .. والكرم في أدق تعاريفه هو فعل ما ينبغي دون غرض شخصي .

أكثر الأجانب أذكياء جدا قد ينتزعون إعجابك بدقة مواعيدهم أو بإتقان صنعتهم ، لكن غرضهم يكون هو الربح ،أو التنمية بالتعبير الاقتصادي الحديث ، غرضهم رفع مستوى الأرباح ، لذلك يعتنون جدا بصناعتهم و بتجارتهم وبمواعيدهم و بإتقان صنعتهم . هم يفعلون ما ينبغي و لكن يفعلونه لغرض .. أما الكرم فهو أن تفعل ما ينبغي دون غرض... قال الله تعالى في سورة الإنسان :

إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾

فمن وهب المال لجلب النفع ، أو لدفع الضر ، أو للخلاص من ذم فليس بكريم ، وبعد ، إذا عمل الإنسان عملا بطوليا ، يقول لك لأغراض انتخابية ضاع أجر العمل!!! والآن في العالم كله إذا عمل إنسان عملا بطوليا فهو بمقياس الإنسانية عمل إنساني ، ما الذي يفرّغه من مضمونه؟ أنه لأسباب انتخابية فقط ، هذا معنى إحباط العمل .. أما المؤمن فيفعل الأعمال الصالحة ابتغاء مرضاة الله لا لمديح ولا لثناء ولا لمكافأة ولا لذكر يجري بين الناس ، والكريم هو الصفوح عند الذنب ..

قالوا : الكرم يقترب من الحرية ، الحرية صفة مديح ، فلان حر ، أما إذا خضع لنزواته ليس حرا فهو عبد!!

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال تعس عبد الدينار والدرهم (أي عبد المال) و القطيفة و الخميصة إن أُعطيَ رضي وإن لم يُعط لَم يَرضَ " .

فالإنسان أحيانا يخضع لنزواته ، إذن هذا ليس حُراً بل هو عبد، الإنسان يخضع إلى عصبيته الضيقة ، فيكون ابنه مثلا على حق ولو كان أسوأ الناس ، ورفيق ابنه على باطل ولو كان أحسن الناس ، وهذا الشيء يظهر عند النساء حين تُثني على ابنتها وتمدحها، وابنتها ليس أرق ولا أحسن منها بين بنات الناس منها ، وابنتها ذكية، وابنتها طباخة ، وابنتها مثقفة ، وابنتها وابنتها .. وحينما تتزوج هذه البنت يبدو منها مالا تُحمد عقباه ، فهذه المرأة ليست حرة لأنها تزوّر الحقائق بدافع من عصبية ضيقة .

من هو الحُر ؟ هو الذي ينطق بالحقيقة ولو كانت مُرَّة . من هو الحر؟ الذي يُنصف الناس من نفسه ، فكلمة حر تعني أنه لا يخضع لهوى ، لا يخضع لنزوة ، لا يخضع لضغط ، لا يخضع لفقر، لا يخضع لطمع ، الطمع أذل رقاب الرجال ، الإنسان يحب عشيرته ، وأبناء ملته ، وأبناء جلدته يحبهم إلى درجة الكذب والنفاق ، ويكره أعداءه إلى درجة الظلم فيجحف بحقهم .

إلا أن العلماء قالوا : " الحرية تقال في المحاسن الصغيرة والكبيرة ، والكرم لا يقال إلا في المحاسن الكبيرة ، كمن يُنفق مالا

في تجهيز جيش في سبيل الله " .. اللهم صل على محمد وآله ، حينما جهز عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابي الجليل جيش العُسرة بأكمله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم " ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان يقدِّر المعروف .

جاء رجل اسمه تميم الداري كان في الشام واشترى سرجا ، وحبالا ، وزيتا ، وجاء مع غلمانه وعلق القناديل في المسجد ربطها بحبال ثم حينما دخل وقت العشاء أسرجها ، فدخل النبي عليه الصلاة والسلام وسر بهذا سرورا بالغا قال من فعل هذا ؟ قالوا : تميم الداري ، فقال عليه الصلاة والسلام : "يا تميم نور الله قلبك كما نورت هذا المسجد لو أن لي بنتا لزوجتك " من شدة تقديره لهذا العمل .

أحيانا يقدم إنسان خدمات إلى المسجد مثلا ، يقدم خدمات لدعوة ، يقوم بعمل طيب ، يسهم في خدمة الآخرين ، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا ، وأنا لا أنسى أبدا الآية الكريمة التي تذكر أن امرأة عمران قالت :" رب إني وهبت لك ما في بطني محررا فتقبل مني إنك أنت السميع العليم " سورة آل عمران .

هل يوجد بيننا نحن الحاضرين شخص - وأنا معكم - ليس له ميزة ؟ مستحيل ، هذا يتقن الرياضيات ، مثلا هذه المرأة تتقن الطبخ .. وهكذا.

أصيبت امرأة بمرض خبيث في دماغها وشفاها الله عز وجل فنذرت لله عز وجل أن تعمل صالحا ،إنها فقيرة لا تملك من حطام الدنيا شيئا ، ماذا تملك ؟ إستأجرت غرفة وصارت تطبخ الطعام الشهي النفيس وتبيعه للأسر الغنية التي تحب أن تأكل طعاما بيتيا ، وبالربح صارت تعالج المرضى ، هذا مثل .. إمرأة لا تملك إلا فن الطبخ فوظَّفت هذه القدرة في العمل الصالح وبدأت تدفع نفقات عمليات وخدمات للفقراء المرضى ، هذه تقربت إلى الله بطبخها .

هل يوجد إنسان ليس له ميزة ؟؟ . امرأة عمران ماذا تملك ؟ تملك ما في بطنها قالت : رب إنِّي نذَرتُ لك ما في بطني محرَّرا .

عندنا أخ محام ، وأخ طبيب ، وأخ مهندس ، وأخ مدرس، وإنسان حالته المادية جيدة ، وإنسان عنده قدرة على الإقناع ، وإنسان عنده خبرات معينة ، فتجد الحياة تحتاج إلى تعاون ، قدِّم شيئاً ما لله عز وجل ولا تعجز.

والله أنا أحيانا أكون ممتن جدا ومسرورا من بعض الإخوان يقول لي أحدهم : أنا محام إذا اتصل بك أخ فقير له قضية فابعثه إلي ، الله يجزيك الخير.. ويقول لي آخر : أنا محلِّل في معمل إذا

علمت بأخ فقير يريد أن يحلّل فأنا جاهز . أنا طبيب لو أرسلت لي أخا فقيرا أعالجه مجانا .. ذات مرة أخ من إخواننا الكرام جراح ، قال لي : أنا مستعد أن أستقبل أي أخ يريد إجراء عملية ، بعثنا له أول أخ عمل له عملية ، بالمستشفى وفي الدرجة الثانية ونجحت العملية ، بعثنا له أخا ثانيا وأخا ثالثا .. هذا أدّى زكاة اختصاصه ، يجب أن نتوسع في مفهوم الزكاة ، فهناك زكاة مال ، وهناك زكاة وقت ، و زكاة خبرة... الخ .

ومن الممكن أن تؤدي زكاة مالك بالإنفاق ، وزكاة وقتك بدرس علم ، وزكاة خبرتك بتعليمها لمن يرغب . أعرف شخصاً إذا بعث له أحد ابنه ليتعلم الصنعة بدون أجر، فلا يعلمه، بل يشغّله فقط ، و عندما يريد أن يفك المحرك يقول له : ذهب خارج المكان ...هذ أقول له : " يا أحمق .. علّمه ، والله هو الرزاق ، أدِّ زكاة خبرتك ، أدِّ زكاة مالك ، أدِّ زكاة وقتك ، أدِّ زكاة صحتك عاون المرضى ، أدِّ زكاة وقت فراغك ، عاون الضعفاء " !!! .

إذن مَن الحُر ؟ قد يقال فلان حر إن صدرت عنه محاسن صغيرة وكبيرة ، أما لا يقال له كريم إلا إن صدرت عنه المحاسن الكبيرة ، كمن ينفق ماله في تجهيز جيش بأكمله . كمن يتحمل ديِّات القتلى ويحقن دماء المسلمين ، فهذا عمل جليل !!! .

أما النقطة الدقيقة أيها الإخوة .:. ليس المـــهم أن تقـــرأ الآيـــة وتجري على اللسان كثيرا لكن المطلوب منك أن تدقق في معانيها .. قال الله تعالى : " يا أيها النَّاس إنَّا خلقناكم من ذكرٍ وأُنثى وجعلنـــاكُم شُعوباً وقبائلَ لِتعارفوا إنَّ أكرمكم عندَ اللهِ أتْقاكُم إنَّ اللهَ عليمٌ خبـــير " (سورة الحجرات – ١٣) .

إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم " .. أي : أعلاكم مكانة عنـــد الله هـــو أشرفكم وأقربكم إلى الله أتقاكم .. المعاني مفهومة وواضحة ، فـــهل عملت بها ؟

الله عز وجل قال لك إن المقياس عندي التقوى أي الطاعة ، قـــال الله تعالى في سورة الأحزاب :

يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾

أتحب أن تكون عند الله أكرم الناس ؟ أطِعه .. الشيء بين يديـــك مبذول ، آلاف الناس لن تستطيع أن تصل إليهم ، ولـــن تســـتطيع أن تخطب ود أحدهم ، ولن تستطيع أن تقابله ، لكن الله جل جلاله خـــالق الكون يقول لك : " إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم " فأي إنسان يطيـــع الله عز وجل الله يقرِّبه ويرفع له مكانته ، أما إذا وُصف الله عـــز وجـــل بالكرم ، فإنما هو اسم لإحسانه و إنعامه المتلاحق ..

جاء اسم الأكرم في قوله تعالى في سورة العلق : " اقرأ وربُّك الأكرم الذي علَّم بالقلم " ، أي هو أكرم الأكرمين ، هو المعطي ، هو المسعِد ، هو المُحسن ، والناس والعياذ بالله لا يرون إحسان الله .

أحيانا تدفع عن إنسان أجرة الركوب في السيارة خمس ليرات تكرمةً له ، فتجده طوال الطريق يشكرك بتعبيرات مختلفة وهو ممنون منك ، ويعيدها لك عدة مرات من أجل خمس ليرات دفعتها عنه !!! .

فالذي منحك نعمة الوجود بعد أن لم تكن شيئا مذكورا ، نعمة الإيجاد ، نعمة الإمداد ، نعمة الهدى والرشاد ، خلق لك من جنسك امرأة هدية لك بها آية سكن ومودة ورحمة ، آواك فيْ بيت ، أطعمك ألوان الطعام ، خلق لك أنواع الفواكه ، رزقك ابنا يملأ عليك البيت فرحا وسرورا ، أعطاك أجهزة دقيقة في جسمك، فقد قال تعالى في سورة البلد : " ألَم نجعل لهُ عينَين ، و لساناً وشفَتين ، و هدَيناهُ النجدين ؟ " (١٠) .

<u>فهذا الذي خلق كل هذه النعم ألا يستحق أن تشكره ، أن تذكره</u> . ؟؟!!! .

وفي سورة الرحمن أيضا آية ثانية :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

العلماء قالوا : لا ينبغي أن تقول : " كلُّ مَن عليها فان " .. وتقف بل ينبغي أن تتابع الآية فتقول : " كُلُّ مَن عليها فان ويبقى وجهُ ربِّك ذو الجلالِ والإكرام ".

أي أن الله عز وجل هو المُكرم هو الكريم ، هو المُعطي ، منحك كل النعم ، أما هذا الإنسان الجاهل الغافل فهو مسكين إذ يعزو هذه النعم إلى غير الله ، فيعزوها تارة إلى ذكائه ..

قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾

سورة القصص

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَـٰذِهِ ٱلْأَنْهَـٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾

سورة الزخرف

و ما إلى ذلك كأن يعزوها إلى مهارته في العمل أو حسن حظه .

و الإنسان ينبغي أن يعلم حقيقة الألوهية .. فالكون كله عطاء من عطاءاته .. فأنا أذكر ذلك كثيرا .. فهل من الممكن أن تصدق أن هناك مليون مليون مجرة ، وفي كل مجرة فيها مليون مليون نجم ، أي لو كتبنا رقم واحد وأمامه أربعة وعشرون صفرا فما هذا

الرقم !!! إنه رقم خيالي وكل هذه الكواكب والنجوم مسخرة للإنسان ، الله عز وجل قال في سورة لقمان:

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾

فإذا قرأ أحدكم قوله تعالى : " اقرأ وربُّك الأكرمُ الذي علَّم بالقلم " ، ألا يشعر برعشة ، بخفقان ، بجلد يقشعر ، بقلب يخفق ؟؟!!!! .

إخواننا الكرام ... الدين أساسه الحب ،و إذا أُلغي الحب من الدين صار الدين ثقافة ، وطقوس ، وفلكلور ، وعادات ، وتقاليد ، ومعلومات ، وكتب وهكذا ، أما إذا كان في الدين حب فإنه يفعل كل مستحيل .

النبي عليه الصلاة والسلام من أدعيته الشريفة : " يا حيُّ يا قيوم ، يا بديعَ السماواتِ والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك " .

و كان عليه الصلاة والسلام يكثر من قراءة هذه الآية : " كُلُّ من عليها فان ويبقى وجهُ ربك ذو الجلال والإكرام ".

أيها الإخوة ... من إجلال الله عز وجل ألا نعصيه ، ونطيعه فلا نخالفه لأنه ذو الجلال والإكرام وذو العظمة والكبرياء ، فلا أريد أن أطيل عليكم .. الكافر يقف عند النعمة، ويعمى عن المُنعم ، والمؤمن يتجاوزها إلى المُنعم .

النبي عليه الصلاة والسلام كانت تعظُم عنده النعمة مهما دقت ، والمؤمن يتقلب في نعم الله ، والنبي عليه الصلاة والسلام يقول : أحِبّوا اللهَ لما يغْذوكم به من نِعَمه ، وأحبوني بحب الله ، وأحبوا آل بيتي لحبي .

و أخرج البيهقي عن ابن عباس، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ان داود عليه السلام قال فيما يخاطب ربه عز وجل: يا رب، أي عبادك أحب إليك كي أُحبَّه بحبك ؟ قال : " يا داود أحب عبادي الي نقي القلب، نقي الكفين، لا يأتي إلى أحد سوء ، ولا يمشي بالنميمة ، تزول الجبال ولا يزول ، أحبَّني وأحبَّ من يحبُّني ، وحبَّبَني إلى عبادي ، قال: يا رب إنك لتعلم أني أحبك وأحبُّ من يحبك ، فكيف أحبِّبُك إلى عبادك؟! قال : ذكِّرهم بآلائي و نعمائي ، و بلائي (ذكِّرهم بآلائي كي يعظِّموني ، وذكِّرهم بنعمائي كي يحبوني ، وذكرهم ببلائي كي يخافوني) ، يا داود إنه ليس من عبد يُعين مظلوما ، أو يمشي معه في مَظلمته ، إلا ثبَّتَّ قدميه يوم تزِل

الأقدام . فالملخص : أنه لا بد من أن يجتمع في قلب المؤمن تعظيم لله ، وخوف منه وحب له .

فإذا شربتَ كوباً من الماء وكان طريق الخروج سالكاً فهذه نعمة كبرى ،أما إن كان غير سالك فآلام حصر البول لا تُحتمل ، وهنا يلزم استدعاء الإسعاف في الساعة الثالثة ليلاً لفتح مجرى البول ، وإذا أكلت طعاما .. وكان طريقها سالكاً،فهذه نعمة أخرى كبرى .. قال تعالى :

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾

سورة محمد

" وسُقوا ماءً حميماً فقطَّع أمعاءهم " .. فالأمعاء ليس بها إحساس لا بالحر ولا بالبرد ، حتى لو وضعت فيها ماء يغلي ، أما آلام الضغطِ داخلها فلا يحتمل ، فإذا مشيت متوازنا ، فهذه نعمة لأنه إذا اختل جهاز التوازن لاحتجت إلى عصا لتمشي مستعينا بها ، ولكنك تمشي متوازنا ، وأجهزة جسمك تعمل بانتظام ، والحواس الخمس سليمة .. فهذه من نعم الله العظمى !! .

إخواننا الكرام مرة ثانية ... الآلاء للتعظيم ، والنعم للحب ، والمصائب للخوف .. بالخوف تتقي أن تعصيه ، وبالحب تُقبل عليه ، وبالتعظيم تتابع الرُّقي إليه .. وهذا من بعض الخواطر الإيمانية المتعلقة باسم الله الأكرم .. " إقرأ وربُّك الأكرمُ الذي علَّم بالقلم " .

في النهاية أنت إنسان أودع الله فيك قوة إدراكية فإن لم تتعرف عليه عطَّلتها ، وإذا عطَّلتَ القوة الإدراكية هبطتَ إلى مستوى لا يليق بك .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الباب

الربّ

أيها الإخوة الكرام : الاسم اليوم هو الرب .. وهو من أقرب الأسماء إلى العبد ، والرب إسم من أسماء الله الحسنى إلا أنه من الأسماء الزائدة على الأسماء التسعة والتسعين التي وردت في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الرب في اللغة هو المالك ، هو السيد هو المنعم ، هو المربي ، ولعل أقرب المعاني إلى الإنسان أنه المربّي ، ولا يُطلق غير مضاف إلا على الله تعالى ، رب ، أو الرب ، لا يطلق إلا على الله تعالى ، أما إذا أضيف فيطلق على الله تعالى وعلى عباده ، كقولنا : رب الدار أي صاحبها،هنا فقط يصبح هذا الاسم مشترك بين الذات الإلهية وبين الإنسان .

و يقال : عالم رباني أي راسخ في العلم ، إنسان رباني : أي كل حياته محصورة في معرفة الله وذكره وخدمة عباده ، فالربّاني هو الذي لا يتحرك إلا وفق منهج الله ، لا يقف موقفا ، ولا يعطي ، ولا يمنع ، ولا يغضب ، ولا يرضى ، ولا يصل ، ولا يقطع ، إلا وفق مرضاة الله ، عالم رباني ، وكما يقول سيدنا علي : الناس ثلاث .. عالم رباني ، ومستمع على سبيل نجاة ، وهمج رعاع أتباع كل ناعق ، لم يستضيؤوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق .

لفظ الرب مشتق من التربية ، فالله سبحانه وتعالى مُرَبٍ ومدبر لخلقه ، المربي له صفتان أساسيتان .. أنه مُمِد ، وأنه يرعى ، الذي يمدنا بما نحتاج هو ربنا ، والذي يمد أجسادنا هو ربنا ، والذي يربي نفوسنا ، يهدينا إلى صراطه المستقيم ،و يُلجئنا إلى بابه هو ربنا .

تقريبا- ولله المثل الأعلى- الأب يوفر لأولاده حاجاتهم المادية ، طعام ، شراب ، كساء ، حاجات ثم يربيهم بمعنى آخر يرعى أخلاقهم ، يرعى دينهم ، يرعى تعليمهم ، يرعى مستقبلهم ، ففي معنى الربوبية المشتقة من التربية معنى مادي ومعنى روحي .

قالت العلماء : وإذا أدخلت - ال -على كلمة رب اختُص الله تعالى بها فالرب هو الله لأنها للعهد ، أي الرب المعهود ولا رب سواه .

الله سبحانه وتعالى مالك الملك ، مالك المالك والمملوك ، فما معنى قوله تعالى : " الحمدُ للهِ ربِّ العالمين " ؟ أي مالك المالك ومالك المملوك ، مالك السيد ومالك العبد .

الرب من معانيه أنه خالق ورازق ، وكل رب سواه غير خالق وغير رازق .

الأب يربي أولاده لكن لم يخلقهم ولم يرزقهم ، فإذا قلنـــا فـــلان مرب ، والأب مرب ، والمعلم مرب أي يقدم توجيـــهات ، يتـــابع ، يحاسب ، يضيق ، يشدد ، يكافيء ، يعـــاقب أمـــا إذا قلنـــا : الله رب العالمين أي خلقنا وأمدنا ووجَّهنا .

لذلك أنت في نعمٍ ثلاث : نعمة الإيجاد ، ونعمة الإمداد ، ونعمـــة الهدى والرشاد

أوجدك ولم تكُن شيئا من قبل ، وأمدَّك بما تحتاج ، ثـــم هـــداك إليه .

كلمة الرب وردت في القرآن الكريم بضع مئات مـــن المـــرات ، حتى إن بعض المصاحف التي تلون كلمة الله باللون الأحمر ، تلـــون معها كلمة رب لأنه ورد أن الرب هو إسم الله الأعظم ، فأقرب إســـم لك هو رب العالمين .

والحقيقة أن كل واحد من الإخوة الحاضرين ، وبشكل موسع كـــل مؤمن يتحدث عن ربوبية الله الشيء الكثير ، فيقول لك : فعلت كـــذا فأدَّبني، فعلت كذا فكافَأني ، دعوتُه فاستجاب لي ، ظلَمـــتُ فظُلمـــت ، اعتديت فاعتُدي علي ، أكلت مالا مشبوها فـــأتلف الله مـــالي .. كـــل واحد فيما بينه وبين الله يعلم أن الله سبحانه وتعالى يحاسبه حســـابا دقيقا ، هذه هي التربية الروحية ، ففي سورة الفاتحة قـــال تعـــالى : " الحمد لله رب العالمين " .

فالله عز و جل قوي ، و قدير ، و عليم ، و جبار ، و متكـــــبر ، و قاهر ، أما أنت كعبد الله عز وجل ربك هو الـــذي خلقـــك ورزقـــك ودلك عليه .. قال الله تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم فـــــي ســـورة الشعراء :

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

الحقيقة كلمة رب .. ذات خصائص جمـــة أولا مـــن خصـــائص التربية العلم والرحمة ، ومن خصائص التربية القدرة ، يعلم ، وهـــو على كل شيء قدير ، وهو رحيم بنا، أما معنى قول الله عز وجل فـــي سورة الفاتحة " الحمد لله رب العالمين " أي أنه خالق الأكوان وجميع العوالم التي خلقها ، فالعلاقة بين خالق الأكوان وبين جميع العوالـــم التي خلقها - الأكوان - علاقة تربيـــة أي خلـــق وإمـــداد وإكـــرام وعناية ، علاقة حب ، علاقة عناية ، فأحيانا يكون هناك علاقة بيـــن شخصين علاقة محاسبة ، علاقة انتقام ، علاقة قسوة

و أوضح مثل : علاقة أية أم على وجه الأرض بابنـــــها علاقـــة حب ، علاقة رحمة ، علاقة صلاح ، فـــإذا قلنـــا الله رب العـــالمين ، أو " الحمد لله رب العالمين " أي أن الله سبحانه وتعالى هـــو خـــالق الأكوان ، وما سوى الله عوالم ، والعلاقة بين الخالق وبين العوالـــم

التي خلقها علاقة رحمة ، فالرحمة عطاء ،فيها علم ، وفيها قـــدرة ، وفيها جمال ، وفيها لطف ، وفيها عناية .

لذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه : " والله لو كُشف الغطـــاء ما ازدَدتُ يقينا " ، والحقيقة أنك لن تكون على نحو يرضى الله عنــك إلا إذا أيقنت بربوبيته لك .

لقد سمعت ذات مرة كلمة .. فقد كان إنسان يصيح في الطريـق ويبدو أن لديه مشكلة ما ، فصاح غاضبا وقال :" يعني : إذا لم يكـــن له أب أما له رب ؟! " هذه الكلمة تركت فـــي نفســـي أثـــرا كبـيرا ، فالمربي هو الله ، قد تجد يتيما تولاه الله بالعناية ففاق كـــل الأطفـــال الذين رباهم أهلوهم .

في سورة الفاتحـــة . يقـــول الله عـــز وجـــل:" الحمـــد لله رب العالمين " .. و كلمة رب العالمين لا تعني أنه رب الإنســـان فقـــط ، فأحيانا الإنسان لضيق نظره ، ولضيق أفقه ، و لمحدوديته يظـــن أن الله له وحده ، أو له ولإخوانه ، أو له ولجماعته ، أو له ولمسـجده ، ألا فاعلم أن ربنا عز وجل لكل عباده ، لكل المؤمنيـــن هـــو ربـــهم ، لكل الناس ، لكل الحيوانات ، لكل النباتات ، لكـــل الجمـــادات ، لكـــل العوالم .

يقولون : عالم الحشرات ، عالم النبات ، عالم الأسماك ، عـــالم الأطيار ، عالم الفضاء الخارجي ، عالم الأرض ، عالم الجبال ، عـــالم

البحيرات ، عالم البحار ، كل المخلوقات المتجانسه اسمها عالَمَ ، والله رب العالمين " الحمد لله رب العالمين ، و في سورة الأنعام قال تعالى :

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ .

ما من كلمة في اللغة أوسع شمولا وأكثر استغراقا من كلمة شيء .. فالذرة شيء ، وجزئيات الذرة شيء ، النواة شيء ، والكهيرب - الألكترون - شيء ، المدار شيء ، الفيروس شيء ، عوامل المرض وهي أقل من الفيروس شيء ، الشمس شيء ، المجرات شيء ، الكون شيء ، ما من كلمة في اللغة أوسع شمولا ولا أكثر استغراقا من كلمة شيء قال الله تعالى : " قُل أغيرَ اللهِ أبغي ربّاً وهو ربُّ كلِّ شيء " ؟؟؟!!! .

فإذا أردتَ أن تُقيم علاقة طيبة ؛ أتُفضل أن تقيمها مع شرطي وتسترضيه وأنت تعرف أن عمله محدود بساحة من الساحات وهو فقط ينظم شؤون السير ، ولا يملك أي شيء آخر ، أم تقيمها مع ملك يملك البلاد كلها بخيراتها وبمواردها ، وبثرواتها وسائر شؤونها.. أيهما تتخذ وليا لك ؟!! " قُل أغيرَ اللهِ أبغي رباً وهو ربُّ كل شيء " ؟؟!!! ليس رب الناس ، رب العوالم ، بل رب المخلوقات

جميعا .

فربما ينام أحد في خيمة في الصحراء ، وقد يخاف من وجـــود أفعى ليلا وهذا ممكن في الصحراء ، ولابـــد أن ينـــام لأنـــه متعـــب مرهق ، فينام متوكلا على الله . وأنت حينما تنام على من تتوكـــل ؟ تتوكل على رب العالمين ، هذه الأفعى بيد الله عز وجل وهـــو الـــذي يَحول بينها وبينك إن تتوكل عليه ، أنت حينما تتعـــامل مـــع خـــالق الكون فإن كل المخلوقات بيده .. " ربٌّ كل شيء " . و في ســـورة الأعراف قال الله تعالى :

إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾

سورة الأعراف

كأن هذه الآية أشارت إلى تعريف الربوبية .. أحيانا نصنع طائرة و نبيعها ، فنحن صنعناها . أما أمرها الآن فبيد من اشـــتراها ، قـــد يستخدمها لعدوان ، أو يستخدمها لنقل ، أو يستخدمها فـــي أعمـــال الاستطلاع ، أو يجعلها على أرض المطار جاثمة ، أو يخفيها ، الـــذي اشتراها هو الذي يملك أمرها ، نحن صنعناهـــا ثـــم بعناهـــا ، لكـــن الله سبحانه و تعالى – ولله المثل الأعلى- أي شيء خلقـــه بيـــده ، بملكوته " ألا لَهُ الخلقُ والأَمر * تبارك اللهُ رب العالمين "

هناك شيء آخر .. فهذا الشيء الذي خلقه الله عز وجل : صلاح أمره وكل الأحوال منوط بخالقه ، التوجيه الذي يسعده توجيه خالقه ، التوجيه الذي يحفظه توجيه خالقه .. " ألا لهُ الخلق والأمر " أي ينبغي أن تتبع أمر الذي خلق .

فالمعنى الأول : " لهُ الخلقُ والأمر " أي خلقه ويأمره دائما، أي أمْرُه بيده ، تحت سيطرته ، في قبضته ، في ملكوته .

المعنى الثاني .. أن هذا الشيء الذي خُلق لا يصلح ولا يستقيم أمره إلا إن اتَّبع أمر الذي خلقه

وقال الله تعالى في سورة التوبة :

فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

" لا إله إلا هو " .. هو الرب أي ما من حركة ، و لا من سَكَنة ، و لا خفض ، و لا إعزاز ، و لا إذلال ، و لا قبض ، و لا بسط ، و لا سكينة ، و لا خوف ، و لا قلق ، و لا طمأنينة إلا بيده .. " فإن تَولَّوْا فقُل حسبيَ اللهُ لا إله إلا هو " .. أي يكفيني الله ، الذي لا إله إلا هو .

فإذا قال المؤمن : " حسبيَ الله " فهو مع القوي ، ومع الغني ، ومع الرحيم ، هو مع الخالق ، ومع القديم ، ومع الأبدي ،

هو مع من بيده كل شيء ، وقد كان النبي عليــه الصــلاة والســلام يقول : " حسبُنا الله ونعم الوكيل " وقال الله سبحانه :

ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾

قرأت عن سيدنا الصديق قال :أنه ما ندم على شيء فاته مــن الدنيا قط ، لأن الله حسبه ، ومن كان الله حسبه كفاه أمر الدنيا كلــها و قال الله عن أهل الكهف :

وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾

سورة الكهف

لا أدري ما إذا كنت قد أوضحت هذه النقطة .. أنت حينما تكــون مع إنسان فإن هذا الإنسان قدراته محدودة مهما علا شــأنه ، لكــن حينما تكون مع الخالق، ربك ، رب السماوات والأرض ،فــأنت مــع القوة القاهرة القادرة بلا حدود !!!!! .

" و ربَطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربُّنــا رب السـماوات والأرض " .. فكلمة الفتية هذه تعني غاية التوكل و التفويض .

أي ربك الذي يرعاك بيده الريــاح ، بيــده العواصــف ، بيــده الأعاصير ، بيده الأمطار ، بيــده إنبــات النبــات ، بيــده مســببات

الأمراض ، بيده الفيروسات ، كل شيء بيده .. " لن ندعوَ مِن دونــــه إلها ".. فالله عز وجل فوق الخلق جميعا وخلقه لا شيء أمامـــه ،ولا يصح أن نعبد أي شيء من دونه ، لذلك قالوا : " وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونـــه إلـــها لقد قُلنا إذا شطَطا " .

و قال الله تعالى في سورة الرحمن :

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾

هناك ظاهرة لا أحد ينتبه لها .. افتح تقويما وقلب أوراقه وافتـــح على يوم ثمانية وعشرين تشرين ثان فتجد أن شروق الشمس عنــــد الساعة الخامسة وسبع دقائق ، وهذا التقويم من خمسين سنة ويمكن أن يكون من مائة سنة وهو صالح لمليون ســـــنة قادمـــة ، فحركـــة الأفلاك بمعشار الثانية :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾

سورة غافر

فثبات حركة الأفلاك ، دليل واضح على أن حركتها وسكونها بيــد الله تعالى . حتى إن أضخم ساعة في العالم في العاصمة لندن – بيـج

بن - تُضبط على نجم ، فقد تؤخر أو تقدم في السنة عدة ثوان فقط ، فمن يصححها ؟ النجم وهو أدق منها ، تُضبط عليه ، فهذا معنى قوله تعالى : " ربُّ المَشرِقين " فإذا كان للإنسان بيتا مشرفا على جهة الغرب أو جهة الشرق يقول لك : في الشتاء الشمس تشرق من ها هنا ، وفي الصيف تشرق من هاهنا ، فهناك مسافة كبيرة جدا بين المشرقين ، فالقوس الذي يسع أقصى المشرق وأقصى المشرق على مدار الفصول قوس واسع جدا ، فهو في آية .. " رب المشرقين ورب المغربين " .. هو الذي جعل الشمس تشرق وجعلها تغيب ، أما رب المشرقين النهاية العظمى صيفا والعظمى شتاء .

إذا كان بيت الإنسان يطل على الغرب فإنه يرى الشمس تغيب في الشتاء بالإتجاه الغربي الجنوبي ، أما في الصيف فاتجاهها غرب تقريبا ، السبب في ذلك أن الشمس تكون في فصل الصيف عامودية ، أما في فصل الشتاء تدخل إلى أقصى الغرف لإنها تكون في فصل الشتاء مائلة .. فمن جعلها هكذا؟ ! لو أنها دائما عامودية كنا في صيف دائم ، لو أنها مائلة دائما كنا في شتاء دائم ، أما أن تتنوع بين العامودية و بين المائلة فهو سبحانه الذي جعلها هكذا .

هذا معنى " رب المشرقين ورب المغربين " ، أما إذا قال الله عز وجل في سورة المعارج :

فكل يوم لها شروق معين ، يتحرك على مدار العام من أقصى اليمين إلى أقصى الشمال وبالعكس ، كل يوم لها زاوية تشرق منها ، ورب العالمين هو مالكهم .. وكل من ملك شيئا فهو ربه ، رب الدار أي صاحب الدار ، رب البيت أي صاحب البيت ، رب الأسرة أي مالك الأسرة ، ورب العالمين هو مالك العالمين!!!

و الرب هو المصلح ، والرب هو السيد ، والرب هو المدبر ، والرب هو الجابر ، والرب هو القائم .. ويقال لمن قام بإصلاح شيء وإتمامه ربه يربه فهو رب له والربِ هو المعبود .

أيها الأخوة ... أذكركم مرة ثانية بأن أقرب اسم من أسماء الله الحسنى إلى المؤمن هو اسم رب العالمين..في بعض التفاسير شُرحت كلمة رب العالمين بما يشعِر بأنها تعني الثناء المطلق على الله ... رب العالمين أي هو خالق ، رب العالمين أي هو رازق ، رب العالمين أي ممد ، رب العالمين أي رحيم ، رب العالمين أي عليم ، رب العالمين أي قدير ، رب العالمين أي محب ، رب العالمين أي رؤوف ، فالخلق والرزق الإمداد والعلم والرحمة والقدرة والحب والإكرام والرأفة كلها جمعت بكلمة رب العالمين .

فإذا قلت " الحمد لله رب العالمين " فإنك تثني على الله عز

وجل .

الآن تربية الله لعباده تأخذ منحيين اثنين : تربية خُلُقية ، وتربية شرعية تعليمية .

فأنت بشكل عام والجو برد قارص وابنك الذي تحبه بلا معطف ، تذهب وتشتري له معطفا ، هذه تربية خلقية ، يحتاج إلى غرفة خاصة ، يحتاج إلى مال ، يحتاج إلى كتب ، يحتاج إلى أقساط ، يحتاج إلى أشياء ثانوية .. فتعطيه إياها هذه كلها تربية خلقية .. لكن أحيانا رأيته يكذب فتؤدبه ، رأيته لا يصلي فتأمره بصلاة ، رأيته يلهو بأشياء سخيفة تنهاه عنها ، أنت الآن عملك شرعي .

يوجد تربية خلقية وتربية شرعية ، فربنا عز وجل يربي أجسامنا بإمدادها بما تحتاج ، ويربي نفوسنا بتزكيتها لتكون أهلا لجنته ، فتربية الله تربيتان ، لذلك ليس لغير رب الناس جهة يمكن أن تُشرع للعبادة أبدا ، العبادة لرب العالمين .

شيء آخر .. قالوا : الله عز و جل يربي نفوس العابدين بالتأييد ، ويربي قلوب الطالبين بالتسديد ، و يربي أرواح العارفين بالتوحيد ، ويربي الأشباح بوجود النعم ، ويربي الأرواح بشهود الكرم ، الأرواح يربيها ، والأشباح يربيها بالطعام والشراب ، والعارفين يربيهم تربية رفيعة جدا ، كلما ارتقى الإنسان يحاسب حسابا دقيقا ، أحيانا يحاسب نفسه على ابتسامة .

فبمستوى الدكتوراه في بعض البلاد ، إذا أخطأ المتقدم لنيل هذه الشهادة في مناقشته بحركة يعيد العام ويؤخر إلى عام قادم ، كلما ارتقى مستواه يحاسب حساب أدق ، فالعارفون بالله لهم حساب دقيق ، كلما ارتقى الإنسان في سلم الإيمان يحاسَب على الخطرات ، وكلما هبط مستواه يحاسب على الكبائر .

أيضا من معاني الربوبية قالوا : " إصلاح أمور العباد " ، فالله سبحانه و تعالى يصلح أمور الزاهدين بجميل رعايته ، ويصلح أمور العابدين بحسن كفايته ، ويصلح أمور الواجدين بقديم عنايته ، ويصلح أمور قوم يستغنون بعطائه ، ويصلح أمور الخلق جميعا .

الآية الكريمة من سورة النساء تقول :

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَيْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

"وكان فضلُ اللهِ عليكَ عظيما ".. ربَّاك وساقك إلى مجالس العلم ، ساقك إلى طاعته ، ألقى في قلبك محبته ، حبَّب إليك الإيمان وزيَّنه في قلبك ، وكرَّه إليك الكفر والفسوق والعصيان، هذه تربية .

إذا كان أب يسمع وابنه تكلم كلمة بذيئة أمامه ، فضحك له ، فإن

الولد يكررها ويتفوه بما هو أفحش وأسوأ ، أما إذا تكلم كلمة بذيئة فنهره وزجره ، فإن هذا الابن لن يعود للكلام البذيء أبدا ، أما إذا وجده يقرأ القرآن فكافأه ، معنى المكافأة والعقاب هذه تربية ، وأساسا أول صفة من صفات المربي ، أن تكافئ المحسن وأن تعاقب المسي ، وربنا عز وجل بمجرد أن تفكر في التحرك نحوه تجد أن الله شرح لك صدرك ، ألقى في قلبك السكينة والطمأنينة ، وتيسرت أمورك وعاملك معاملة جديدة وأشعرك أنه يحبك ، ولمجرد أن ترتكب معصية يلقي في قلب العاصي الضيق والكآبة والحيرة ، فالله يربينا عن طريق قلوبنا ..

عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك ، فقالت له عائشة إنك تكثر أن تقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وطاعتك قال وما يؤمّنني وإنما قلوب العباد بين إصبعَي الرحمن " مسند الإمام أحمد .

فأنت حينما تتخذ قرارا حكيما في صالح إيمانك يشرح الله لك صدرك ، وحينما تنحرف قليلا عن طريق الحق يملأ قلبك ضيقا وقلقا وحيرة . فلذلك ؛ القضية دقيقة جدا .

بعض العارفين قال الرب : " هو اسم الله الأعظم لكثرة دعوة الداعين به ، ولكثرة ورود كلمة رب في الدعاء القرآني " فقد قال

الله تعالى في سورة البقرة :

لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ ۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

و في آل عمران :

ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ

إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾

إخواننا الكرام ... تعقيب أخير على اسم الله رب العالمين ، صدقوني أن أحدكم إذا شعر أن الله يتابعه ، ويحاسبه على حركاته وسكناته، ويعاقبه سريعا ويؤدبه سريعا فهو في موطن عناية مشددة ، أما إذا ارتكب الإنسان المعاصي ولم يحاسبه الله عز وجل ، ولم يتابعه فاعلموا أنه خارج العناية الإلهية لأن الله علم فيه انحرافا شديدا ، وتمرُّداً وعُتوا وإصرارا على انحرافه ، فأحدنا إذا كان الله يؤدبه ويحاسبه ويحصي عليه أنفاسه ، يحاسبه على كلمة أو على نظرة ، أو على حركة لا ترضيه ويؤدبه سريعا فهذا محض ربوبية الله عز وجل، والإنسان بهذا في خير كبير، والله عز وجل يؤهّله لرحمته .

لذلك ورد في الحديث القدسي : " وعزتي و جلالي لا أقبض عبدي المؤمن وأنا أحب أن أرحمه إلا ابتليته بكل سيئة كان عملها سقما في جسده ، أو إقتارا في رزقه ، أو مصيبة في ماله أو ولده حتى أبلغ منه مثل الذَّرْ ، فإذا بقي عليه شيء شددت عليه سكرات الموت حتى يلقاني كيوم ولدته أمه .

هذه تربية الله لنا ، وصدقوني أيها الإخوة .. أن المصائب كلها لو كُشفت حكمتها لكم لكنتم في درجة من قبولها لا توصف ، فأنا أعرف أناسا كثيرين سبب توبتهم ، وسبب دخولهم في حظيرة الإيمان ، وسبب سعادتهم وتوفيقهم مصيبة ساقها الله لهم فأرجعتهم

إلى الله ، قال تعالى في سورة السجدة :

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ ﴾

" ولنُذيقنَّهم من العذابِ الأدنـــى " .. بالدنيـــا .. " دونَ العـــذابِ الأكبرِ " .. بالآخرة .. " لعلَّهم يرجعون " .. فلنفهم : أن الله إذا ســـاق لنا بعض الشدائد فهذا من أجل أن نتوب إليه ، لذلك ورد في القـــرآن الكريم .. " ثم تابَ عليهِم ليتوبوا ".. في قوله تعـــالى فـــي ســـورة التوبة :

﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾

أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بها على التوبـــة ، فـــإذا قلنا : تابوا فتاب عليهم ، أي قبل توبتهم ، أما إذا قلنا : " ثـــم تـــاب عليهم ليتوبوا " .. أي أن الله ساق لهم الشدائد ليحملهم بـــها علـــى التوبة .

فالإنسان المؤمن لا يتضجر إذا الله عز وجل أدبه ومعنى ذلك أنه في خير ، فإذا قال أحدهم لصديقه : أنا لست في راحـــة مـــن كـــثرة الوظائف والتبعات والتكاليف ، فأنا في الصف الرابع فـــي الجامعـــة والدروس علينا مكثفة والكتب صعبة ، والوظائف متتاليـــة ، وعلينـــا

تقديم أطروحة في آخر العام الدراسي ، ودوام كثير ودروس عمليــة ، فلست في راحة .

و قال له الآخر : أنا ليست لدي أية مشــكلة ، فأنــا أنــام إلــى الظهيرة، لأنه بالطبع لا يدرس وهو خارج الجامعة ، وبدون عمـل ولا مستقبل ، فليست لديه أي مشكلة وفي راحة ، فهذه الراحــــة راحــة الموتى ، وتعب الشخص الأول تعب الأحياء ، إن الله عز وجـــل إذا علم فيك خيرا ، ووضعك ضمن العناية المشددة وتابعك ، فلا تــوازن نفسك مع من هو شارد تائه ، كالدابــة المتفلتــه ، قــوي ، غنــي ، صحيح ويمارس كل شهواته بحرية بلا قيد أو شــرط ، فــلا تــوازن نفسك معه فأنت طالب علم ، أنت ترجو رحمـــة الله ، أنــت تطلــب الجنة ، أما ذاك شرد على الله شرود البعير ، قال تعالى فـــي ســورة الأنعام :

فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟
بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾

و قال تعالى : " لا يَغُرَّنَّكَ تقلُّبُ الذين كَفروا في البلاد *مَتاعٌ قليـلٌ ثُم مأواهم جهنَّمُ و بِئس المِهاد *لكنِ الذين اتَّقَوا ربَّهُم لــــهم جنَّــاتٌ تجري مِن تَحتها الأنهارُ خالدينَ فيها نُزُلاً مِن عند اللهِ ، وما عنــد الله خيرٌ للأبرار " (١٩٨- سورة آل عمران) .

ملخص الدرس : .. إذا ساق الله لأحدنا بعض الشدائد ليعلم علم اليقين أنه مطلوب لرحمة الله ، وأن فيه خيرا ، وأنه في العناية الفائقة .. فإذا الطبيب رأى مريضا مصابا بالسرطان من الدرجة الخامسة ومنتشر في كل أحشائه ، فبماذا ينصح المريض ؟ يقول له : ليست هناك مشكلة فكُل ما شئت .. وإذا سأله المريض عن نوع من حبوب الدواء هل يتناوله ؟ فيجيبه : كيف ما تريد وتحب وعلى حسب راحتك .. فتجده متساهلا معه كثيرا ، أما إذا كان مريضا بالتهاب في المعدة تجده ثائرا عليه فيما إذا تناول طعاما غير مناسب ، فإذا كان هناك أمل في الشفاء فتجد الطبيب يعامله بشدة بالغة ، أما إذا لم يكن هناك أمل في الشفاء فتجده لا يهتم بما يفعله ، فإذا كان الله يتابع الإنسان فمعنى ذلك أن الله يحبه وهو في العناية المشددة .

لذلك .. إذا أحب الله عبده عجّل له بالعقوبة .. و إذا أحب الله عبده ابتلاه ، فإن صبر اجتباه ، فإن شكر اقتناه ..

إذا أحب الله عبده جعل له وازعا من نفسه .. و إذا أحب الله عبده جعل حوائج الناس إليه .

فالإنسان لا يتضجر ولا يتأفف من تضييق الله عز وجل عليه ، فهذا التضييق محض رحمة ، ومحض إكرام ، و هو النعمة الباطنة التي فسرها المفسرون .. " وأسبَغ عليكم نِعَمه ظاهرةً و باطنة "..

في قوله تعالى في سورة لقمان :

أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ
عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ
وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٢٠﴾

و الحمد لله رب العالمين

*****

الرقاق

الرزّاق

" أيها الإخوة الأكارم : نتحـــدث اليـــوم عـــن اســـم الله تعـــالى ((الرزاق)) ، وقد ورد هذا الاسم في قولـــــه تعـــالى فـــي ســـورة الذاريات : " إنَّ اللهَ هو الرزاقُ ذو القوة المتين " (٥٨) .

والرزاق – كما تعلمون – صيغة مبالغة ، و إذا جاء اســـم الله عـــز وجل بصيغة المبالغة فمعنى ذلك أنه يرزق العباد جميعا مـــهما كـــثر عددهم ويرزق الواحد منهم رزقاً وفيراً لا حـــدود لـــه ، إمـــا علـــى مستوى مجموع المرزوقين ، وإما على مستوى كمية الرزق ، لذلـــك لم تأت الرازق بل أتت الرزّاق ، لأنه يرزق كل العباد ويـــرزق العبـــد الواحد كل شيء ، وإذا أعطى أدهش .

وورد هذا الاسم في قوله تعالى على شكل فعل مضارع فـــي ســـورة العنكبوت :"وكأيِّن من دابةٍ لا تحمل رِزقَها اللهُ يرزقُها وإياكم وهـــو السميعُ العليم"(الآية ٦٠)

ومن دعاء سيدنا داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة و الســـلام ،:" اللهم يا رازق البغاث في عُشِّه " (و البغاث هو أحد فراخ الغـــراب ، و هي أضعف أنواع الطير) هذا البغاث إذا انفقأت البيضة عنه خـــرج البغاث أبيض كالشحمة ، يعني قطعا من الشحم ، فـــإذا رآه الغـــراب أنكره لبياضه ، لأن الغراب أسود اللون ، فيسوق الله تعالى له بعـــض

الحشرات يتغذى عليها إلى أن ينبت ريشه ويسودُّ لونه عندئذ يتعرف عليه الغراب !!! .

الحقيقة أنه من الخطأ والسذاجة أن تحصر الرزق في الطعام والشراب ، فقد قال تعالى : " فتقبَّلها ربُّها بقَبولٍ حسَنٍ ، وكفَّلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رِزقا ، قال يا مَريمُ أنَّى لكِ هذا ؟ قالت هو من عندِ الله ، إن اللهَ يرزقُ مَن يشاءُ بغيرِ حساب " (آل عمران - ٣٧)

فقال العلماء : " رزقَ الأبدان بالأطعمة ورزق الأرواح بالمعرفة "، و المعرفة أشرف الرِّزقَين فإذا خصَّك الله بدخل وفير أكلتَ به أطيَب الطعام وخص عبدا آخر برزق المعرفة فاعلم علم اليقين أن العَبد الآخر أكثر حَظوة عند الله منك لأنه منحه رزق النفوس رزق الأرواح و هي المعارف ، قال الله عز و جل في سورة القصص : " و لما بلغَ أشُدَّهُ و استوى آتيناهُ حُكماً و علما ، و كذلكَ نجزي المُحسنين " (١٤) .

يا أيها الإخوة الأكارم .أسوق لكم هذه البشارة : " الصلاة من أسباب سعة الرزق!! ".. ما الدليلُ .. ؟ قال الله عز وجل في سورة طه :"وَ أمُر أهلكَ بالصلاةِ واصطبِر عليها ، لا نسألُكَ رِزقاً نحنُ نرزُقُك،والعاقبَةُ للتقوى " (١٣٢)

استنباط من الآية لطيف جدا ، فإذا أردت أن يزداد رزقك لن أقول لك صلِّ فأنت مصل إنما أقول لك أتقِن صلواتك ، فالخشوع من فرائض الصلاة لا من فضائلها ، وربنا عز وجل حينما أثنى على المؤمنين ، قال في سورة المؤمنون :"قد أفلحَ المؤمنون ، الذين هُم في صلاتِهِم خاشعون " (١-٢) .

ومن آداب العبودية مع الله عز وجل أن يرجع العبد إلى ربه في كل ما يريد ، في الأشياء النفيسة وفي الأشياء الخسيسة ، أن يرجع إليه في كل شيء . أي إن الله يحب من العبد أن يسأله شسع نعله إذا انقطع .. ، فمثلاً لو ضاعت مفاتيح البيت قل اللهم يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ، اجمع بيني و بينهم ... وهكذا .

ذكر لي أحد الأخوة أنه توجه إلى المدينة المنورة ونسي العنوان الذي سوف يتوجه إليه فدعا الله في الطريق فساقه إلى البيت بشكل يسير بينما إنسان آخر بقي عشر ساعات ضائعا عن مكان البيت .

إذن : إسأله الأشياء الخسيسة كما تسأله الأشياء النفيسة ، وهذا من تمام العبودية لله عز وجل .

الدليل .. سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام ماذا سأل الله ؟ قال رب أرِني أنظر إليك ، فهذا من الأسئلة النفيسة ،وهو من أرقى الأسئلة ، ولما جاع قال : " ربِّ إنِّي لمِا أنزلتَ إليَّ مِن خَيرٍ فقير " ،

وهذا دليل على أن العبد يجب أن يسأل ربه كل شيء .

سيدنا علي رضي الله عنه يقول : " لست مطالَبا بطلَب الرزق ولكنك أمرت بطلب الجنة " فما الذي فعله الناس؟!!! تركوا ما أُمروا بطلبه وطلبوا ما أُمروا بتركه !!! هذه مشكلة !! مع أن الله سبحانه وتعالى ضمن لهم الرزق بأدلة كثيرة ، قال الله تعالى في سورة الذاريات : " إنَّ اللهَ هو الرزَّاقُ ذو القوة المتين " (٥٨) .

و في سورة الروم : " اللهُ الذي خلَقَكُم ، ثُم رزقَكُم ، ثُمَّ يُميتُكُم ، ثُمَّ يُحييكُم ، هَل مِن شُركائِكُم مَن يفعلُ مِن ذلكُم مِن شيء ؟؟!!! ، سبحانه وتعالى عمَّا يُشرِكون " (٤٠) .

و في سورة الأنعام : " ولا تقتلوا أولادكُم مِن إملاقٍ نحنُ نرزقُكُم وإياهُم ، ولا تَقربوا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ ، ولا تقتلوا النفسَ التي حرَّمَ اللهُ إلا بالحق ، ذلِكُم وصَّاكُم به لعلَّكُم تعقِلون " (١٥١) .

وفي سورة الإسراء : " ولا تقتلوا أولادكُم خشيةَ إملاقٍ نحنُ نرزقُهُم وإيَّاكُم ، إن قَتلَهُم كانَ خِطئاً كبيرا " (٣١) .

وفي سورة الذاريات : " و في السماءِ رِزقُكُم وما توعَدون ، فوَربِّ السماءِ والأرضِ إنَّهُ لحَقٌ مِثلما أنَّكُم تنطِقون " (٢١-٢٣) .

إذن ربنا سبحانه وتعالى طمأننا بأنه تكفّل لنا برزقنا ، و مع ذلك يجهد الناس ويبيعون دينهم بعرض من الدنيا قليل من أجل الرزق ، يقول الله سبحانه في الحديث القدسي : " خلقتُ السماوات والأرض ولم أعْيَ بخلقهن أفَيُعييني رغيف أسوقُه لك كل حين ؟يا بن آدم : لي عليك فريضة ولك علي رزق ، فإن خالفتَني في فريضتي لم أخالفُك في رزقك " . فقد تكفل سبحانه لنا بالرزق وأمرنا أن نسعى للدار الآخرة ، فقال في سورة النجم : " وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سعى " (٣٩) .

و لكن ما الذي يحدث ؟! ، إن الذي كُلِّفت في طلبه توانيت في طلبه والذي ضمنه لك الله سعيت إليه .

سيدنا عيسى عليه و على نبينا السلام يقول فيما تروي بعض الكتب : " لا تغتمُّوا لبطونكم " .

إنسان توفي أخوه وترك لهم خمسة أولاد ليس له مورد رزق ، فصار يبكي ، ثم التقى بشيخه فقال له ما بالك يا ولدي ؟ قال توفي أخي وترك لي خمسة أيتام ، قال ألم يترك لهم شيئا ؟ قال بلى شيئا يكفيهم سنة قال : " حسناً ، حينما تنتهي هذه المؤونة إبدأ بالبكاء " . وتروي المقولة إن هذا الرجل توفي قبل أن ينتهي الرزق بثلاثة أشهر !!! .

أعرف شخصا سيهدم منزله ، لسبب تنظيمي ، فضجَ وزمجر وأرعد ، وتمزق وبكى واستعطف ، وقد وُعد وعدا قطعيا بتأمين بيت لائق له ، ولكنه رغم كل الوعود والمواثيق بقي مضطربا وضجرا ، ثم مات بعد أشهر عدة قبل أن يُهدم بيته .

إذن الإنسان لا ينبغي له أن يهتم للشيء أكثر مما ينبغي .

قال بعض العلماء : " الرازق من غذَّى نفوس الأبدان بتوفيقه ، وحلى قلوب الأخيار بتصديقه " ، دائما الرزق رزقان رزق الأبدان ورزق النفوس .

و بعض العلماء فسر القوت برزق الأرواح ، يعني إذا صليت صلاة وأعجبتك ، إذا صليت وبكيت إذا قرأت القرآن وخشع قلبك ، فمعناها أنك قريب من الله عز وجل ، وأن هناك حياة ونبض ، وأن هناك شيئا من الإخلاص .

قال بعض العلماء : " الرزاق هو الذي خصَّ الأغنياء بوجود الرزق ، وخصَّ الفقراء المؤمنين بشهود الرزاق " !!! .

أعطاك طعاما و أعطى الغني طعاما و شرابا و بيتا و دخلا و مركبة و أعطى الفقير المؤمن شهود الرزاق ، إما أن تجد الأرزاق و إما أن تشهد الرزاق ، المجموع ثابت ، هناك

نظرية رائعة جدا : تقـــول : لـــو جمعـــتَ كـــل شـــيء أعطـــاك الله إياه وجمع الآخر كل شيء أعطاهُ الله إيـــاه لكـــان مجمـــوع الاثنيـــن واحدا !!، فإذا أخذ منك بعض البحبوحـــــة عوَّضـــك عنـــها ببعـــض التجلـــي ، وإذا أغرقـــك فـــي النعيـــم المـــادي حرمـــك مـــن نعيـــم القرب !!! .

فهناك توازن يعبرون عنه بـــأن المجمـــوع واحـــد والمجمـــوع ثابت ، وهناك نظرية أخرى ليست في المعنويـــات فـــي الماديـــات ، فلو أُعطى الإنسان- مثلاً - درجـــــة للزوجـــة ، ودرجـــة للبيـــت ، و درجـــة للدخـــل ، ودرجـــة للوظيفـــة أو المركـــز الاجتمـــاعي ، و درجة للصحة ، و درجة للوسامة ، تجد أن معظم الناس ينـــالون مجموع علامات واحد لكنها متفاوتة فيما بينها ، مثلا ثمانيـــة علـــى الزوجة ، و اثنان على الأولاد و خمســـة علـــى الـــرزق ... إلـــخ ، فالمجموع خمس عشرة ، اثنتان على الزوجـــة ثمـــان علـــى الأولاد خمس على الرزق ، أو عشرة على الرزق ثلاث زوجة اثنـــان علـــى الأولاد المجموع خمس عشرة ، فلو دققت ترى من له دخل أقل مـــن حاجته هو منعَّم براحة البال التي لا يحلم بـــها مـــن آتـــاه الله زرقـــا وفيرا ، يؤكِّد هذا قوله عليه الصلاة والسلام : " خُذ مـــن الدنيـــا مـــا شئت وخذ بقدرها همًا ومن أخذ من الدنيا فوق ما يكفيـــه أخـــذ مـــن حتفه وهو لا يشعر " .

و الرزق أيها الإخوة في أدق تعاريفه هو ما يُنتفع بـــه : المـــال ينتفع به ، العلم ينتفع به ، الخلق ينتفع به ، شعور القلب بالطمأنينـــة يُنتفع به ، في أدق تعاريف الرزق .

جاء رجل إلى حاتم الأصم ، فقال : " من أين تأكل ؟ فقـــال مـــن خزائنه، فقال الرجل أيُلقي الله عليك الخبز من الســـماء ؟!فمـــا هـــذا الكلام ؟!!! قال حاتم : " لو لم تكن الأرض له لألقى علي من الســـماء الخبز!!إنه يرزقني من الأرض " !!! .

هكذا تجد أن الإنسان حينما يطلب الرزق من الله عز وجل فـــالله يسوق له الرزق ، يلتقي بإنسان صدفة يسأله أتعمـــل ؟! يقـــول لا ، يقول له هناك عمل .

الموضوع طويل وله آلاف الشواهد ، قد تُـــرزق مـــن حيـــث لا تحتسب قد ترزق بسبب تافه جدا قد ترزق بنظرة ، قد ترزق برسالة جاءتك خطأ قد ترزق ببضاعة كاسدة .

سمعت أن أحد تجار البزورية في الحرب العالمية الثانيـــة بـــاع السكر بزيادة قليلة فجاءت الضابطة فأغلقت المحل بالشمع الأحمـــر ، إلى أن انتهت الحرب تضاعف السعر مائة ضعف فاغتنى إلـــى ولـــد ولده كما يقولون ، فقد تُرزق بشيء مزعج ، فالله عـــز وجـــل هـــو الرزّاق ذو القوة المتين !!! .

الشيء الدقيق أنك إذا علمت أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين أفردته بالقصد ، الناس أحيانا يتجهون إلى زيد إلى عبيد إلى فلان إلى هذه الجهة يطمعون ليأخذوا ، ولكن إذا علمتَ أن الله وحده هو الرزاق تُفرده بالقصد ولا تسأل أحدا سواه ، تكسب العزة والكرامة والطمأنينة والحَظوة عند الله عز وجل .

قيل لإنسان آخر : " من أين تأكل ؟؟!!! " فقال : " من خزائن ملك لا تدخلها اللصوص ولا يأكلها السوس " !!! .

فخزائن الله عز وجل مفتوحة وخزائنه مملوءة وخزائنه فيها كل شيء ، والدليل . قوله تعالى في سورة الحِجر : " وإنْ مِن شيءٍ إلا عندنا خزائنُه ، و ما نُنَزِّلُهُ إلا بِقَدَرٍ معلوم " (٢١) .

من أسخف النظريات أن يقول الإنسان إن موارد الأرض تشح ، إن الأرض مهددة بمجاعة ، إن ازدياد السكان ازدياد هندسي ، " مالتوس " يقول الانفجار السكاني سيوقع الناس بمجاعة كبيرة ، هذه كلها كلمات من لا يعرف الله عز وجل ، لأن كل تقنين أو تقتير أو تقليل في الرزق هو تقليل وتقنين من نوع التأديب لا من نوع العجز ، والإنسان وحده إذا قنن فعن عجز أما الإله إذا قنن فلغاية التأديب فقط .

امرأة أحد العارفين بالله قيل لها كيف يرزقك زوجك قالت زوجي ليس رزاقا بل كيال !! .

فمن الأخطاء الشائعة أخطاء في التوحيد ، يقولون فلان مُعيل ، أي عنده عائلة كبيرة ، والصواب فلان مُعال وليس معيل . المُعيل هو الله عز وجل ، و الناس كلهم على مائدة الرحمن .

كما قلت قبل قليل إن الله عز وجل خص الأغنياء بوجود الأرزاق وخص الفقراء بشهود الرزاق ، فمن شهد الرزاق ما ضره ما فاته من الأرزاق ، من علامة المؤمن أنه إذا عرف الله ووصل إليه ما تألَّم على شيء فاته من الدنيا قط !!! إذا تألمت ألما شديدا وإذا احترق القلب حرقة لاذعة على شيء فاتك من الدنيا فهذه علامة أنك لا تعرف الله وأنك ما وصلت إليه ، فلو وصلت إليه لما تألمت ولما حزنت على شيء فاتك من الدنيا إطلاقا ، وقد قيل إن سيدنا الصديق رضي الله عنه ما ندم على شيء فاته قط ، أحيانا تجلس مع إنسان تحس قلبه يحترق ندما لأن هذه الأرض باعها ثم أصبح سعرها مائة ضعف ، متألم ألما شديدا لا حدود له - بل إن معظم الأمراض اليوم أمراض القلب والشرايين أمراض المعدة وأمراض الأعصاب وأمراض الأوعية ، هذه الأمراض أكثرها بسبب الآلام والندم ، أما إذا عرفتَ الرزاق ما ضرك ما فاتك من الأرزاق .

ومن عرف أن الرزاق واحد قصده ولم يسأل أحدا سواه ، كلكم يعرف القصة التالية أن أحد خلفاء بني أمية طلب عالما جليلا ليلتقي به ، فالتقى به ، فأراد هذا الخليفة أن يكرم هذا العالم ، قال له سلني

حاجتك . فقال والله إني لا أسأل غير الله في بيت الله ، فهذا بيت الله أستحي أن أسأل أحدا سواه ، فلما التقى به خارج المسجد قال له سلني حاجتك ، قال والله ما سألتها من يملكها أفأسألها من لا يملكها ؟ فلما أصر عليه ، قال أطلب منك الجنة ، قال هذه ليست لي ، قال إذا ليس لي عندك حاجة !!! .

هذا العز عزة التعفف ، فما أجمل أن يعطي الغني الفقير ، و الأجمل من ذلك أن يتعفف الفقير عن مال الغني و أن يقول الحمد لله !!!! .

قال بعض العلماء : " كما أن الله لا شريك له في خلقه ، لا شريك له في رزقه ، كما أنه لا إله إلا الله ، أيضا لا رازق إلا الله ... يقولون دائماً أن الله سبحانه إذا أعطى أدهش .

و لو كانت الأرزاق تجري مع الحِجى هَلَكْن إذن من جهلهن البهائم

ترى إنسانا ذكيا جدا رزقه قليل وقد تجد إنسان في منتهى البساطة والسذاجة رزقه وفير ، فمعناها الرزق له عامل آخر غير عامل الذكاء وعامل السعي ، لكن تأكدوا أن للرزق علاقة بالاستقامة ، العوام يفهمون أن هذا الرزق مكتوب ولا حيلة لأحد في كسبه ودفعه ، هذا الكلام صحيح من جانب واحد ، فالله يقول في سورة الجن : " وأَلَّوِ استقاموا على الطريقة لَأسقيناهُم ماءً غَدقاً " (١٦) ، و يقول في سورة الأعراف:"ولو أن أهلَ القُرى آمَنُوا

وَاتَّقَوا لفتحنا عليهم بركاتٍ منَ السماءِ والأرض ولكن كذَّبوا فأَخَذناهُم بما كانوا يكسِبون " (٩٦) .

قد يُحرم المرء بعض الرزق في المعصية " حديث شريف .. إذا أردنا أن نوضح هذه الحقيقة ، مثلا إذا رأيت أن ابنك ليس أهلا لتملُّك المال، فإنك تعطيه الحد الأدنى ، تعطيه مبلغا يسيرا يكفي حاجاته الضرورية ، أما إذا كان ابنك من أهل الصلاح ، والورع والاستقامة والحكمة، تقول له أبق معك الخمسمائة ليرة لا شيء عليك ، أما خمسمائة لولد آخر يذهب لأماكن لا تُرضي الله عز وجل تعطيه ثمن شطيرة ثمن ركوب سيارة ،وهو الحد الأدنى،ولله المَثَل الأعلى. قال الله تعالى : في سورة الشورى : ".و لو بسطَ اللهُ الرزقَ لعباده لبَغَوا في الأرضِ،ولكن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ ما يشاء ،إنه بعبادِه خبيرٌ بصير" (٢٧) .

الفكرة خطيرة وهامة جدا ، التقنين تقنين تأديب لا تقنين عجز ، أو الأصح من ذلك التقنين تقنين حكمة لا تقنين حاجة .

يروى في بعض الكتب أن سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ، سأل الله في مناجاته ، قال:" يا رب إنني تَعرِض لي الحاجة الصغيرة أحيانا ، أفأسألها منك أم أطلبها من غيرك ؟ " فأوحى الله تعالى إليه : " لا تسل غيري " أي أن الإنسان أحيانا يحتاج شيئا بسيطا ، فمرة حدثني طبيب ناشئ أول ما فتح

عيادة له ووالدته مريضة في دمشق وهو في بلد آخر ، يحتاج لمبلغ معين، فقال يا رب أريد المبلغ الفلاني ، فعلى خلاف العادة أتاه مريض وراء مريض .. إلى أن اجتمع المبلغ بكامله .

الإنسان أحيانا عليه دفع .. ليقل يا رب ليس عندي فأعطني ، عوِّد نفسك الطلب من الله فإذا رأيت الزوجة متصلبة برأيها فقل يا رب اهدها .. ، أو رأيت الشريك مزعجاً .. فقل يا رب لطِّفه .. وجدت الابن منحرفاً ، فقل .. يا رب أدِّبه .. ، وجدتَ العمل مزعجاً ، .. فقل يا رب بدِّله لي .... عود نفسك أن تسأل الله عز وجل كل شيء .

أحيانا الإنسان مع أخيه المؤمن يقول إكراما له : إياك أن تسأل أحدا غيري ، كلما سنحت لك حاجة تعال إليَّ وخذها مني ، هذه منتهى المودة ، فإنك إذا أحببت إنسانا حبا شديدا ، فإنك لا ترضى أن يُبذل ماء وجهه لغيرك ، ولله المَثل الأعلى ، فكأنه – سبحانه- لشدة حرصه علينا وحبه لنا يقول : " لا تسأل غيري " .

يحكى عن حماد بن مسلمة أنه قال ، كان في جواري امرأة أرملة لها أيتام ، و كانت ليلة ذات مطر ، فسمعت صوتها ، تقول : " يا رفيق أرفق بحالي " ، قال فخطر ببالي أنها أصابتها فاقة ، فصبرت حتى احتبس المطر ، فحملت معي عشرة دنانير ؟ وقرعت عليها الباب ، فقالت : حماد بن مسلمة ؟ " يبدو أنه معروف

بالصلاح " فقلت نعم حماد ، كيف الحال ؟ فقلت في خير وعافية ، احتبس المطر ودفي الصبيان ، فقال خذي هذه الدنانير وأصلحي بها بعض شأنك .. وكان عندها بنت صغيرة ، صاحت هذه البنت : " ، لا نريد يا حماد أن تكون بيننا وبين الله " ثم قالت لأمها : " لما رَفَعتِ صوتَك بإظهار السر علمتُ أن الله يؤدِّبُنا بإظهار الرفق على يد مخلوق " !!! .

أحيانا ينالك الخير من الله مباشرة ففيها عز ، لا أحد له عليك مِنَّة وأحيانا أنت تشتكي ، فإذا اشتكيت لمؤمن قد يرقُّ لك قلب هذا المؤمن لكنه الآن سيأتيك العطاء لا من الله مباشرة بل عن طريق هذا المؤمن فإذا اشتكيت إلى كافر يشمت بك وقد يعطيك ، لكن هذا منتهى الإهانة أن يعطيك عن طريق كافر ، فإذا كان هناك منظر يهز أعمق مشاعري أن أرى مؤمنا يتذلل أمام كافر!!!

يبذل ماء وجهه ، يتشكى ، يتضعضع ، والآخر يشعر أنه لو الإيمان ينفع لما اشتكى هذا المؤمن إليَّ ، كأنه يشمت به !!!! .

فمن اشتكى لمؤمن فكأنما اشتكى إلى الله ، ومن اشتكى إلى كافر فكأنما اشتكى على الله ، وأرقى أنواع الشكوى أن لا تشتكي .. ، كما جاء في سورة يوسف : " إنَّما أشكو بثِّي وحُزني إلى الله ، وأعلمُ من اللهِ ما لا تعلمون " (٨٦) .

أحدهم شعر بآلام بجسمه آلام لا تحتمل ، لو قال لزوجته أو لبناته أو لأولاده ، فإنهم يتعاطفون معه ويتأثرون ، ولكن من يستطيع أن يوقف هذا الألم ؟ الله وحده .

هناك أشخاص يصبرون يكابرون ، لا يحبون أن يشركوا أحدا في مصيبتهم ، هذا مستوى من المستويات ، ولكن لا مانع إذا اشتكى الرجل لزوجته ، هذا ليس موضوع حلال وحرام ، ولكن هذا كلما رقت النفس وشفت ، ترى أن الله عز وجل هو وحده يشتكى إليه ، فإبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار " قال له جبريل عليه السلام : " يا إبراهيم ألك حاجة ؟ " قال : " منك ؟ " ، ثم قال " لا بل من الله ، وعلمه بحالي يغني عن سؤالي " !!!! .

فالله يراك ، ويعرف وضعك ودخلك يعرف ألمك يعرف مرضك يعرف مشكلتك مع زوجتك ، يعرف مشكلتك مع شريكك ، يعرف سوء الموصلات ، يعرف أنك أوصلت فلان والوقود غال . ... فالله يعرف كل شيء . فالله يقدر الليل والنهار ، فكلما شفت نفسك وكلما أقبلت على الله تستغني به عما سواه ، تشعر بعزة النفس فالمؤمن يمتلئ عزة يمتلئ إيمانا وغنى ونشوة وعزة وكرامة .

و لكني ألاحظ أن الإنسان أمام مصالحه وأمام المكاسب الدنيوية يتجشم المشاق ، لكن أمام عباداته وأمام الأعمال الصالحة ، دائما يميل إلى الراحة والى الكسل ، فمثلا : وجدت أمام أحد المصارف

ازدحاماً كبيراً، أكثر من خمسمائة شخص في الساعة الثانية والنصف ، بأشد أيام الحر ، فسألت ما القصة ، قالوا هناك تسجيل لحجز السيارات ، الساعة السادسة مساء ، فهم واقفون من الساعة الثانية بدورهم .

أحيانا ربنا يؤدب ولكن تأديب فيه ستر ، آلام داخلية و المظهر ليس به شيء ، وأحيانا أخرى يعطيك مرضاً جلدياً كلما التقيت مع إنسان " يقول لك : " خيرا إن شاء الله ما هي القصة ، أين تعالجت ؟ " أحيانا الإنسان لا يحب أن تنتشر مشكلته بين الناس ، و لكن الله أحيانا يرسل مشكلة من شأنها أن تنتشر ، وأحيانا ربنا يؤدب الإنسان تأديبا داخليا ، تأديبا مباشرا " .. لذلك الدعاء : " يا رب اغفر لي مغفرة من عندك " أي يا رب إذا أردت أن تؤدبني فأدبني سرا ، أي بيني وبينك " .

حدثني شخص أحسبه مؤمناً - ولا أزكِّيه على الله - وأعلم أنه يغض بصره عن محارم الله سافر إلى أوربا ، قال في مطار لارنكا في قبرص ، طائرة سويدية نزل منها نساء بزي واحد وعدد كبير جدا ، قال كيف خانتني عيني ونظرت؟ لا أدري ، وبعد ذلك ركب سيارة أجرة ثم دفع للسائق أجرة بعملة أجنبية ، فالسائق ساقه إلى مكتب شرطة ، فدخل وتكلم مع ضباط الشرطة ، خرج اثنان فأخذوه ووضعوه في قفص صغير ، هو شخصية

مهمة جدا وذاهب إلى مؤتمر ويتقن لغتين ، فما هذا الذي وقع فيه ؟!!! قال والله بكيت ، فوقع في قلبه نداء " لماذا نظرت إليهن " ؟!! .

<u>فأحيانا الله عز وجل يغفر لك مباشرة من دون سجن ومن دون إهانة وأحيانا هناك عذاب مهين</u> .!

مرة رأيت في الطريق شخصا يرتدي أجمل الثياب وعمره من فوق الخمسين سنة ، تقاول مع الشرطي ، من أجل المرور ، فجاء الضابط فلطمه لطمتين على وجهه ، فالآن كلما أذكر المشهد أمام الناس ، قلتُ إن الله عز وجل عنده عذاب مهين وعنده عذاب أليم وعنده عذاب عظيم : بالدنيا عذاب أليم عذاب مهين ، وفي الآخرة : عذاب عظيم !!!! .

بعضهم تَسْمو هممهم فلا يطلبون من الله إلا الحوائج النفيسة يقولون يا رب ارزقني الجنة ، يا رب ارزقني أن أعرفك ، يا رب لا تُمتني قبل أن ترضى عني" ، دائما طلباتهم متعلقة بالجنة والمعرفة وفهم القرآن وإتمام التفسير ، وهناك أشخاص يقولون يا رب يخرج المستأجر من داري ... فهناك .. أناس يطلبون أشياء نفيسة وأناس يطلبون أشياء خسيسة ، كلٌ حسب اجتهاده .

و لكن الحديث الشريف يقول :

عن ثابت البناني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ليسأل أحدكم ربه حاجته حتى يسأله الملح وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع "

إن الله عز وجل يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح و الظواهر ، أؤكد لك إذا أنت صليت صلاة صحيحة ، أو إذا أكرمك الله بالحج مثلا ، أو وقفت في عرفات وبكيتَ حتى انتشيت ، تبقى أحيانا شهرا في نشوة هذا البكاء أو هذا القرب أو هذه الرحمةَ !!! وإذا صليتَ صلاة أرادها الله عز وجل أن تكون خاشعة،بعدها قد يفتح الله عليك بفهم ما تتلو ْمن القرآن ... هذه أرزاق !!! ، وإذا صام الإنسان رمضان صياما مقبولا وشعر أن صيامه كان صحيحا ، ليس فيه معاصي ، كان مُنيبا إلى الله فيه ، وصلى التراويح بنشاط ، يقول لي بعض الإخوة الأكارم : " لو كانت التراويح خمسين ركعة فنحن في سرور" !! طبعا صيامه صحيح مستقيم أثناء النهار ، أكل قليلا ، نام قليلا عصرا ، جاء إلى التراويح نشيطاً !!! .

قال إن الله يرزق الأرواح والسرائر كما يرزق الأشباح والظواهر وأرزاق القلوب الكشوفات و المعاني كما أن أرزاق الأجساد الغذاء و الأحاظي ، جمع حظوة ، الكشوفات أي أن المؤمن يرى مالا يرى

الآخرون عنده شعور ، يعرف جوهر الحياة ، يعرف أين كان وإلى أين المصير ، يعرف أثمن ما في الحياة .

أحيانا الإنسان يضيع وقته بأشياء تافهة وأحيانا يمضي وقته بأشياء ثمينة ، وهذا أيضا رزق ، هناك نقطة ثانية ، وهي عكس الرزق ، فكما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه ، قال الله تعالى في سورة الفجر : " فأمَّا الإنسانُ إذا ما ابتلاهُ ربُّهُ فأكرمَهُ ونعَّمَهُ فيقولُ ربي أكرمَنِ ، و أمَّا إذا ما ابتلاهُ فقَدَرَ عليهِ رزقَهُ فيقولُ ربي أهانَن ، كلا بل لا تُكرمون اليتيم ، و لا تحاضُّون على طعام المسكين ، وتأكلون التُّراثَ أكلاً لَمَّا ، وتُحبُّون المالَ حُبًّا جمًّا " (١٤-٢٠) .

تراه ذكيا ، يحمل شهادة عليا ودخله قليل ، ليس له وظيفة ولا عمل هذا بتقدير الله عز وجل ، فكما أن الله عز وجل ، يضيِّق على العبد رزقه المادي أحيانا يضيِّق عليه رزقه الروحي!! ، يصلي صلاة لا معنى لها جوفاء ليس فيها خشوع ، يشرد في الصلاة ، قال لي شخص : " إذا كنت غلطان بالمحاسبة لا أذكرها إلا في الصلاة ، هناك أمر غير مسجل يصلي فيلقاها في الصلاة ، قال لي بالصلاة كل المشكلات تأتي إلى خاطري ، معناها أن هناك سداً بيني و بين الله ، فكما أن الله عز وجل يضيق على العبد رزقه المادي أحيانا يضيق عليه رزقه الروحي !!! .

هذا التضييق له تفسيران ، الأول أن هناك معصية ، أو مخالفة ، أو تقصير،هناك حقوق لم تؤدِّها ، فهذا هو الحجاب بينك وبين الله ، فكل معصية لها حجاب ، لها شؤم .

و هناك تفسير آخر : قد تكون مستقيما على أمر الله ،لكن هذا التضييق سببه التعطيش : كأن تكون قد وصلتَ لمرتبة أنت راغب بأن تبقى فيها ، تعيش فيها فترة لا بأس بها ثم تألفها و ترضى بها ، لكن الله لا يرضى لك هذه الحالة المستمرة ، فيحجب عنك الأحوال :

فلا صلاتك صلاة و لا ذكرك ذكر ولا تلاوتك تلاوة والله عز وجل أراد لك أن ترتقي عن هذه المرتبة ، فكيف تنتقل من مرتبة إلى مرتبة ؟ يحجب الله عنك الأحوال و التجليات ، فتضج وتقلق ، فتخاف ثم تشمِّر وتعمل المزيد من الصالحات ، فتصعد درجة ،وهكذا إلى أن تبلغ أعلى درجة أرادها الله !!!! .

أحيانا ترى إنسانا طليقا مسرورا مرحا وجهه فيه تألق ، على خده تورد في عينيه لمعان ، طليق اللسان ، حركاته خفيفة ، هذه صفات المنتشي دائما وقبل أن أتابع القصة لي هذه الملاحظة ، أنت كمؤمن ، إن سعدتَ بقربك من الله عز وجل فأنت مؤمن ورب الكعبة ، إذا كانت نشوتك وسرورك و طلاقتك وراحة نفسك وجدتها بإقبالك وقربك ، فهذه علامة إيمانك ، أما إذا تألقت عيناك وتورّد

خداك وانطلق لسانك لأرباح حققتها أو لمكسب وصلت إليه فهذه علامة أخرى ، فمن أنت ؟ أمن أهل الدنيا أم من أهل الآخرة ؟

إذا سرّك عطاء البشر فأنت من أهل الدنيا ،

أما إذا سرَّك عطاء الله عز وجل فأنت من أهل الآخرة .

قال الحسن البصري إذا تلوت القرآن وذكرت الله عز وجل وصليت ولم تجد شيئا فاعلم أنك محجوب !!! قال الله تعالى في سورة المطففين : " كلاَّ إنَّهُم عن ربِّهِم يَومَئذٍ لمَحجوبون " (١٥) .

ذاك حجاب الآخرة ، ولكن في الدنيا حجاب آخر: إذا شعرت أنك محجوب انتبه وابحث عن السبب ، لعلك مقصِّر لعلك معتدٌّ بنفسك لعلك مُستغنٍ عن الله ، لعلك وقع في نفسك سوء ظن بالله وأنت لا تدري لعلك وقعت في سوء ظن بالنبي عليه الصلاة و السلام وأنت لا تدري ، فإذا شعرت أن بينك وبين الله حجاب فابحث عن السبب وإياك أن يزداد الحجاب ، والحجاب يَرِقُّ ويثخُن ، فإذا كان الحجاب كثيفا فالمشكلة خطيرة جدا ، كما قال سيدنا عمر " تعاهد قلبك " ، يعني راقب قلبك راقب أحوالك راقب طمأنينتك ، لو أن إنسانا استيقظ بعد صلاة الشمس فإذا لم يشعر بانقباض فحالته خطيرة جدا ، لكن إذا شعرت بانقباض شديد وألم وشعور بالخزي والعار من الله عز وجل وشعور بالضياع ، فاحترس !!!! .

قال أحدهم : " دخلتَ على داوود الطائي فرأيتَه منبسطا ، وكنتَ إذا دخلت عليه أراه منقبضا فقلت أي شيء حالك ، فقال سقاني البارحة شراب أُنسه فأردتُ أن أجعل اليوم يومَ عيد " ، يعني صار له صلة بالله أقبل على الله ، شعر بنشوة الاتصال ، هذا أجمل ما عنده لذلك قال حاتم : " فأردتُ أن أجعل ذلك اليوم يوم عيد "... فقلت : " أتأذن لي أن أحمل لك طعاما حتى تفطر " ، فقال " لست أشير إلى هذا وشتّان بين شراب يُدار على الكف و شراب يكون في موجب لُطف ورويّة كَشف" أي أن هناك شراب مادي وهناك شراب معنوي !!! .

لذلك إذا رجع العبد إلى الله نادى مُنادٍ في السماوات والأرض:" أن هنِّئوا فلانا فقد اصطلح مع الله " !!!! .

فنشوة المؤمن في تقربه من ربه ...واسمعوا مني هذه الكلمة :

" إذا سعد الإنسان بالدنيا فهذه علامة خطر !!! " فالأولَى أن تسعد بالله ، وهناك حقيقة ثانية :

لا يمكن أن تسعد إلا بالله ، فإذا سعد إنسان بما سوى الله فهو في خطر !! فالقرآن أليس هو كلام الله ؟ ربنا عز وجل قال في سورة طه : " ومَن أعرضَ عن ذِكري فإن لهُ معيشةً ضَنكا ، و نحشُره يومَ القيامةِ أعمى ، قال ربِّ لِمَ حشَرتَني أعمى

وقد كنتُ بصيرا ؟!! قال كذلك أتتْكَ آياتُنـــا فنســيتَها وكذلــك اليــوم تُنسى " (١٢٤-١٢٦) .

فالله عز وجل قد يعطيك الدنيا ويأخذ منك راحـــة قلبــك ، وقــد يعطيك راحة القلب ويسلب الدنيا منك ، فالعبرة أن يكون قلبك غنيـــا بالله عز وجل ... إذن الرزاق هو الله عز وجل .

و الآن ما علاقتنا بهذا الاسم ؟!! وهذه مهمة جدا ، أول شـــيء أن ترضى بقسمة الرزاق بدءاً من أمــك وأبيــك أنــت ابــن فــلان و فلانة ، هذا تقدير الله عز وجل ، أنا أبي ليس مثل أبي فلان انظــر إلى أبي فلان راق جدا ، أخلاقه عالية أنا أبي شرس أبي قاس أبـــي جاهل ، أبي فقير ، انظر إلى رفيقي أبوه غني أبـــوه مثقــف ثقافـة عالية ، أبوه في منصب راقٍ .يجب أن ترضى بوالديك لأن هذا منتهى الحكمة ، ويجب أن ترضى بشكلك ، فالله أقامك بهذا الشــكل ، طــول زائد ، قصر ، وسامة ، دمامة ، صحة ، ضعف ، هكذا أقـــامك الله ، فإذا اعترضتَ على الله فلستَ مؤمنا ،ولكن يجــب أن ترضـــى عــن اختيار الله لك من أي رجل وامرأة كان وجودك وبـــأي شــكل كــان وجودك ، وعن رزقك وعن زوجتك ، فالله اختار لك هــذه الزوجــة ، أكثر الأشخاص غير المؤمنين يمضي كل حياته فـــي عــذاب يقــول ماوُفِّقتُ في هذه الزوجة ، فالله اختارها لك ، علم فيك خيرا فضمـــها إليك لعلك تهديها إلى الله !!! .

انظر إلى المؤمن عنده حسن ظن بالله ، لو أن الله ساق له ولد سيئ لا يتبرم ، يقول لك الله عز وجل هكذا اختار ، لو زوجه امرأة سيئة ، وفي القصة . أن رجل قيل له عن زوجته:"طلِّقها قال :"والله لا أطلِّقها فأغش بها المسلمين " !!!! .

هذا يعني أن ترضى عن رزق الله لك .

و الشيء الثاني : أن تجعل يدك على مالك وأن تجعل مالك خزانة ربك ، يدك على المال يد الأمانة لا يد المُلك ، قال الله تعالى في سورة الفرقان : " والين إذا أنفقوا لم يُسرِفوا ولم يَقتُروا وكان بين ذلك قَواما " (٦٧) .

إذن : أول درس من معاني الرزاق أن ترضى بما قسمه الله لك ، وإذا رضيت بما قسمه الله لك تكُن أغنى الناس .

الدرس الثاني : أن تجعل مالك مال ربك وأنت عليه أمين ولست مالكا .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الرقيب

الرقيب

أيها الإخوة الكرام : الرقيب اسم من أسماء الله الحسنى ،و المؤمن إذا آمن بهذا الاسم ، انعكس هذا الإيمان على سلوكه انعكاسا واضحاً صارخا ؛ فأنت إذا شعرت أنك مراقَب فلابد من أن تنضبط ، فشعور الإنسان بأنه مراقَب ، و لو من جهة أرضية ، ولو من إنسان لكنه أقوى منه، فلا بد من أن ينضبط ؛ فكيف إذا أيقنتَ أن الله - جل جلاله - هو الرقيب ؟؟!!! قال تعالى في سورة النساء :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

أيها الإخوة ، أحيانا تكون العقبة عقبة معرفة ، لأن فطرة الإنسان تعينه إذا عرف ، فحب السلامة ، وحب الفوز والكسب في الإنسان ، كافيان لأن يحملاه على طاعة الله فيما لو أيقن أن الله رقيب عليه ، هذا الحال يُشعرك أن الله معك دائما . قال عليه الصلاة والسلام : " أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان " .

قبل أن نتابع الحديث عن اسم الرقيب أريد أن أضع بين أيديكم مثلا يوضح حقيقة هذه الأسماء ؛ أنت لو التقيت عند صديق لك مع رجل لا تعرفه تقول له : مَنِ الأخ الكريم ؟ يقول لك : فلان بن فلان ؛

ولكن هل هذا يكفي لكي تعرفه ؟أم أنك تشعر أنك في حاجة للسؤال عنه كي تعرفه أكثر؟لقد قال لك اسمه .ولكنك تسأله: ما اسمك ؟ إلى أي مستوى دراسي وصلت ؟ وتحب أن تعرف شيئا عن ثقافته ، أو عن اختصاصه ، أو عن سنه ، أو عمله ، هل هو متزوج ؟ وكم ولد له ؟ و أين يسكن ؟ هنا يمكنك أن تعرفه ... لكن إذا قلت لك : إن الله - جل جلاله - خالق السموات والأرض ، فهذا لا يكفي ؛ فأنت تحب أن تعرف أسماءه وصفاته ، فما من موضوع يعلو على موضوع أسماء الله الحسنى ، لأن رأس الدين معرفة الله - عز وجل - ولكن كيف تعرفه ؟ هل تردد اسمه ؟ لا ، أن تتعرف على أسمائه وصفاته الحسنى ، فلذلك مشروعية هذا الدرس أنه لا يكفي أن تعرف أن الله خلق السماوات والأرض ، إن هذه الحقيقة يعرفها كل الناس حتى الكفار ، بل عُبَّاد الأصنام بل حتى المجوس قال تعالى في سورة العنكبوت:

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾

وفي سورة العنكبوت

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

فالمشكلة ليست أن تعرف أن الله خلق السموات والأرض ، وإنما المشكلة أن تتعرف إلى أسماء الله الحسنى ؛ فهذه هي مشروعية هذا الدرس الذي يعد في الدعوة إلى الله كالرأس من الجسد .

أولاً : الرقيب في اللغة بمعنى المُنتظِر ، قال تعالى في سورة هود :

وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾

" فارتقبوا " أي انتظِروا فالرقيب هو المنتظر . ورقيب القوم هو الحارس الذي يُشرف على مراقبة العدو . ورقيب الجيش طليعته . والرقيب هو الله الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء ، قال تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

سورة النساء

إذا أيقنتَ أن الله يعلم ، فإن كل مشكلة عندك تهون ؛ ألم يقل الله – عز وجل – في سورة الطلاق :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

فالله اختار من بين أسمائه اسمين فقال : " لتعلموا أن الله على كل شيء قدير و أنّ الله قد أحاط بكل شيء علما " فإذا علمت أن الله يعلم ، فبدافع فطرتك ، وبدافع حبك لذاتك ، وبدافع رغبتك في السلامة والكسب والتفوق ، تستقيم على أمره .

زرت مرة محلا تجاريا كي أشتري بعض الحاجات فلم أجد رغبتي فقال لي صاحب المحل : حاجتك موجودة ولكن بالمستودع فذهبت معه إلى المستودع وكان في الطابق الرابع فوجدت محاسبا يجلس إلى طاولة وأمامه كاميرا تراقبه ، عندها عرفت أن هذا الشخص موظف عند صاحب هذا المحل وقد وضع صاحب المحل جهاز مراقبة عليه ، فهذا العامل لا يستطيع أن يتحرك ولا أن يأكل ولا أن يتمطى لأنه مراقَب من طرف صاحب المحل !!! كذلك يقولون الطريق مراقَب ،رأيت في بعض البلاد أن مخالفة المرور فيها بخمس مئة درهم أي بمعدل سبعة آلاف ليرة سورية ،لذا تجد الاهتمام بالانضباط في السرعة عالٍ جداً لأن قيمة المخالفة سبعة آلاف ليرة تقريبا ، لو جاوز العداد التسعين لصارت المخالفة بسبعة آلاف ، فالمراقبة هي التي تجعل الإنسان يحذر .

دخلت بعض المعامل السورية فوجدت كل الغرف بينها مصنوعة من زجاج فقط لكي يرى المدير العام كل الموظفين !!! .

و لكن المراقبة من الإنسان شيء والمراقبة من الواحد الديَّان شيء آخر . لذلك بعض علماء القلوب أشاروا إلى حال المراقبة ، المؤمن الراقي يشعر دائما أن الله يراقبه ، وأنه تحت المراقبة قال تعالى في سورة الفجر:

إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

فالرقيب هو المنتظِر ؛ والرقيب هو الحارس ؛ ورقيب الجيش هو طليعته ؛ والرقيب هو الله تعالى الحافظ الذي لا يغيب عنه شيء . وفي الحديث الشريف : " ارقبوا محمدا في آل بيته " أي راقبوا وانتبهوا أن تؤذوه في آل بيته واحفظوه فيهم ؛ والرقيب هو الخَلَف يقال : نِعمَ الرقيب أنت لأبيك ، هذه كلها معاني الرقيب ؛ والترقب أي الإنتظار ، وارتقبه رصده ، والرقيب من الناس المُوكَل بحفظ المترقَّب له ، ويقال للمَلَك الذي يكتب الأعمال ويحفظ الأقوال أنه رقيب ، وفي القرآن الكريم في سورة ق :

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾

و الرقيب هو العليم ، و يقال : " راقبتَ الله " إذا علمتَ أنه مُطَّلع عليكَ فراعيتَ حقَّه .

أما إذا قلنا : الله هو الرقيب ؛ فماذا تعني ؟ إنها تعنى الذي يعلم أحوال العباد ويعدُّ أنفاسهم . والله الذي لا إله إلا هو وأنت مُستلقٍ على فراشك لو خطر عليك خاطر أن غدا سأفعل كذا ، يجب أن تؤمن وأن تعلم وأن تعتقد اعتقادا جازما قطعيا ، أن هذا الخاطر اطَّلَع الله عليه ولا يستطيع من العباد أن يفعل ذلك ، إذ لو أنك رأيتَ شخصا مستلقيا على فراشه لا يمكنك أن تقرأ أفكاره، فهذا مستحيل . الله ستر لك أفكارك وأحوالك عن الناس . فالناس لهم الظاهر لكن الله هو الخبير بالسرائر قال تعالى في سورة ق :

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ .

فتكلمك وصمتك عند الله سواء ، وبوحك وكتمانك عند الله سواء ، إعلانك وإخفاؤك عند الله سواء لأنه رقيب .

مرة ثانية أقول : إن هذا الاسم من أقرب الأسماء إليك ؛ إنك إن اعتقدت أن الله هو الرقيب فمن اللوازم القطعية للإيمان بهذا الاسم الاستقامة على أمره ؛ ومتى استقمتَ على أمره ؛ نجوتَ في الدنيا والآخرة، لقوله تعالى : " ما يفعلُ اللهُ بِعذابكم إن شكرتُم وآمَنتُم وكان اللهُ شاكراً عليماً " ؟!! .

فيمكن لهذا الاسم أن يكون سبب سعادتك الأبدية ،إذا آمنت أنه يراقبك، فاستحييتَ منه ، ولزمت أمره ؛ فالمؤمن في بيته مراقَب ، وفي عمله مُراقَب ، وهو يعالج المريض مراقَب ، وهو يرفع مذكِّرة للقاضي مراقَب ؛ وكلما اقترب من الله ؛ شعر بالعتاب أحيانا ؛ فمثلا أنت محام هل أتقنتَ عملك ودافعت عن هذا الموكِّل دفاعا قويا ، وراجعت القوانين كلها ؟ أو أنك طبيب هل عالجت هذا المريض معالجة متقنة أم أنك مستعجل، ومشغول ولم تدقق في حساسيته والأدوية التي أخذها ؟ وأنت تقول : " إن اللهَ كان عليكُم رَقيبا " ، هل عرفت أبعاده ؟ فالإنسان كلما ارتقى إيمانه حاسب نفسه حساباً دقيقاً . والله الذي لا إله إلا هو لو أن الإنسان عرف الله حق المعرفة ، لحاسب نفسه حسابا عسيرا لأنه تعالى مطَّلِع عليه .

فإذا كان هناك طبق فاكهة موضوعا أمام جماعة من الناس أليس من تمام المراقبة أن تؤثِر أخاك وتجعل الحبةَ الكبيرة له لأنك تحت مراقبة الله في تفكيرك وحركتك ، لكن الله تعالى لطيف ، أحيانا تمشي مع شخص فتتضايق نفسك منه لكن الله معك دائما دون أن يزعجك ، وهو معك بلطفه فمن أسمائه اللطيف ، فهو معك في بيتك ، و عملك ، و سفرك ، و حضرك ، وفي خلوتك ، و جلوتك ، و مع زوجتك ، و أولادك ، و عند كل كلام تقوله ، هو معك يراقبك لكنه لطيف لا يُشعِرك بوجوده .

الله الرقيب هو الذي يعلم أحوالهم ويعد أنفاسهم ؛ وقيل أن معناها الحفيظ الذي لا يغفل والحاضر الذي لا يغيب ؛ قد تملك معرفة بعض الأشخاص الأقوياء فتكون لديك أرقام هواتفهم وربما تقع في وقت حرج فإذا اتصلت بأحدهم يقال لك : سافر ، وذاك هاتفه مقطوع لأسباب مالية ، وأنت في أشد الحاجة إليه لكنك لو اعتمدتَ على الله فهو دائما معك في السراء والضراء ، قل : يا رب يقل لك : لبيك يا عبدي لن تحتاج بهذا وصلا أو قسَما أو مذكرة أو شهادة ، قال تعالى في سورة طه :

وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾

أعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكُن تراهُ فإنه يراك ؛ هذا مقام الإحسان فاسم الرقيب يرفعك إلى مقام الإحسان !! في كل أسرة من أسرنا هناك كبير القوم متقدم في السن ومثقف أحيانا ، ذو وجاهة ومعتدل وحليم ، لو أن هذا الإنسان زارك في العيد ، كيف تستقبله أبالقميص الداخلي ؟ والله هناك أشخاص لا يستقبلون الضيوف إلا باللباس الرسمي ، يخجل حتى بثياب البيت أن يستقبله ، فهو من علية القوم ، فتجد أنك تراقب نفسك بالكلام ؛ وتنتقي أفضل الثياب ، وتجلس جلسة مؤدبة فيها توقير ،إذا كان كل هذا مع الإنسان فكيف مع الواحد الديَّان ؟ فكلما ارتقى مقام الإنسان دخل في حال المراقبة

مع الله عز وجل ؛ فهو الحفيظ الذي لا يغفل و الحاضر الذي لا يغيب ، و العليم الذي لا يعزب عنه شيء من أحوال خلقه ، قال تعالى في سورة الحاقة:

يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

و قيل : الرقيب ؛ هو الذي يرى أحوال العباد ويعلم أقوالهم ؛ وقيل : الذي يراقب عباده ، ويُحصي أعمالهم ، و يحيط بمكنونات سرائرهم ، ولا يغيب عنه شيء هذا من معاني اسم الرقيب ، والإنسان إذا تحقّق من اسم الرقيب ، إستحي من الله عز وجل .

النبي عليه الصلاة والسلام إشتغل عنده عامل فاغتسل عنده عريانا ، فقال له : " خذ أجرتك لا حاجة لنا بك فإني أراك لا تستحيي من الله " فالإنسان يحفظ عورته من أن يراها أحد ، فكلما ارتفع الإنسان شعر أن الله معه وشعر بمراقبة الله له .

اسم الرقيب جاء في القرآن الكريم في ثلاثة مواطن : ففي فاتحة سورة النساء قال تعالى في سورة النساء :

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾

والله الذي لا إله إلا هو لو لم يكن في القــرآن الكريــم إلا هــذه الآية، لكفت . هذا الأعرابي الذي قال للنبي صلى الله عليــه وســلم : عظني ولا تُطِل فتلا عليه النبي هذه الآية من سورة الزلزلة:

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

هذا الأعرابي قال : كُفيت يا رسول الله ؛ أي هذه الآية تكفينـــي مدى الحياة ؛ فالنبي تعجَّب و قال فَقِهَ الرجل أي : أصبح فقيـــها ... فاي شيء جعل هذا الأعرابي فقيها ؟! والله الذي لا إله إلا هو ، أكــاد أقول : إن هذه الآية وحدها تجعل الإنسان فقيها : " إن الله كان عليكُم رقيبا " هل تستطيع أن تكذِب بعد أن ســمعتَ هــذه الآيــة ؟ وهــل تستطيع أن تُدلِّس ؟ أو أن تغش ؟ أوَ أن تحتال ؟ وهل تستطيع إيــذاء الخلق ؟ " إذا كنت مراقَبا من قِبَل مخلوق تجد أنك تتجنــب كــل مــا يؤدِّي للهلاك فكيف إذا كنتَ مُراقَبا من قِبَل الخالق ؟ . الآية الثانيـــة في سورة المائدة جاءت على لسان سيدنا عيسى - عليه وعلى نبينــا أفضل الصلاة والسلام - قال تعالى في سورة المائدة :

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾

فهذه الآية الثانية ؛ أما الآية الثالثة : ففي سورة الأحزاب ، قال تعالى :

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾﴾

تُروى قصة مشهورة ذكرها الإمام الرازي : أن أحد الشيوخ كان له جمع من التلاميذ ، وكان قد خص واحدا منهم بالعناية الزائدة فسأله بقية التلاميذ عن سبب ذلك من شدة غيرتهم من هذا التلميذ الصغير ، فقال سأبين لكم ذلك ؟ أعطَى لكل واحد منهم طائرا وقال له : إذبح هذا الطائر حيث لا يراك أحد ؛ فمضى كل واحد منهم إلى جهة ثم رجع إلى شيخه وقد ذبح الطائر ما عدا ذلك التلميذ الصغير فقد رجع إلى شيخه والطائر في يده ، و قال : أنت يا سيدي أمرتني أن أذبح الطائر حيث لا يراني أحد و لم أجد موضعا لم يرني الله فيه !! فالتفت الشيخ لبقية التلاميذ و قال : " من أجل هذا خصصتُه بمزيد من العناية " !!! .

وكأن الله تعالى- برقابته عليك - يقول لك : " أما تستحي منّا ويكفيك ما جرى ؟ أما تختشي من عتبنا يوم جمعِنا ، أما آن أن تقلع عن الذنب راجعا وتنظر ما به جاء وعدَنا ؟

فيا خجلي منه إذا هو قال لي : أيا عبدنا ما قرأتَ كتابَنا ؟!!!

فالمؤمن الصادق ؛ يرى أن الله معـــه ، ويراقبـــه ، ويحاســـبه فيستحي منه ، والمحبون لله – عز وجل – لـــهم أحـــوال مـــع الله لا توصف ، مناجاتهم له وتأدبهم معه فهناك من يتزين قبل أن يصلـــي لأنه سيقف بين يدي الله عز وجل ، أرى في بعض الأحيان أشـــخاصاً يصلون بالقميص الداخلي فهؤلاء لا يستحيون من الله حق الحيـــاء ؛ يستحي أن يقابل إنسانا بقميص داخلي فكيف يقابل الله عـــز وجـــل ؟ فالأكمل أن ترتدي عباءة أو ثوبا فأنت بين يدي الله – عـــز وجـــل – فالعلماء قبل الآن كانوا يتزينون ويرجّلون شعورهم قبـــل أن يُصلّـــوا لأنهم سيقفون بين يدي الله عز وجل ، و لدينا دليل قوي على هـــذا ، وهو قوله تعالى في.سورة الأعراف :

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾

أنا لا أقول هذا انتقاداً لأحد ، لكنك تجده يأتي إلى المسجد بـــأقل ثياب عنده في حين في أقل حفلة تجده يرتدي أجمل الثياب ، المســـجد بيت الله ويوم الجمعة عيد وأنت ضيفه ، ومن السُّنَّة الاهتمـــام بـــهذا العيد !!! .

يُروى أن عبد الله بن عمر مر بغلام يرعى غنما فأشار لإحـــدى الشياه وقال : بِعْني هذه الشاة يا غلام ، فأجاب الغلام : إنها ليســـت لي . فقال ابن عمر : قل لصاحب الغنم إن الذئب أكل واحدة منـــها ،

فقال الغلام : فأين الله ؟!!! أقول تعليقا على هذه القصـــة : إن هـذا الغلام الراعي وضع يده على جوهر الدين ، ومسك جوهر الدين مـع أن ثقافته محدودة فهذا راعٍ وقد تجد إنسانا عنده مكتبة مـن أربعـة جدران بحيث أنك تُذهل وتقول : هذا عالِم كبير فوالله لو أكل درهمـا حراما فلا قيمة لكل هذا العلم !!! وهذا البدوي الراعي الـذي قـال : أين الله ؟ فنحن بحاجة في هذه الأيام إلى أشخاص مثله ، بحاجة إلى ورع ، وإلى مسلم يقيم الإسلام حقيقة ؛ إلـى بيـت مسـلم ، و زوج مسلم ، و زوجة مسلمة ، وأولاد مسلمين ، وإلى صدق ، و أمانـة ، و إخلاص بدون غش ، و لا كذب ، و لا تدليس ، هذا النموذج وهـو ساكت يعد أكبر داعية ، بينما الـذي يصيـح فـي النـاس صباحـا ومساء : " يا أيها الناس اتّقوا ربّكم " ؛ وهو لا يتقي ربه ؛ هذا أكـبر منفِّر ؛ فالقضية عند الله في الصدق ، و الإخلاص ، و التطبيـق ... هل يمكن لمؤمن يعمل خبّازا أن يدخل لدورة المياه ولا يغسل يديـه ؟ المؤمن لا يفعل هذا لأن العجين سيصبح خطرا على النـاس ، الأمـر الذي جعل المؤمن يتصرف هكذا هو الوازع الداخلي بـأن الله تعـالى يراه ... فليس الأمين الذي يؤدي ما عليه إذا كان هنـاك إيصـال ، أو سند ، أو شهود ، أو حساب ثابت ، فهذا سلوك مدني لأنه إذا لـم يؤدِّ فالطرف الآخر أقوى منه لوجود السند ، و دعوى ، و قضـاء ، و تشهير ، أما الأمين عند الله ؛ فهو الذي يؤدّي ما عليـه مـن دون أن يكون مُدانا في الأرض ؛ والله جاءتني ورقة وأنا في هذا المسـجد

قال لي صاحبها : والله يا أستاذ أديت عشرين مليون ليرة لورثة وهم لا يعلمون عن هذا المبلغ شيئا ، لأن الله رقيب عليه ؛ هذا هو المؤمن ؛ وهناك آباء كثيرون أموالهم في سر لا يعلمون بها أولادهم ولا أزواجهم ؛ فإذا مات فجأة مات معه السر ؛ هناك أناس كثيرون يعانون من هذا يقولون : مات أبونا ولا نعلم عن أموال أبينا شيئا ؛ فالذي معهم أموال هؤلاء إذا كانوا من الذين فقهوا قوله تعالى : " إن الله كان عليكم رقيبا " سيأتون لهم بالمال ويقولون هذا مال أبيكم .

هل يستطيع بائع مؤمن إذا وقعت فأرة في صفيحة زيت أن يبيع الصفيحة ؟ لا يستطيع ! هل تسطيع أن تخفي عيب بضاعتك ؟ " إن الله كان عليكم رقيبا " ، هل يمكن أن تضع مادة مسرطنة لغذاء حتى ترفع ثمنها ؟ لا تستطيع ، وهل تستطيع أن تضع هرمونات لنبتة كي تكبر حتى تكون كبيرة الحجم ويكون سعرها غاليا ؟ هذه مادة مسرطنة لا يمكن استعمالها إلا تهريبا ؛ لو آمنًا بهذا الاسم لألغي الغش من حياتنا جميعا ؛ وهل يستطيع المحامي أن يقدم مذكرة للقاضي وهو يعلم أن موكله كاذب ؟ لا يستطيع ، " إن الله كان عليكم رقيبا " ، وهل يستطيع أن يرى الطبيب من المرأة موضعا غير الموضع الذي تتألم منه المريضة ؟ " إن الله كان عليكم رقيبا " ، لقد رأيت أطباء ملتزمين يقومون بوضع رداء فيه فتحة صغيرة على

المريض كي يشخصوا موضع الألم فقط ، هل تستطيع وأنت كمؤمن إذا كنت في بيتك وحيدا ، وخرجت جارتك تنشر غسـيلها بالشـرفة المقابلة لك ، وهي بثياب متبذلة ، وهي في النور وأنت في الظـل ولا يراك أحد ؛ هل تستطيع أن تنظر وأنت تتذكر قوله تعالى إن الله كـان عليكم رقيبا ؟ .

أخ معنا يعمل في دائرة ؛ واسمحوا لي أن أذكر قصته كـان لـه إستراحة مدتها ساعة أو أقل ، في آخر الشهر قدم طلباً ليحصل علـى إذن بمدة ستة أيام لرئيسه ثم قال لمديـره : لقـد اسـتهلكت هـذه الإجازة . فقال : كيف ؟ قال : لأنني كنت أحضر كـل يـوم متـأخرا تقريبا ساعة من الزمن فجمعت هذه الساعات فإذا هي بمعـدل سـتة أيام ؛ فاندهش هذا الشخص من هذا النموذج وقال لي أخونا والله يـا شيخ لما جئتت في الدرس القادم وجدت صاحب العمـل معـي فـي درسك ، هذه هي التربية الراقية ؛ تقديم طلب الإذن جعل المدير العـلم يحضر مجلس علم ، هكذا الدين كلما كنت ورِعا كلما ازددت مراقبـةً لله ، وأقول لكم مرة ثانية : يمكنك أن تكون أكبر داعية فـي الأرض وأنت ساكت ؛ وذلك بأمانتك ؛ واستقامتك وإتقان عملك .

هناك أطباء من إخواننا أجروا عمليات معقدة جدا ، ولديهم قسم بثمن مجاني ، وقسم بثمن باهظ ، أسمع عنهم أن عنايتهم بالفقراء لا تقل شعرة عن عنايتهم بالذي سيدفع مئتـي ألـف علـى العمليـة ،

ويجري عملية السبع أو ثماني ساعات وهو واقف ويفتح القلب وغيرها من العمليات من دون مقابل وتلك بمائتي ألف والعناية واحدة والإتقان واحد ؛ " إن الله كان عليكم رقيبا " ، وهل يمكن لمدرس أن يترك التلاميذ من أجل قلة الأجرة ؟ لا يمكن، لذلك هذا الاسم يمكن أن يطبق في مليار حالة ، إذا آمنتم أن الله رقيب فسينعدم الغش والكذب ولا نظرة حرام ، ولا ابتسامة ، ولا إساءة .

العلماء يرون أن المراقبة حال يصير العبد فيه يذكر الله بقلبه ؛ لأن الله مطلع عليه دائما ؛ وشعور العبد أن الله مطلع عليه دائما ؛ هذا الحال اسمه حال المراقبة .

سُئل بعض القوم بمَ يستعين الرجل على غض بصره عن المحظورات ؟ فأنت إذا مشيت بالطريق بعض النساء يبرزن أحسن ما في أجسامهن وتراهن عاريات من الطراز الأول ، فكيف تغض بصرك ؟ قال : بعلمه أن رؤية الحق تعالى سابقة على نظره ؛ علمك أن الله يراقبك هذا أسبق من نظرك إلى الحرام ؛ فبهذا تغض بصرك وتستحي من الله ، وكثير من الإخوان لا يجتمعون مع امرأة في مصعد واحد ، وينتظر للمرة الثانية أو يصعد الدرج ماشيا لأن المؤمن عفيف : " إن الله كان عليكم رقيبا " .

الإحسان ان تعبد الله كأنك تراه ؛ فإن لم تكن تراه فإنه يــــراك .

والله سبحانه وتعالى يقول في سورة العلق :

أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

ذكر الإمام الرازي أن حظ المؤمن مــن أســماء الله ، المقولــة القائلة : " تخلقوا بأخلاق الله " ، فكيف نتخلق بهذا الاسم ؟ يقــول : مراقبة العبد لنفسه أساسها أن يعلم أن الله مطلع على نواياه ودخـائل قلبه ، وأن يستحضر من مراقبة الله له أن الله تعالى معــه دائمـا ، ويرقبه في كل أحواله وحركاته و ســكناته وقــال : هــذه المراقبــة مفتاح كل خير ، لأن العبــد إذا أيقــن أن الحــق مراقــب لأفعالــه ، مبصــر لأحوالــه ، وســامع لأقوالــه ، مطّلــع علــى ضمـــائره وخفاياه ، خاف عقابه في كل حال ، وهابه فــي كــل مجــال ،علمــا منه بأن الرقيب قريب ، وهـــو الشــاهد الــذي لا يغيــب ، ولذلــك قال الشيخ : إن الرقيب الذي هـــو مـــن الأســـرار قريـــب ، وعنــد الاضطرار مجيب .

وقال بعضهم : الرقيب : هو المطلع على الضمـــائر ، والشــاهد على السرائر ، والرقيــب يعلــم ويــرى ، ولا يخفــى عليــه الســر والنجوى .

و قال بعضهم : الرقيب : الحاضر الذي لا يغيب ، بل رقابته قديمة مستمرة . و لهذا قيل : الرقيب الذي يسبق علمه جميع المحدثات وتتقدم رؤيته جميع المكونات .

الإمام الغزالي في كتابه " إحياء علوم الدين " حينما عقد بحثا حول مقام المراقبة قال : إن أدب المؤمن مع الله الرقيب ؛ أن يعلم أن الله رقيبه وشاهده في كل شيء ، ويعلم أن نفسه عدوة له ، وكذلك الشيطان اللعين ، وهما ينتهزان منه كل فرصة حتى يحملاه على الغفلة والمخالفة ؛ لذلك يجب أن يأخذ حذره منهما ، ويسد عليهما المنافذ والمداخل ، حتى لا يقع في فخ واحد منهما " .

ومن أدب المؤمن في هذا المجال أن يراقب نفسه وحسه وأن يترقب أنفاسه ويجعل عمله خالصا لربه بنية طاهرة في أعماله ويراقب ربه في أخيه فلا يظهر عيبه .

ويقول ابن عطاء الله السكندري عن اسم الرقيب : أفضل الطاعات مراقبة الله على الدوام وفي كل الأوقات .

وقال أبو حفص : إذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك ولا يغرنك اجتماعهم عليك ؛ فإنهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك !! .

قال عبد الله بن المبارك لرجل :راقب الله –تعالى –فقال : كيـــف ذلك ؟ قال :

"" كُن أبداً كأنك ترى الله تعالى !! ""

و قد جاء هذا المعنى في الدعاء النبوي الشـــريف : " اللـــهم اجعلنا نخشاك حتى كأننا نَراك " .

فحال المراقبة حال إذا وصلتَ إليـــه ، أوصلـــك إلـــى الجنـــة ، وسعدت في الدنيا و الآخرة لأن من لوازم هذا الحال الاستقامة علـــى أمره .... و الاستقامة على أمر الله سبب لدخول الجنة !!! .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الصمد

الصمد

أيها الأخوة المؤمنون : كلكم يقرأ سورة الإخلاص : " قُل هــو اللهُ أحَد ، اللهُ الصَّمَد " .

فالصمد ؛ اسم من أسماء الله الحسنى ، ورد في الأحاديث الشريفة ومعنى الصَّمْد : القَصْد . وفي حديث معاذ بن عمرو بن الجموح في قتل أبي جهل قال : فصمَدت لـه .. أي قصدته حتى أمكنتني منه غرة .

هذا المعنى الأول في اللغة .. الصمد : القصد .. صمدت له : قصدته .. و الصَّمَد : السيد المطاع الذي لا يُقضَى من دونه أمر ، سيد متمكِّن ، مُطاع ، أمره نافذ .. وأصمد إليه الأمر : أسنده إليه .

و يقول بعض علماء اللغة : " إن الصمد في اللغة له وجهان : أنه فعل بمعنى مفعول " .. أي مقصود ، صمدتَ إليه أي قصدتَه ، أو هو المقصود، أي السيد المقصود . المصمود في الحوائج : أي المقصود في الحوائج . ونقول ضمن قوسين: " إذا أحبَّ اللهُ عبداً جعل حوائج الناس إليه " .

هناك شخص أنا أسميه ، وقد سماه الأولون العفريت النفريت .. يتملص من كل عمل ، يتملص من كل عبء ، يتملص من كل موعد ، يتملص من كل بَذل ، ومن كل عطاء ، يأخذ ولا يعطي ، وإذا أردت أن تعرف ما إذا كنتَ من أهل الدنيا ، أو من أهل الآخرة ، فاسأل نفسك السؤال الدقيق : ما الذي يُفرحك ؟ أن تُعطي أم أن تأخذ .

أهل الدنيا يُفرحهم أن يأخذوا ، وأهل الآخرة يفرحهم أن يعطوا . وهذا مقياس دقيق ، حتى إن العرب في لغتهم يسمون الذين أعطوا : ارتاحوا ، يسمى هذا الإنسان أريحي ؛ أي يرتاح في العطاء . يعطي ليستريح ، فإذا كنتَ من أهل الإيمان – ودققوا في هذه الكلمة – المؤمن حياته مبنية على العطاء ، وغير المؤمن حياته مبنية على الأخذ .

والذي يُعطي فإن الله جل جلاله يعطيه ،يول صلى الله عليه وسلم لبلال الفقير:" أنفِق بلالاً ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالا .ويقول ربنا سبحانه في الحديث القدسي:" عبدي أنفِق ، أُنفق عليك"

وهناك في القرآن كريم آيات عديدة – تزيد عن ثمانية آيات – تؤكد أن كل نفقة يعوِّضها الله أضعافا مضاعفة فقد قال تعالى في سورة سبأ : " وما أنفَقتُم مِن شيءٍ فهوَ يُخلِفُهُ وهوَ خيرُ الرازقين " .

هذا كلام خالق الكون . فالصمد ؛ بمعنى المصمود : أي المقصود في الحوائج كلها . وإذا أحب الله عبدا جعل حوائج الناس إليه . والمؤمن لا يتأثر لو طُرق بابه في اليوم مئات مرة ، لو اتّصلوا به عشرات المرات ، لو تزاحم الناس على بابه لا يتأثر ؛ لأن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعلك تأخذ ، على أن يجعلك تقف ذليلا أمام باب إنسان ، فإذا مكّنك الله ؛ أعطاك صحة ، أعطاك مالا ، أعطاك مكانة ، أعطاك شيئا يمكن أن تُنفقه فلا تبخل به ، لأن الله سبحانه وتعالى يعطيك النعم ما بذلتَها ، فإذا منعتَها منعَها عنك !!! والعرب تقول : "بيت مصمود "أي : إذا قصده الناس في حوائجهم .

تجد في الأسر رجلا يسمونه الآن عميد الأسرة ، يقصده كل أطراف الأسرة في زواجهم ، في أعمالهم ، في وظائفهم ، في حل مشكلاتهم ، في كل ما من شأنه أن يتدخل من أجله ، هذا الإنسان محترم . وقال بعض اللغويون الصمد ؛ هو الذي لا جوف له ، أي الشيء الأصم . حجر لو نقرته لا يعطيك صوتا ، فهو صمد أي أصم . أما العلبة الفارغة لو ضربتها تُحدث صوتا ، فالصمد هو الذي لا جوف له .

و قال بعض متأخري اللغة : الصمد هو الأملس من الحجر الذي لا يقبل الغبار ، بمعنى ثقيل ، ولا يدخله شيء ولا يخرج من شيء ،

لا دخول ولا خروج ولا استقرار .. هو الصمد .. هذا كله معنى كلمـة الصمد في اللغة .

أما إذا كان الصمد وصفا لله عز وجل ، أو كان اسما من أسمائه ، فإن الله سبحانه وتعالى صمد ؛ لأن الأمور أُسندَت إليه ، يعني الأمور رجعت إليه وهذا المعنى ورد في القرآن الكريم فقد قال تعالى في سورة هود:" وإليه يُرْجَعُ الأمرُ كُلُّه " .

أحيانا تجد في هيئة أو مؤسسة أو معمل أو مدرسة ، رجلا قويا لا يستطيع أي موظف أن يبِت في قرار ، أو يتخذ أي قرار ، ما لم يَرجع إليه فالأمر كله بيده ، خيوط كل الموضوع مجموعة بيده ، فالله سبحانه وتعالى إذا قلنا أنه صمد ؛ أي أن الأمور كلها أُصمِدت إليه ، أي أُسندَت إليه .

فما قولك أيها الأخ الكريم إذا كان الأمر كله بيد الله ، أتسأل غير الله ؟ أو هل تتوجه إلى غير الله ؟ أتعلِّق الأمل على غير الله ؟ أتخاف من غير الله ؟ أبدا .

فقد سألني أحدهم مرة : ما الذي يُقوِّي سيري إلى الله ؟ قلت له : التوحيد . ما الذي يقوي إخلاصي ؟ قلت التوحيد ، ما الذي يقوي عزيمتي ؟ قلت التوحيد . ما الذي يُبعدني عن الشرك ؟ قلت التوحيد . وما تعلَّمت العبيد أفضل من التوحيد . وكلكم يعلم أن

القرآن كله من دفته إلى دفته ، من فاتحته إلى سورة النـــاس ؛ كلـــه حول التوحيد والدليل قوله تعالى في سورة الكهف :

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ

هذا هو الدين .. بل إن فحوى دعوة الأنبياء جميعـــا مـــن دون استثناء هو التوحيد ، والدليل قوله تعالى :

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

سورة الأنبياء

الدين كله عقيدة التوحيد والعبادة ؛ وحِّد .. واعبُد ، تفوز بالدنيـا والآخرة ، وتجمع المجد من كل أطرافه .

قال : الصمد في وصف الله تعالى ؛ هو الـــذي أُســـندت الأمـــور إليه ، فلم يَقضِ فيها غيره . وهو الذي يُصمد إليه في الحوائـــج أي يُقصد . فانظروا إلى هذه الفكرة الدقيقة : الأمور راجعة إليـــه .. إذن هو المقصود كنتيجة طبيعية .

فأنت بشكل طبيعي وعفوي ، إذا دخلت إلى هيئة حكومية بحاجـة إلى موافقة على طلب تسأل بيد من هذه الموافقة ؟ فإذا قيل أنها بيـــد المدير العام ؟ فلا يمكن أن تبذل ماء وجهك لغـــيره ، ولا يمكـــن أن

تسأل غيره ؛ لأنك أيقنت أن الأمر بيد فلان ، ما دام الأمر بيده أنت قصدته . من أين يأتي القصد ؟ من التوحيد .. إن وحّدت ، اتّجهت إلى الله ... هذه المسألة كفكرة سهلة ، وإدراكها سهل ، وشرحها سهل ، لكن أن تعيشها هنا المشكلة !!! .. فياترى هناك مشكلة مزلزلة عشتها ؛ فأن ترى فلانا هو الذي أوقعك بها ، أو فلانا من الناس هو الذي خلصك منها ، فهذا هو الشِّرك ، فأفكار التوحيد أفكار سهلة وليست معقدة ، أما ممارساتها ، فتحتاج إلى جهد كبير .

إن التوحيد محصلة جهودك الكبيرة في طريق الإيمان . فأحيانا يقول لك عن العوامل التي تتحكم في سعر العملة أنها : محصلة الإنتاج الزراعي ، والصناعي ، والتجاري ، وترشيد الاستهلاك ، والقدرة على جلب رأسمالات من بلاد أخرى ، ورواج المبيعات ، والثروات الباطنية ، أي أن هناك ألف عامل وعامل يدخل في تحديد سعر العملة . كذلك كل عوامل الإيمان محصّلتها التوحيد .

و قال العلماء : " الصمد ؛ هو الدائم الباقي بعد فناء خلقه "، فقد قال تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾

سورة الرحمن

وقال بعض العلماء : " هو الذي خلق الأشياء كلها ، ولا يستغني عنه شيء " .

و يكفينا معجزة خلق الإنسان المبهرة ، فتركيب الجسم المعقد جدا ؛ فالقلب وما به من – دسامات ، وأذنين ، وبطينين ، ومراكز توليد الكهرباء – والأوعية ، والشرايين ، والأوردة .. والكبد ، والبنكرياس ، والغدد الصماء ومفرزاتها – بنسب دقيقة جدا – وبلازما الدم ... قلت : والله ، المعجزة أن يستيقظ أحدنا لا يشعر بشيء .. فهذه هي المعجزة ، من شدة تعقيد الجسم ودقّته ، فالإنسان يسلم جسمه من المرض هو المعجزة .

أي نسبة تتغير في تركيب الجسم تجعل الحياة لا تُطاق ، لو أن الكلية قصرت في وظيفتها تزداد نسب – اليوريا – في الدم ، ومن مضاعفاتها ضيق ، وتوتر عصبي ، وردود فعل عنيفة جدا .

الملح إذا زاد ، يؤثر على الدم ، وإذا أصبح الدم لزجا ، يتجمد فورا . والتجمد يعني الشلل ، أو فقد البصر ، أو فقد الذاكرة ، فالإنسان شديد ، الله هو الذي خلق الأشياء كلها وهو الذي لا يستغني عنه شيء . الإنسان يربي ابنه وعندما يكبر يستقل عن أبيه ، وقد يغدو أقوى من أبيه وقد يغدو أغنى من أبيه ، وقد يصبح أبوه بحاجة

إليه ولله المثل الأعلى الله الذي خلق كل شيء ، وكل هذه الأشياء لا تستغني عنه مهما كبرت أو أصبحت قوية أو غنية أو ... إلخ .

الإمام الرازي له تعريفات أخرى لاسم الصمد يقول : " الصمد ؛ هو العالِم بجميع المعلومات " .. هذه إشارة دقيقة .. فالإنسان إذا نقصته المعلومات ضعُف وضعفت قوته ، فأحد أسباب القوة ؛ المعلومات الدقيقة . فالإنسان إن كان يحتل موقعا قياديا ؛ إذا كانت معلوماته غير دقيقة ، أو ناقصة ، أو غير كاملة ، يضعف مركزه ، فأحد أسباب القوة ؛ أن لا يغيب عنك شيء . وهذه صفة لله عز وجل ، فالإنسان قد يعلم شيئا وقد تغيب عنه أشياء .

قل لِمَن يدعي في العلم فلسفة حفظتَ شيئا وغابت عنك أشياء .

فالله سبحانه وتعالى من معاني اسم الصمد : أنه يعلم كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

وقيل : الصمد ؛ هو الحكيم .. أولا : يعلم كل شيء ، لكن مع هذا العلم أفعاله فيها حكمة ، فالحكمة هي أحد الأدلة الكبيرة على وجود الله .. فقد يكون هناك أشياء متراجحة .. فإذا أنت خاطبت إنسانا فهل من الممكن أن ترفع الصوت إلى درجة ليسمع من مئتي مترا ؟ فلا يكون هناك حكمة . أو أن تهمس همسا من على بعد خمسة أمتار بحيث لا يسمعك ؟ لا ،بل لا بد من أن ترفع الصوت إلى

درجة ليصله . فتغيير الصوت بحيث يصل إلى السامع دون أن يتجاوزه كثيرا ، ودون أن يقصر عنه ؛ هذه هي الحكمة . فالحكمة ؛ وضع الأشياء في أماكنها . والحكمة ؛ أن تفعل الشيء المناسب ، في الوقت المناسب ، بالقدر المناسب ، للشخص المناسب على الشكل المناسب ، فالله سبحانه صمد أي حكيم .

و قال : الصمد ؛ " هو السيِّدَ الذي عَظُم سؤدده " ، أي مجده .

و قيل : الصمد .. " هو الخالق للأشياء ، فإن كونه سيدا يقتضي ذلك " .

تعريفات أخرى للصمد ، فعندما يقرأ الإنسان في صلاته :

" قل هو الله أحد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " . هذه المعاني كلها ينبغي أن ترد إلى ذهنه . فالإنسان حين يتدبر في كلام الله عز وجل ، و يتأمل في المعاني الدقيقة التي يقرأها يخشع قلبه ، ويرقى إلى الله عز وجل بهذه المعاني .

قيل : الصمد ؛ " هو المقصود إليه في الرغائب ، و المستغاث به عند المصائب وقيل : الصمد ؛ " الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد " .

الإنسان يشاء ولا يفعل ،لأنه لا يستطيع . ولكن الله عز وجل وصف ذاته بقوله تعالى : " فعّال لما يريد " ... فقد تجد إنسانا يحبك ولك عنده مكانة كبيرة ، وتلجأ إليه فيقول لك : والله لا أستطيع كان بإمكاني قبل هذا الوقت ، مع أنك أثير عنده إلا أنه يعجز عن مساعدتك .

الدين أساسا صلة بالله : التجاء إلى الله . وغير المؤمن يلتجئ إلى الإنسان ، يعني إما أن تكون عبدا لله ، أو إما أن تكون عبدا لعبد الله . فالله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد ، وما دام يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ، ولا معقِّب لحكمه ولا رادَّ لقضائه إذن ؛ هو المقصود ، هو القوي ، هو الغني ، هو القهار .

وقال بعض العلماء : " الصمد هو الماجد الذي لا يتم أمر إلا به " ، وقيل : الصمد : " الكبير ، الذي ليس فوقه أحد " .

ففي ذات مرة سئل أحدهم فقالوا له : هناك من أكبر منك ؟ فقال: نعم ، والأكبر هناك من هو أكبر منه ؟ وأكبر وأكبر وهكذا .. والله أكبر من الجميع . وأنا مع الله ... فإن كنت عالما ؛ فهناك أعلم منك ، وإن كنت قويا ، فهناك أقوى . وإن كنت غنيا ، فهناك أغنى . أما الكبير الذي ليس فوقه أحد ، هو الله ؛ بالقدرة والعلم والغِنَى ،

فإذا كنت مع الله ، فأنت أقوى الناس ، وأنت أغنى الناس ، وأنت أعلم الناس .

و قيل : الصمد .. " الكامل في كل الصفات : في العلم والقدرة والحكمة والغنى ".

و قيل الصمد : " الذي يحتاج إليه كل أحد ، وهو مستغن عن كل أحد " .

الإنسان الغني يحتاجه الناس ، وهو محتاج الناس من أجل أن يأكل ، ومن أجل أن ينام ، مهما كنت غنيا أنت بحاجة لكل الناس ، بحاجة لمن يقدم لك رغيف الخبز ، بحاجة لمن يمسح لك سيارتك ، بحاجة لمن يمدد لك الكهرباء في البيت ، فالغني يحتاجه الناس ، ولكنه في المقابل يحتاج الناس. أما الصمد .. هو الذي يحتاجه كل مخلوق ؛ وهو مستغن عن كل أحد، يحتاجه كل أحد ، وهو مستغن عن كل أحد .

و قيل : الصمد .. " هو الذي تقدست ذاته عن إدراك الأبصار والعيان .. وتنزه جلاله عن أن يدخل تحت الشرح والبيان " فالأبصار والحواس لا تستطيع أن تدركه ، هذا الصمد والشرح مهما كان لا يفي بجلاله ، وقيل : - كما قلت قبل قليل - الباقي بعد خلقه لا

يموت ، ولا يورث ، هو الذي يرث الأرض ومن عليها ، المطلق الأزلي ، الأبدي ، الذات الكاملة .

و قيل : الصمد .. " الذي لا ينام ، ولا يسهو ، ولا يغفو ".

أحيانا تجد شاحنة - ثمنها عشرون أو ثلاثون مليونا - ومنقلبة على الطريق ، وسبب ذلك أن السائق قد نام وهو يقودها ، والنوم سلطان ولكن الله تعالى قال وهو يصف نفسه : " لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ ولا نوم " سورة البقرة .

و قال القشيري : " الصمد هو الذي لا يزول أبدا " .

هذه المعاني كلها مما وردت في ثنايا الكتب التي تحدثت عن أسماء الله الحسنى ، أو فسرت كلامه جل جلاله ، كل هذه المعاني تشير إلى اسم الصمد .

الله عز وجل وصف نفسه بهذا الاسم ليكون مقصد عباده . أحيانا يسأل الإنسان قويا ، لكن القوي لا يرغب أن يلبي الحاجة ، فقد يُحرج لكي يلبي لك حاجتك ، لكن الله عز وجل عندما قال لعباده : يا عبادي ، أنا صمد في قوله تعالى : " قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد " أي اقصدوني ، إذن

هناك فرق بين الله جل جلاله ، وبين العبد فهو يغضب عليك إن لم تسأله :

لا تسألن بُنَيَّ آدمَ حاجَةً ... .. وسَل الذي أبوابُه لا تُغلقُ

اللهُ يغضب إن تركتَ سؤالَهُ ... .. وبُنَيَّ آدم حين يُسأل يَغضبُ

الله قال لك : أنا صمد ، أي اسألني ، وهذا معنى قول النبي الكريم في الحديث الصحيح :

عن الأغر قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنهما شهدا على النبي صلى اللهم عليه وسلم أنه قال إن الله عز وجل يمهل حتى يذهب ثلث الليل ثم ينزل فيقول هل من سائل هل من تائب هل من مستغفر هل من مذنب قال فقال له رجل حتى يطلع الفجر؟ قال نعم " مسند الإمام أحمد .

يقول الإمام الغزالي : الله جل جلاله اختار هذا الاسم لذاته، ليقصده عباده في المهمات في دنياهم وفي دينهم

يقولون لك : دنيا .. نعم ولكن هناك دنيا ضرورية للآخرة ؛ ففي الدعاء الشريف : اللهم أصلِح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردّنا ، فإذا كان الإنسان صحته طيبة، ومعه مال

يكفي حاجاته ، وله أهل ، وله أولاد ، فـهذه دنيا لكن صالحة ، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا ، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا . فالنبي واقعي ، وهناك حديث آخر يقول عليه الصلاة والسلام : " ليس بخيركم من ترك دنياه لآخرته ، ولا من ترك آخرته لدنياه ، إلا أن يتزود منهما معا فإن الأُولى مطيَّة للثانية " .

ألم نقل قبل قليل : الصمد هو الذي يحتاجه كل شيء ، وهو مستغن عن كل شيء ،أي أن تصغر الدنيا في عينيك .. كيف ؟ قال : *لا يشتهي ما لا يجد ولا يُكثِر إذا وجَد* .. أي أن يكون قانعاً راضياً بما قسم الله له. كلام معيار دقيق .. تجد المؤمن مؤونته خفيفة ، وظله خفيفا ، وحاجاته خفيفة . بل إن النبي – عليه الصلاة و السلام – وصف الزوجة الصالحة بأنها قليلة المؤونة ؛ أي طلباتها قليلة تقنع بالقليل . ففي الحديث :

عن عائشة عن النبي صلى اللهم عليه وسلم قال أعظم النساء بركة أيسرهن مؤنة . مسند الإمام أحمد .

والله أعرف رجالا كثيرين جدا دمرتهم زوجاتهم بـــأن حملنـــهم على أكل المال الحرام ،حتى سُجنوا ؛ هذا معنى قول الله عز وجل فـي سورة التغابن :

إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ

أما الصحابية الجليلة فكانت تقف مودِّعة زوجها قبل ذهابه إلـى عمله وتقول له : يا فلان ، إتَّق الله فينا فنحن ، نصبر على الجـوع ، ولا نصبر على الحرام .

فالتخلق بأخلاق الصمد .. أن تقلل تعلقك بالدنيا ، أن تقلل تعلقـك بحوائج الدنيا .. قال دخلت امرأة إلى سوق من أرقى الأســواق فـي بعض المدن ، فوجدت الأصناف التي فيه لا تعد ولا تحصى ، فقـالت : " يا إلهي كم هي كثيرة الحاجات التي لا يحتاجها الإنسان " !! .

يقولون لك : فلان فقير ، الفقير ساكن في بيــت آكــلا وشــاربا ولابسا ، ولكن مقياس الفقر والغنى - الكماليات ؛ الأشياء الثانويــة ، فعندما يقنع الإنسان بالقليل يكون غنيا .

و كنت أقول دائما : هناك فقر القدر ، وهناك فقر الكسل .. فقــر الكسل مذموم ، لكن فقر القدر مقبول . وهناك غِنَى البطر ، وهنـــاك

غِنى الكفاية فالفقر الذي أسبابه الكسل ينبغي أن ترفضه ؛ لأن علو الهمة من الإيمان . أما الفقر الذي أسبابه القدَر ينبغي أن ترضى به ؛ لأن هذه مشيئة الله . إن سعيت إلى المال لا تسعَ إلى غنى الترف والبطر ، بل اسعَ إلى غنى الكفاية

قال : ومما نستفيد من اسم الصمد ؛ أن المؤمن يعرف جيدا أن الله هو الذي يُطعِم ولا يُطعَم .. فإذا كان الله وحده هو الذي يطعِم ؛ توجَّه إليه وتوكَّل عليه ، وارغَب فيما عنده وايأس مما في أيدي الناس .

من عرف أن الله دائم لا يزول ، زهد في حطام الدنيا . كلكم يرى رأي العين الإنسان عندما يغتني ، كل هذا المال لا يستطيع أن يأخذ منه شيئا إلى القبر .. فإذا توقف القلب قال الطبيب لأهله : لقد انتهى ومات ، وعظم الله أجركم ، فكتبوا النعي وقاموا بتشييعه ، وهذا الميت لم يعد يملك شيئا من الدنيا ، ولا أدق الأشياء ولا أخصها ، ولا غرفته ولا أثاثه ولا مقتنياته الشخصية ، فإذا علم الإنسان أن الله حي لا يموت ، وأن الله لا يزول ، وأن الله باق على الدوام ، وأنه الباقي بعد فناء خلقه تعلق به وحده لأنه الباقي وغيره فاني... فلا تتعلق بالفاني ، ولكن تعلق بالباقي . فهناك بيوت جميلة جدا ، وهناك أذواق رفيعة ، الإنسان يشتهي أن يسكنها ولكنها هل تدوم ؟ لا .. لا تدوم ، فلا بد من أن يخرج منها أفقيا .. مرة واحدة ولا يعود أبدا .

والمشكلة أن تعمل توازناً بين البيت وبين القبر فهناك تجد بوناً شاسعا . وهذا هو مصير كل حي ، فإذا علم الإنسان أن الله صمد ، بمعنى أنه المقصود ، يقصده . وإذا أيقن أن الله هو الصمد بمعنى الباقي ، لا يتعلق بالفاني – وطبعا هذه الأشياء مهمة جدا في الدرس فالآن التطبيق العملي نتيجة هذه التعريفات .. هو أن تتعلق بالله الباقي .

عِش ما شئتَ فإنك ميت

و أحبِب مَن شئتَ فإنك مُفارِق

إن أحببت هذه الزوجة ، لا بد من وقت تفارقها أو تفارقك . إذا كما قال عليه الصلاة والسلام : لو كنت متخذا من العباد خليلا لكان أبو بكر خليلي ، و لكن أخ وصاحب في الله .

الآن الأدب الثالث .. من أدب المؤمن مع هذا الاسم ألا يقصد بحوائجه غير الله ، وألا يعوّل إلا على الله .

ألا يقصد إلا الله ، وألا يضع الآمال إلا بالله ؛ وهذا معنى الحديث الشريف :

" لا يخافَنَّ العبد إلا ذنبه ، ولا يرجوَنَّ إلا ربه "

الاستدلال الرابع : أن يتخلق الإنسان بهذا الاسم ، فيجعل نفسه مقصودا من قبل الناس للخير ، معينا لهم على حوائجهم ، أي إذا الإنسان فتح بابه ، واستقبل أصدقاؤه وإخوانه وأحبابه وأقرباؤه وجيرانه ، وقام بحل مشكلاتهم ، وأعانهم على حياتهم ، ووفق بينهم ، وزوج أعزبهم ، وأصلح فيما بينهم ، فإذا كان مقصودا في حوائج الناس فقد تخلق بهذا الاسم . و يقول عليه الصلاة والسلام : " أحب الناس إلى الله أنفعهم لعباده " .

أيها الإخوة ... الإنسان إذا تفكر في خلق السموات والأرض . يرى جانبا من عظمة الله عز وجل ، وقد يرى أسماؤه الحسنى وصفاته الفضلى ، ظاهرة في الكون ، ظهورا واضحا ، فالله سبحانه وتعالى يحتاجه كل مخلوق ، يحتاجه كل شيء في كل شيء ، إذن هو المقصود ، وهو باق على الدوام .

إذن : تعلق بالباقي لا بالفاني . وكلما خففت من شهواتك ومتطلباتك ورغباتك ، اقتربت من خالقك . وكلما فتحت بابك للناس لتقضي حوائجهم ، تخلقت بهذا الاسم .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الغفور

الغفور

هذا الاسم أيها الأخوة ورد في القرآن الكريم في صيغ ثلاث :

الأولى هي صيغة غافر قال تعالى :

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾

سورة غافر

و ورد أيضا على صيغة ثانية وهي الغفور ، قال تعالى :

وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ﴿٥٨﴾

سورة الكهف

وقال تعالى في سورة البروج :

وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلۡوَدُودُ ﴿١٤﴾

وقال تعالى في سورة الحجر:

۞ نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾

وقال تعالى في سورة الزمر :

۞ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

إلى آخر الآيات التي ورد فيها هذا الإسم على صيغة غفور .

الصيغة الثالثة هي : غفَّار على وزن فعال قال تعالى فِي ســـورة طه :

وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

و قال تعالى في سورة نوح :

فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴿١٢﴾

ألا هو العزيز الغفار ، غافر وغفور وغفار وردت هذه الأســـماء كلها في القرآن الكريم ، هذه الأسماء كلها مشتقة من مصدر واحـــد وهو المغفرة .

قال بعض العلماء : " الإنسان إذا عصى الله عز وجل وُصف فـــي القرآن بأنه ظالم ووُصف في القرآن بأنه ظلوم وبأنـــه ظـــلاَّم " قـــال تعالى في سورة فاطر :

ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾

و قال تعالى في سورة الأحزاب:

إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾

فالمسرف ظلاَّم على صيغة المبالغة ، فإذا كان العبد ظالما فالله غافر وإذا كان ظلوما فالله غفور وإذا كان ظلاما فالله سبحانه وتعالى غفار ، بأية صفة أتى بها العبد المعصية فهناك اسم لله عز وجل يقابل هذه المعصية !!! .

النقطة الدقيقة في هذا الاسم أن صفات الإنسان متناهية ،أي أنه إذا فعل الإنسان ذنباً فالذنب له حجم وله نهاية عند حد معين، لكن مغفرة الله عز وجل ليست متناهية ،بل لا حدود لها وغير المتناهي يغلب المتناهي ، إذن لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الكفور لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الجهول لا يقنط من رحمة الله عز وجل إلا الجحود .

إذا كان ذنبك متناهيا ومغفرة الله عز وجل ليست متناهية فمن الغباء والحمق والجهل والجحود وقلة العلم أن تيأس من رحمة الله

شيء آخر في هذا الاسم أن الآيات التي وردت في هذا الاسم وردت مرة على صيغة الماضي قال تعالى في سورة ص :

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

ومرت أيضا على صيغة الفعل المضارع قال تعالى : في ســـورة النساء :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

و في سورة آل عمران :

وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾

و وردت بصيغة الأمر ، قال تعالى : في آل عمران أيضاً

رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾

ووردت بصيغة المصدر قال تعالى في سورة البقرة :

ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾

وفي سورة الرعد :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ (٦)

أي أنه يغفر لك ما مضى ويغفر لك ما يحدث الآن ويغفر لك في المستقبل وهو ذو مغفرة ، بأي زمن شئت هو غفار ، لأي ذنب فعلت هو غفار ، لأن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم !!! .

ولكن أيها الأخوة الأكارم : الحقيقة التي أتمنى أن تكون بين أيديكم هو أن أسماء الله عز وجل لا تتفاوت أبدا .. إذن كيف جاء هذا الاسم على هذه الصيغ ؟ هنا السؤال . إذا الإنسان تناول الطعام يقال له في اللغة ؟ آكل ، إذا جلس إلى الطعام فأكل خمسة أرغفة يقال له أكول على وزن فعول إذا تناول كمية كبيرة ، إذن صيغة المبالغة ماذا تفيد ؟ تفيد النوع وتفيد العدد ، الحقيقة الأولى أن أسماء الله عز وجل لا تتفاوت ، كلها في مستوى واحد لأن الله عز وجل مطلق .، فالإنسان كان في مستوى وارتقى إلى مستوى أعلى ثم ارتقى إلى مستوى أعلى ، كان ظالما ثم فعل ظلما آخر أشد فأصبح ظلوما فعل ظلما أشد صار ظلّاما ، أما هذا المعنى فلا يليق بحضرة الله عز وجل أبدا . لو أن فلانا ارتكب سيئة غفرها الله له فهو غافر ، فلان آخر غفر الله له فلان ثالث غفر الله له فلان عاشر غفر الله له ... العباد كلهم لو أذنبوا غفر الله لهم ، فجاءت صيغة غفار

لا من حيث النوع ولكن من حيث العدد ، لو فرضنا أنك قلت : " فلان ليس أكولا " إذا نفيت عنه أنه أكول هل نفيت عنه أنه يأكل ؟ لا . إذا قلت : " و ما ربُكَ بِظلاَّم للعبيد " ، قد يقول قائل معلوماته محدودة وأفقه ضيق الله ينفي عن نفسه مبالغة الظلم ولا ينفي عن نفسه الظلم ، فإذا قلت عن إنسان ليس أكولا ليس معنى هذا أنه ليس آكلا ، قال : هذا لا يليق بحضرة الله عز وجل لأن صيغة المبالغة بأسماء الله لا تعنِي الكم بل تعني العدد ، فكل عباده لو أنهم أذنبوا فالله عز وجل غفور ، فصيغة فَعول تعني المبالغة لا في المعنى لكن في العدد والدليل قوله تعالى :

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ (٤٦)

سورة فصلت

الظلاَّم في حق الله تعني أنه لا يظلم ،فجميع عباده ينعمون بعدالته .

شيء آخر : المغفرة في اشتقاقها اللغوي تعني الستر ولكن ربنا عز وجل كما يتضح لكم ذكر بعض المعاصي فقال مثلا عن سيدنا موسى :

قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ (١٦)

سورة القصص

وقال لسيدنا النبي عليه الصلاة والسلام في سورة الفتح :

لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾

فلا يستقيم معنى المغفرة بمعنى الستر لكن يستقيم بمعنى الصفح والعفو والستر فالمعنى الأول المغفرة : هي الصفح و العفو أي عدم إيقاع العقوبة ، أي أن الله عز وجل غفور يمكن أن يعفو عنك فلا يوقع عليك العقاب

المشكلة الأساسية هو أننا إذا قرأنا القرآن نقرأ بعضه وننسى بعضه الآخر، قال تعالى : في سورة الزمر :

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

لا ينبغي أن تقف عند هذا المكان في الآية قال تعالى :

وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾

سورة الزمر

أي غفور لمن أقبل ، غفور لمن تاب ، غفور لمن رجع ، غفور لمن أناب ، غفور لمن أصلح ، غفور لمن استغفر ، أما أن يقيم

الإنسان على معصية وينوي أن يبقى عليها ويقول الله غفور رحيم هذا من السذاجة والجهل وعدم الفهم ،لقوله تعالى في سورة الحجر :

﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾

أي إما أن تأتيه طائعا و إما أن يدفعك إلى أن تأتيه ، ربنا عز وجل قال في بعض الآيات أن الله تاب عليهم ليتوبوا ويوجد آيات تابوا فتاب الله عليهم ، ما معنى توبة الرب إذا سبقت توبة العبد ؟ وما معنى توبة الرب إذا تأخرت عن توبة العبد ؟

قال بعض العلماء : " إذا سبقت توبة الرب توبة العبد أي أن الله عز وجل ساق له من الشدائد والمحن والمصائب ما دفعه إلى التوبة فما أكثر التائبين على أثر مصيبة نزلت بهم ، الله عز وجل تاب على العبد قبل أن يتوب أي ساق إليه الشدائد والمحن والبلايا بحيث يحمله على التوبة وإذا قال الله عز وجل :

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾

سورة المدثر

حيثما جاءت كلمة ذرني يعني يا محمد إن لم يستجب فلان لك دعه لي أنا أسوق له من الشدائد ما أحمله على التوبة وهذه آيات دقيقة جدا فالله عز وجل من رحمته بنا يسوق لك إنسانا لطيفا يقدم

لك نصيحة هادئة بينك وبينه يدعمها بالآيات والأحاديث والقصص... ينصحك بغض البصر ، بتحرير الدخل من المال الحرام ، بترك الظلم ، بترك العدوان فأنت إما أن تستجيب وإما أن لا تستجيب ، فإن لم تستجب فالله سبحانه وتعالى عنده من الوسائل والأساليب والأدوية والطرائق والمضايقات والشدائد ما يدفعك إلى بابه دفعا، فأيهما أرقى لك أن تأتيه طائعا أو أن تأتيه بعد العصا ؟!!! .

فأنت أخوف ما يجب أن تخاف منه أن تُدعى إلى الله عز و جل دعوة هادئة لطيفة فيها ستر بينك و بين أخ كريم ، ثم لا تستجيب !!! .

هذا هو معنى" تاب عليهم ليتوبوا " ، أما إذا جاءت توبة الرب بعد توبة العبد فهي قبول التوبة " تابوا فتاب الله عليهم " أي قبل توبتهم !!!! .

عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن الله تبارك وتعالى أنه قال يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم يا عبادي لو أن أوَّلكم و آخركم و إنسكم وجِنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي إلا كما

ينقص المخيَط إذا أُدخل البحر يا عبادي إنما هي أعمالكم أُحصيها لكم ثم أوفِّيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه " صحيح مسلم .

هذا معنى هذا الحديث القدسي أن الإنسان إذا عاد إلى الله طواعية ضمِنَ حفظ الله له وتأييده وإكرامه فإذا أبى ولم يستجب عندئذ سيأتيه العذاب من حيث لا يشعر لذلك ربنا عز وجل يقول :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾

سورة الأنفال

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

سورة التوبة

إن لم تأته طائعا دفعك إلى بابه دفعا .

بعض العلماء قال : " النبي عليه الصلاة والسلام قال حينما توجه إلى ربه قال : يا من أظهر الجميل وستر القبيح " .

دققوا في هذا الدعاء : يامن أظهر الجميل ، وستر القبيح ، أي قبيح هذا ؟ إنها خواطرك التي تأتيك،ولا يعلمها إلا الله خاطر قبيح جدا خاطر معصية ، خاطر لا يرضي الله عز وجل ، لكن ألا ترى أن الله سبحانه وتعالى جميل الستر كل خواطرك محجوبة عن الخلق ، لك أن تفكر بما تشاء ولك أن يخطر على بالك ما تريد وأنت عند الناس في أعلى مكانة ، لذلك قال بعض الشعراء :

والله لو علموا قبيح سريرتي لأبى السلام علي من يلقاني

ولأعرضوا عني وملوا صُحبتي

مثال : شريكان إذا اطلع الأول على ما يدور في خُلد الثاني لفك معه الشركة ، لو اطلع الزوج على ما يدور في بال زوجته لطلقها ، لو اطلعت الزوجة على ما في ذهن زوجها لتركته ، لو اطلع الأب على ما يدور في بال ابنه عند تفكيره يموت أبيه لكرهه أعطني يدك لتقبيلها وفي باله خاطر آخر ، لو اطلع الأب على ما يجول في خاطر ابنه لأبعده عنه . فالله عز وجل ستار جميل الستر هذا معنى قول النبي عليه الصلاة والسلام حينما دعا ربه قال : يامن أظهر الجميل وستر القبيح .

أي أنت في حصن حصين كل خواطرك الداخلية كل المشاعر كل الأفكار كل الطموحات ، هذه كلها مستورة ، فهذا من معنى المغفرة أي ستر عن الناس العيوب الفكرية ، وشيء آخر : الإنسان دون جلد

قبيح جدا ، لو رأيت إنسانا على مستوى العضلات فقـــط لرأيــت ان شكله مخيف ، إنها عضلات متداخل بعضـــها ببعــض ، لــو رأيــت عضلات الوجه وحدها لوليت من الإنسان فرارا، عشرات العضــــلات المتداخلة والمستقيمة والمائلة لكن يأتي هذا الجلــد فيجعــل الوجــه جميلا .

والمعنى الثالث أن المؤمن في الجنة يستر الله عنه ذنوبه ، لـــو أن المؤمن اطلع على جاهليته لاحترق ، شيء فوق طاقة البشر لأنـــه مع الكمال المطلق ، لو أن مؤمنا تاب إلى الله توبة نصوحا وغفر الله له ثم تذكر ما فعل في الجاهلية يحترق ، فمن رحمة الله بالمؤمن أنـــه يستر عنه عيوبه وهذا ما فسره بعض العلماء في سر فناء الجسد

ربنا عز وجل في سورة غافر قال :

غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾

سورة غافر

قال بعض المفسرين : " غافر الذنب : إكراما ، و قابل التــوب : إنعاما ، وشديد العقاب : بالكافرين وذي الطـــول ، أي ذي العطـــاء : الكبير للسابقين والمقربين " .

الحقيقة ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى للمؤمنين وأسم واحد للكافرين ، فربنا عز وجل غافر الذنب : لمن ظلم نفسه ، و قابل التوب : للمقتصد ، وذي الطول : للسابق . لماذا كانت صفة واحدة من صفات الله عز وجل للكافرين لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول : " الكفر ملة واحدة فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟! " ، الكفر واحد أما الإيمان فمراتب .

قال : هذا الوحشي الذي قتل سيدنا الحمزة ، هل تعتقدون بوجود عمل أشنع وأبشع وأقذر من أن يأتي وحشي عبد بحربته ويبقر بها بطن سيدنا الحمزة عم النبي ، مقابل أن يعتق ؟؟!! لقد قيل أنه بعد أن فعل ما فعل وعرف قبح جريمته هرب إلى الطائف وندم على فعلته وكتب إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال : يا رسول الله هل لي من توبة ؟ قاتل عم النبي وعم النبي عليه الصلاة والسلام من أحب الناس إليه سيدنا حمزة سيد الشهداء ، " فقال : يا رسول الله هل لي من توبة ؟ فنزل قوله تعالى :

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾

سورة النساء

وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ
إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا (٦٨) يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ
يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ
عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا
رَّحِيمٗا (٧٠)

سورة الفرقان

قال : " لعلي لا يكون عملي صالحا " ، فنزل قوله تعالى " قُل يـا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إنَّ الله يغفرُ الذنوبَ جميعا " أي لو جئتني بملء السماوات والأرض خطايا غفرتها لك ولا أبالي ، والله أفرح بتوبة عبده من الضال الواجد والعقيم الوالد والظمآن الوارد .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الفتاح

الفتاح

أيها الإخوة المؤمنون : درسنا اليوم حول اسم الله الفتـــاح .... و الفتاح على وزن فعّال ، وصيغة فعّال من صيغ مبالغة اسم الفــاعل وحينما يصاغ اسم الفتاح صياغة مبالغة فالمعنى أن الله عــز وجــل يفتح كل الأبواب أو يفتح ما استعصى من الأبواب ، إما مبالغة تكثــير أو مبالغة نوع .

فقد يصاب الإنسان بمرض عضال ،و الأطبـــاء جميعــا أعطــوا قرارهم ، لا شفاء لهذا المرض ، لا أمل يُرجى من هذا المريــض ، لا بد أن يموت بعد أيام ... لن تُجدي معه العملية ولا أن يسافر إلى بلاد الغرب ولا أن يفعل ولا أن يترك ، باب الشفاء أُغلق و تواتر الإغــلاق وتواترت آراء الأطباء !!! مثلما حدث مع صديق لي أنجــب مولــودا بولادة عسرة ، حيثُ سحب الجنين من رحم الأم بآلة تســـتخدم فــي الولادة العسرة ، حينما وضعت على رأسه وسُــحِب أصيــب دماغــه بخلل ، فصار هذا الطفل الصغير كلما مضى وقت قليل انتفض ، فسأل صديقي أول طبيب فقال له : " هذه إصابة بالدماغ ، لابد من أن يكون هذا الطفل أعمى ، أو أبله أو مشلولا " ، قلنا هذا الطبيب حديث عــهد بالعلم ، فسألنا أمهر طبيب أطفال في دمشق فقال الكلام نفسه ، مـــا أضاف ولا أنقص ، سألنا طبيبا ثالثا ورابعا وخامســـا ، ثــم أدخــل

مستشفى الأطفال ، ولكن هذا الكـــلام مـــا تغــير ، لأن الاختلاجـــات أساسها إصابة الدماغ وإصابة الدماغ لا تبرأ ، لأن الخلية العصبيــة لا تنمو " هذه قاعدة طبية " !! ولو أن الأعصاب تنمو لمـــات الإنســـان ألما ؟ فمن رحمة الله بالإنسان أن أعصابه لا تنمو ، فالأطباء جميعـــا أجمعوا على أن هذا المولود لابد أن يكبر ويبقـــى أبلـــه أو مشـــلولا أو أعمى ، وصدّقوني أن أباه كان يتمنى أن يموت طفله ، لأن ذلـــك أهون بكثير من أن يكبر على هذه الحالة ، ثـــم أخـــيراً أخـــذه إلـــى طبيب ، وهذا الطبيب على شيء من الإيمـــــان ، فقـــال : " لعـــل الله يشفيه " ، فأجرى تخطيطا للدماغ ، ووصف له دواءً ومـــــا هـــي إلا ستة أشهر حتى عاد الطفل سوياً لا شيء يُقلق فـــي صحتـــه ، والآن عمره اثنتا عشرة سنة ويتحرك ويلعب ومتفوق في دراسته .... هـــل عرفتم لماذا الله عز وجل اسمه الفتاح ؟؟!! لقد أغلقوا كل الأبـــواب ، وربنا عز وجل فتح باب الشفاء .

المعنى البسيط إما أنه يفتح كل باب ، يفتح لك باب الرزق يفتـــح لك باب العمل ، يفتح لك باب الزواج ، يفتح لك باب الراحة النفسية ، يفتح لك باب التوفيق ، يفتح لك باب الطمأنينة ، يفتح لك باب العمـــل الصالح ، يفتح لك باب الدعوة إلى الله ، أو أن أحـــد الأبـــواب التـــي استعصت على البشر يفتحها الله عز وجل !! .

إذن فتاح صيغة مبالغة اسم الفاعل الفاتح ، الفـــاتح والفتــاح ، يفتح ما أغلق من الأبواب أو ما استعصى من الأبواب ، أو يفتح كـــل باب ، قال الله تعالى في سورة فاطر : " ما يفتـــح الله للنـــاس مـــن رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيـــز الحكيم " .

يعني إذا أمسك ليس في الأرض كلها قوة تســتطيع أن تفتــح ، و إذا فتح ليس في الأرض كلها قوة تستطيع أن تُغلِق ، فقوى الأرض مجتمعة ليس في إمكانها أن تفتح ما أغلقه الله ولا أن تغلق ما يفتحه الله .. إذن الأمر بيد الله وحده ، وإذا أيقنتَ أن الأمر بيد الله وحــده لا بد من أن تتجه إليه ، هذه الآية تترك صدى طيباٍ جـــدا فــي نفــس المؤمن ، ما يفتح الله للناس من رحمة فلا مرســـل لـــها ، علاقتــك محصورة مع الله عز وجل ، ما سوى الله أشـــباح ، لا تســتطيع أن تقدم أو أن تؤخر ، بل ما قولكم ، إن النبي عليه الصلاة والسلام وهو سيد الخلق وحبيب الحق وهو النبي الرسول الذي يُوحَى إليه ، وهــو أكرم الخلق على الله قال الله تعالى له : " قل لهم يا محمد : " لا أملــك لنفسي نَفعا ولا ضَرًا " ، فإذا كان النبي عليه الصـــلاة والســـلام ، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فكيف يملك لغيره ؟؟!! الله هو الفتاح .

هناك كلمة يرددها السلف الصالح كلما التقوا بإنســـان متوثــب متفتح مقبل ، يقولون : فتح الله عليك فتوح العارفين " ومعناهــا : الله

يفتح لك بابُ رزق ، الله يفتح لك باب علم ، الله يفتح لك باب كشف ، الله يفتح لك باب قرب ، الله يفتح لك باب رقي ، الله هو الفتاح !!! .

الفتاح له معنى آخر مستنبط من قوله تعالى في سورة الأعراف :

قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا ۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا ۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾

أحيانا الأمور تشتبك ، قوى تتصارع ، فلان يدَّعي أنه على حق فلان يكيل التهم للآخرين بغير حساب ، فيكيل له الآخرون الصاع صاعين ، فمن هو الحكَم ؟ من عنده قول الحق ؟ من الذي يعرف حقيقة هذا الإنسان بالضبط هو الله عز وجل،فمعنى الفتح هنا معنى آخر هو الحُكم بين متنازعين " ربنا افتح بيننا " .

و الآن : ما علاقتك بهذا المعنى من هذا الاسم ؟ يعني إن كنت على حق لا تخف لأن الله هو الفتاح ، قد يقول الناس عنك الأقاويل ، قد يتهمونك بتهم لا أساس لها من الصحة ، إذا كنت على حق لا تخف ، ولا تنس قوله تعالى في سورة النمل :

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾

و في سورة الأنعام:

﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾

فإذا آمنت أن الله – وهو الفتاح – هو الحكَم هو الذي يرفع ويخفض هو الذي يكشف الحقائق هو الذي يجلي الأمور ، هو الذي يزيل الالتباس هو الله عز وجل ، فلا تقلق ، ولو أن الناس أساؤوا فهمك ، لو أن الناس أساؤوا الظن بك ، لو أنهم اتهموك تهم باطلة لأسباب تافهة لا تخف ،لأن : من عرَف نفسه ما ضرَّته مقالة الناس فيه .

ما الذي يُقلق الإنسان اليوم ، يقلقه أنه متمزق بين جهات عديدة تصور موظف له عشرة أصحاب عمل ، شركة فيها عشرة شركاء في معمل كبير وهو موظف عندهم ، لو أن هؤلاء الشركاء متفقون متفاهمون ، فعلى الرغم من ذلك كل شريك سيعطي هذا الموظف أمروا مناقضا للآخر ، الأول تعال ، الثاني اذهب ، الأول كن غدا في المكتب الثاني سافر ، الأول تأخر بعد الغداء ، الثاني تعال بعد الظهر واذهب باكرا ، هذا إذا كانوا متفاهمين ، فكيف إذا كانوا متخاصمين ؟؟!!! فكيف إذا كانوا شركاء متشاكسين ؟؟!! فالحياة لا تُطاق أن يكون لك فيها شركاء كثيرون .

الإنسان المشرك أو غير المؤمن أو ضعيف الإيمان حياته ممزقة بين أن يُرضي رئيسه وبين أن يرضي مرؤوسه ، و بين أن يرضي زوجته ، إن أرضى من حوله في العمل تغضب امرأته ، وإن أرضاها يغضب شركاؤه ، وإن أرضى جيرانه يغضب الله عز وجل ، وإن امتنع عن حضور هذه الحفلة أغضب أقرباءه ، حياة كلها تمزّق ، لكن المؤمن يعلم أن الفتاح هو الله ، هو الحكم ، إذن هو يُرضي جهة واحدة ويستريح ، ولا تنسوا قوله تعالى في سورة الشعراء :

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

أحد أكبر عذاب النفس أن تُشرك بالله ، أن تدعو مع الله إله آخر ، و ليس معنى أن تدعو مع الله إله آخر أن تقول هذا الفلان إله فقط ، بل أن تعامله كما تعامل الإله ، أن تعتمد عليه أن تتكل عليه ، أن تعلّق عليه الآمال ، أن تطيعه وتعصي خالق الكون ، هذا معناه أنك اتخذته إلها ، هذا هو المعنى الثالث .

وحينما يطْهُر الإنسان ، حينما تصبح سريرته سليمة ، حينما يستحق الإكرام تأتيه الدنيا وهي راغمة ، " أوحى ربك إلى الدنيا أنه من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه " ، و الحديث القدسي معروف : " يا بن آدم خلقتُ لك السماوات والأرض ولم أعي بخلقهن أفيُعييني رغيفٌ أسوقُه لك كلَّ حين ؟!! لي عليك فريضة ولك علي

رزق . فإذا خالفتني في فريضتي لم أخالفك في رزقك ، وعزتي وجلالي إن لم ترض بما قسمته لك فلأُسلِّطنَّ عليك الدنيا تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا ينالك منها إلا ما قسمته لك ولا أبالي وكنت عندي مذموما ".

إذا كنت في المستوى الذي يستحق الإكرام ، إذا سرت في موجبات رحمة الله عز وجل تأتيك الدنيا وهي راغمة لذلك هذا الحديث الذي لا أنساه :

عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

" من كانت الدنيا همَّهُ فرَّق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه
ولم يأته من الدنيا إلا ما كُتب له
ومن كانت الآخرة نيته جمع الله له أمره،
وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة " !!! .

ما تعلق أحد بحب الدنيا إلا أصيب منها بثلاث ، شغل لا ينفك عناه ، وأمل لا يُدرك منتهاه وفقر لا يُدرك غناه ، لكن المؤمن قال الله عنه في سورة هود :

وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴿٣﴾

متاع المؤمن متاع حسن ، معه راحة نفسية ، ومعه أمل بجنة عرضها السماوات والأرض ، ولكن متاع الكافر معه قلق ، معه شعور بالمستقبل المجهول ، شعور بأنه مقدم على مجهول ، ولا سيما الموت حينما قال الله عز وجل دعاء إبراهيم في سورة البقرة :

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

أجابه ربنا : " و من كفر ، فأمتّعُه قليلاً ثم أضطره إلى عذاب النار وبئس المصير " ، ما الفرق إذن بين متاع المؤمن ومتاع الكافر ؟! متاع المؤمن معه راحة نفسيةِ معه شعور أن الله عز وجل ادَّخر له شيئا في الآخرة ، أما الكافر وهو في قمة استمتاعه في الدنيا يشعر بقلق من مجهول أقله الموت ، أقله أن تُسلب منه هذه النعمة ، لذلك الدعاء الذي أدعوه أنا : " اللهم إنا نعوذ بك من عُضال الداء ومن شماتة الأعداء ومن السلب بعد العطاء" ، فأصعب شيء أن يُسلب منك شيء قد نُلته من الله عز وجل ، فالله عز وجل ، من إكرامه للمؤمن أن يجعل خير عمره آخره يتعبه في أول حياته ولكن يريحه في آخره ، أما أهل الدنيا فَيَعزُّهم في مقتبل حياتهم ثم يأتي العقاب والذل والهوان والفقر ؟ لذا يجب أن ندعو الله بهذا الدعاء :

للهم اجعل خير عمرنا آخره وخير أيامنا يوم نلقاك ، ونسـألك أن نلقاك وأنت راض عنا ".

﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾

سورة الأنعام

الآن ما علاقتك بهذا الاسم ، هذه الآية إذا فهمتها كما أراد الله عز وجل ، فلو أنه قال ومفاتح الغيب عنده ، هل حدث شيء ، هو قال وعنده مفاتح الغيب ، هل يستفاد معنى دقيق جدا من تقديم كلمة عنده ، لو قال ومفاتح الغيب عنده فقد تكون عند غيزه أيضا ، أما إذا قال : " وعنده مفاتحُ الغيب " فالتقديم فيه قَصر ، فالغيب لا يعلمه إلا الله .لذلك هذه الآية إذا فهمتها فإنك تكذِّب الدجالين ، والكهان والسحرة والمنجمين و الأفاكين ، تسمع الآن في كل بلد متقدم جدا أن هناك فلكي أو عراف يأتيه كبار الشخصيات يسألونه عن مستقبلهم المالي مثلا ، أو الإداري أو السياسي ، فلو قرؤوا هذه الآية لامتنعوا عنهم وعلموا كذبهم .

و لكننا لا يجب أن نكذِّب بعض الناس كالطبيب مثلاً لأن الغيب لا يعلمه إلا الله . فلو قال الطبيب لم يعد هناك أمل في شفاء المريض ، فلا تصدق ، لأن الطبيب كما قال الشاعر :

إن الطبيب له علمٌ يُدل بـــه ... إن كان للناس في الآجال تأخير

حتى إذا ما انتهت أيام رحلته ... حار الطبيب وخانته العقاقيـــر

أذكر طبيبا قال لأهل مريـــض : " بعـــد أربـــع ســـاعات تنتـــهي حياته " ، فاشترى أهله السواد وكتبوا النعي ، ثـــم شـــفاه الله عـــز وجل !!! هذا الإنسان عاش ثلاثين سنة والطبيب مـــات بعـــد اثنـــي عشر عاما .

فالإنسان بحسب علمه ، أما ما سيكون فـــلا يعلمـــه إلا الله عـــز وجل ، لأن عنده مفاتح الغيب . فمثلا : هناك بلاد آمنة مطمئنة ، بـــها رخاء : مال ، بترول ، غِنىً ، من يصدق أنها تلتهب في الحرب ؟! لم يكن في الحسبان .

لبنان في عام ١٩٧٤ كانت جنة الله في الأرض ، الأمن والرخـــاء والبذخ والترف ، كل ما في العالم كان في هذا البلد ، من يصدق ؟!!! الذين زاروها الآن وجدوها قاعـــاً صفصفـــا لا تـــرى فيـــها عِوَجـــاً ولا أمتا !!! .... " و عنده مفاتح الغيب " .

هناك تفسيرات إلهية لـــهذه الآيـــة ، نحـــن نفـــهم التفســـيرات الأرضية ، على أن السبب هو صراع ، أو حرب أهليـــة ، أو مشـــكلة عربية ، دولية ، و هناك تفسير نســـائي لأحـــداث لبنـــان ، قلـــن : " أصابها عين " !!! . و لكن هناك فهما دينيا آخر ، قـــال الله تعـــالى

في سورة النحل : ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون " (١١٢) دائما إعتمد التفسير القرآني للأحداث !!! .

و مجرد أن تسأل إنسانا عن الغيب فأنت لا تعرف الله ومجرد أن تطرح سؤالا على كاهن تأكد أنك لا تعرف الله ، والدليل قوله عليه الصلاة والسلام : " من أتى كاهنا فصدّقه فقد كفر بما أُنزل على محمد " يكون كافراً بهذا القرآن لأن الله عز وجل قال في سورة الأنعام :

قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾

و في سورة الأعراف :

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾

وفي سورة الجن :

﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾

هذه الآية خطيرة جدا ، فلو قرأت مقالة تتحدث عن تنبؤات عام كذا ، أو الأعوام الميلادية مثل هذه المقالات لا ينبغي أن تُقرأ لأنه " وعندَه مفاتحُ الغيب لا يعلمها إلا هو " ... إلا إذا كان تنبوءاً لا من باب الجزم بل من باب التوقع ، كالتوقعات الاقتصادية مثلاً إنه احتمال أن العالم مقبل على أزمة معينة مقبل على كذا ، ولكن عنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ، هذه الآية إذا فهمتها استرحت .

قالوا " ما مضى فات ، والمؤمَّل غيب ، ولك الساعة التي أنت فيها " أنت لا تملك إلا وقتك الحاضر ، في هذا الوقت بالذات بإمكانك أن تتوب .

كانت تحضر عندنا في الجامع أخت كريمة ، في جامع النابلسي ، منذ ستة عشر عاما ، ولها صهر بعيد عن الدين بعدا شديدا ، بل إنه ينكر وجود الله عز وجل ، فكانت تدعو ابنتها أن تدعو زوجها لهذا الدرس فسمعت أنها دعته أكثر من عامين ، أن يحضر ولو درسا واحدا ، قال مرة دخلت ابنتها على الدرس ففرحت فرحا شديدا ، قالت لها زوجك معك قالت نعم ، كادت لا تصدق ، هذا الرجل حضر درسين

وبعدها أصابته أزمة قلبية ، ونقل إلى المستشفى على شكل إسعاف ، وهو على الحمالة ، قال لأولاده الذين رباهم على شاكلته : على أنه لا يوجد إله : " كل شيء قلته لكم في الماضي باطل ، و الحق هو ما جاء في القرآن " ... لا أنسى هذه الكلمات !!!! نرجو الله أن يقبله .

ما مضى فات والمؤمل غيب ولك الساعة التي أنت فيها ، لماذا قال بعض العلماء إن الحج يجب أن يؤدَّى على الفور ؟!! لأن الإنسان لا يعرف متى يموت ، ما دام الحج فرضا على المستطيع ، فحينما تصبح مستطيعا يجب أن تحج ، لأن العمر ليس بيدك ، فعن ابن عباس أنه قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجَّلوا إلى الحج (يعني الفريضة) فإن أحدكم لا يدري ما يعرض له " .

و نعود لاسم الله الفتاح ، قال الله تعالى : في سورة سبأ :

قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾

كلمة فتح باللغة تعني أن هناك شيء مغلق ، فهل تقول لإنسان افتح هذا الباب وهو مفتوح ؟!!إذن أنت لا تقول افتح إلا لما هو مغلق ، فكل شيء أُغلق في وجهك يجب أن تذكر اسم الفتاح ، حتى لو ضاعت مفاتيحك ، لو ضاعت محفظتك ، لو ضاع شيء ثمين ، أو أغلق عليك مكان .

حدثني أخ قال كنت ذاهبا إلى ميناء اللاذقية لتخليص بضاعـــة . ومعي مستندات كثيرة جداً لتخليص بضاعة من الميناء ، وضعتها في محفظة ، وذهبت إلى الكرنك لأركب ، بحثت عن هذه المحفظـــة فلـم أجدها ، أقسم بالله أن الدم جف في عروقـــي ، و اصفـرَّ وجـــهي ، إنها بضائع بالملايين له ولزملائه ، قال وقفت على مدخـــل الكرنـــك وأدعو : " يا فتاح " !!! ، قال وقفت ساعة كاملة على هــذا الحـــال ، وألغيت سفري ، فما عدت أذكر السيارة التي أقلتني إلى الكرنك ، ثـــم بدعاء فيه إلحاح وتضرُّع ، وقفت أمامي سيارة ، فقلـــت للســائق : " اذهب لا أريد الركوب " ، فقال لي السائق : " ألستَ الذي ركب معـي قبل قليل ؟! " ، ثم قال لـــه : " أليســت هــذه محفظتـــك ؟!!! فقلـــت بلى !!!! فببركة الدعاء ، عادت المحفظة ، هو لـــم يعـد يتذكـر أي سيارة ركب ، والسائق بيد الله عز وّجل ، فإذا أراد الله عز وجـــل أن يعيدها ألهم السائق أن يعود ، أو ألقَى عطفا في قلبه ، أو ألقى خوفـا من الله .

فإذا آمنت بالفتاح فكل شيء مغلق عليك تقول يا فتاح يا عليـــم ، ولكن ليس قول بلا معنى كقول بعض العوام حين يكون متبرمـــاً مـــن إنسان فيقول له : " يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم " ، ليس هذا هـو المقصود !!! فمع الأسف الشديد هذه الكلمات الدينيـــة الراقيـــة الآن

تستخدم استخداما آخر ، فإذا غضب أو ضجر يقول أشهد أن لا إلـــه إلا الله !!! متى يتشهد ؟ أحينما يغضب ؟!!! .

و إذا رأى إنسانا يغضب يقول له : " صلِّ على النبـــيِ " ، وفـــي غضبه قد يسب النبي صلى الله عليه وسلم والعياذ بالله ، فــإذا كــان أمامك رجل يغلي غضبا فلا تقـــل لـــه صــل علــى النبــي ، إلا إذا كان مؤمنا ، فإن كان مؤمنا يقول لك اللهم صل على النبي، و يــــهدأ فعلا .

فقولك : " يا فتاح " يعني يا فاتح ما أغلق ، افتح مغـــلاق هـــذا الأمر كأن حاجة ، تحتاج واسطة لوظيفة وأنت ليس لــــك واســطة ، تقول : " يا فتاح افتح لي قلب فلان " ، أو ألقِ في قلبه عطفــا علـــي " أو ألقِ في قلبه تفهما لي ، أو ألقِ في قلبه إنصافا " ... وهكذا .

و من ذلك قوله تعالى في سورة القمر :"فَفتحنا أبوابَ الســـماءِ بماءٍ مُنهمِرٍ " (١١)

معناها أن الأبواب كانت مغلقة ، يقولون في النشـــرة الجويـــة : منخفض متمركز في قبرص اتجاهه إلى القطر ، توقع هطول أمطـــار غزيرة ، تتلبد السماء بالغيوم ولا تنزل أمطار ، مـــرة ثانيـــة ، بعـــد يومين ، توقُّع هطول أمطار ، أول جمعة ثاني جمعة ، وثالث جمعــــة ورابع جمعة مضى أيلول تشرين ثاني لم ينزل أمطار ، فهي لا تـــنزل إلا بإذن الله !!!! توقع هطول ، فالسماء مغلقة ومفتاحها بيد الله عـــز

وجل ، والفتح في الحرب معناه الظَفر . فالبلاد المفتوحة كانت مغلقة محصنة ، بجيوش ، وقوى ، ثم فتحت للمسلمين ، و أصبحت بلادا إسلامية !! .

إذن من معاني الفتاح : هو الحاكم بين الخلق ، لأنه كلما استغلق أمر خلافي بينهم يفتحه الله عز وجل .

عندنا شيء آخر ، هناك فتح لكبار المؤمنين ، أي أن المؤمن أحيانا يفتح الله عليه يُلقي في قلبه نورا ، يلقي في قلبه معرفة ، يسميها بعض العلماء الكَشْف ، أي يكشف الله عن بصيرته ، فيرى الحق حقا والباطل باطلا ، يسميها علماء آخرون الإراءة ، كما جاء في قول الله تعالى في سورة الأنعام :

وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾

أحيانا تشعر أنك لم تكن ترى فأصبحت ترى ، رؤيا قلبية ، أحيانا يرى الإنسان أن الكذب أو الغش أو الخداع يُربحه ويظن نفسه ذكياً !!! هذا أعمى البصيرة ، إلى أن يرى أن الصدق وحده هو الذي ينجيه ، فهذه رؤيا قلبية ، أو يرى أن الاستقامة في الحياة هي سبب الكرامة ، هذه رؤيا ، فما هو الفتح بالمعنى الجديد ؟؟؟!!!! أن يفتح الله على بصيرتك ، أن يكشف الله على بصيرتك ، أن يجعل بصيرتك صافية ترى بها الخير خيرا والشر شرا .

إذن بعض العلماء قالوا : " الفتاح الذي فتح قلوب المؤمنين بمعرفته ، وفتح على العاصين أبواب مغفرته :

فإن كان عاصيا فالله عز وجل يفتح له باب المغفرة ،

وإن كان مؤمنا يفتح له باب معرفته !!!! .

أنت إذا سألت نفسك قبل خمس سنوات هل أنت في نفس المستوى أم شعرت أن لك رؤية جديدة لك بصيرة نافذة ، لك إدراك أعمق ، لك قيم أمتن ، هذا هو الفتح !!! كلما كشف لك بعض الحقائق فتح عليك ، إلى أن يفتح عليك الفتح المبين الذي لا معصية بعده !! .

المؤمنون يتفاوتون باليقظة والغفلة ، فهناك مؤمن أغلب وقته في غفلة ، هو مؤمن بالله ولكن في غفلة !!! أما المؤمن الأرقى ، فأكثر وقته مع الله عز وجل ، دائما يدعوه ، يستعيذ به ، يرجوه ، يهتدي بهديه ، يستلهمه ، والله عز وجل يتجلى على قلبه ، يُلقي في قلبه نورا يُلقي في قلبه معرفة ، هذا معنى الفتح .

فالفتح يستخدمه العلماء كثيرا ، يقولون : " فتح الله عليك ، أو جاءه الفتح " كما في قول الله تعالى في سورة النصر : " إذا جاء نصرُ اللهِ والفتح " .

الله عز وجل فتح للنبي مكه المكرمة ، فتح له دخل النـــاس فـــي دين الله أفواجا .

و قيل الفتاح الذي . يعينك في الشدة و يرفعك في الرخاء !!! .

بعضهم قال الفتاح هو الذي يفتح أبواب الخـــير علـــى عبـــاده ، ويسهل عليهم ما كان صعبا ، هذا الفتح يكون تارة في أمور الديـــن ، كأن يقرأ المؤمن كتاباً ولا يفهمه،و بعد حين يفتح الله على قلبه فيقرأ ويفهم ، يقرأ ويتعمق ، يقرأ ويستمتع ، يقرأ ويحفظ ، يقرأ ويتكلـــم ، ويُجري الله الحكمة على لسانه ، وأحياناً يحـــدث هـــذا مـــع القـــرآن الكريم ، أو الحديث الشريف .

إذن الله هو الفتاح ، يفتح عليك أبواب العلم ، يفتح أبواب لسانك بالحكمة ، فإذا أخلصت لله أنطق الله لسانك بالحكمة .

أول أنواع الفتح يفتح عليك في أمور الدين وهو العلم ، ويفتـــح عليك في أمور الدنيا ، تكون فقيرا فيغنيك ، تكون ضعيفا فيقويـــك ، تكون مظلوما فينصرك على أعدائك ، تكون مكروبا فيزيل هذه الكربـة ويحل محلها الفرحة ، لذلك فالإنسان إذا كان بعيدا عن الله عز وجـــل لا يمكن أن يسعد ، قال الله تعالى في سورة طه : " ومن أعرضَ عـــن ذِكري فإنَّ لهُ معيشةً ضنْكا ونحشُرُهُ يومَ القيامةِ أعمى " (١٢٤) .

و لك أن تسأل أهل الدنيا ، و أصحاب مئات الملايين ، سل من يملكون ألوف الملايين ، ومن أوتي قوة لا حدود لها ، أستحلفكم بالله ، سَلوهم عن الانقباض الذي يشعرون به ، و قد يقولون نحن أشقى الناس !!! .

فماذا يعني فتاح هنا ؟! أي يفتح لك باب الأنس به ، يفتح لك باب الإقبال عليه يفتح لك باب الرضوان ، يفتح على قلبك باب الرِّضَى ، فترضى بالقليل ، تكون ساكنا في بيت غرفة ونصف تحت الأرض ، تقول الحمد لله ، بينما نرى رجلاً بيته خمسمائة متر ، ثمنه ثلاثون مليون ليرة ، يقول لك السوق مسموم ، هذه السنة خسران كذا مليون ، يعني خف ربحه كذا مليون عنده مال إلى ولد ولده ، تراه مهموماً ، أما الفقير فقد فتح الله عليه باب الرضى ، فتح الله عليه باب السكينة ، وباب الشكر ، يقول : " الصحة طيبة و الحمد لله ، أنا أسعد الناس " ، وهذا الذي ما عرف الله عز وجل دائما في ضيق في ضنك في سخط على الله عز وجل والعياذ بالله .

إذن يفتح لك باب الدين بفتح العلم على قلبك ، أو يفتح لك باب الدنيا إن كنت فقيرا فيفتح لك باب الغنى ، إن كنت ضعيفا يفتح عليك

باب القوة إن كنت مريضا يفتح عليك باب الصحة ، إن كنت مكروبـا يفتح عليك باب الفرحة . قال بعض الشعراء :

يا فاتحا لي كل باب مرتج (" المرتج أي المغلق ") إنـــي لعفــو منك عني مرتج !! .

قيل الفتاح هو الذي يفتح على النفوس بـــاب توفيقــه ، يجــب أن تعلم أن في القرآن آية واحدة لا ثاني لها ، وهـــي قولــه تعــالى في سورة هود : " و ما توفيقـــي إلا بـــالله ،عليـــه توكّلــتُ وإليــه أُنيب " (٨٨) .

قال بعض العلماء " لا يمكن أن يحدث شيء في الكون إلا بتوفيق الله تعالى " فحينما اخترعوا المركبة الفضائية " challenger " أي المُتَحدّي ، أرادوا أن يجربوا تجربة فريدة ، أن يخرج إلـــى الفضـــاء الخارجي في تسعة أشهر أو سنة ،وبه سبعة رجـــال وامـــرأة كـــي تنجب المرأة وهي فـــي الفضـــاء ، وأعـــدوا لكـــل شـــيء عدتـــه ، ولكل جهاز جهازان ، وقد ضُبط الجهاز بعــــد تنـــازلي دقيـــق جـــدا وأُطلقت المركبة إلى الفضاء ... هذه المركبة التي سماها أهل الدنيـــا المتحدّي ، أصبحت – بعد سبعين ثانية – كتلة من اللهب ، فالله مـــا فتح عليهم ، أي أغلق عليهم باب التوفيق ، فلذلك " وما توفيقـــي إلا بالله " .

فإذا فتحت محلا تجاريا ، أو أسست معملا ، أو أسست مدرسة ، إن أزمعت الزواج ، فقل : " يا فتاح " ، ولا تقُل أنا خبير سأستخدم كل خبرتي سأستشير ، سأسأل محاميا .

أعرف رجلا ، كان متبرما دائما ، مشمئزا دائما ، جمع و طرح وضرب فوجد أنه إذا باع معمله ، وبيته ، ومحله التجاري في منطقة الحريقة بكذا مليون ، ويضعها في بنك في أوربا بفائدة قدرها ثمانية عشر بالمائة ، ثم يعيش ملكا في أوروبا ، وقام بتنفيذ الخطة ، فباع المحل وباع المعمل وباع البيت وباع السيارة ، ثم أخذ تأشيرة خروج ، وذهب إلى أرقى بلد في العالم بالسويد ، في باله أن يضع الأموال بالبنك ويشتري بجزء منها بيت وسيارة فخمة ، ثم يعيش على فوائد المبلغ في بحبوحة ، كيف ؟ إن وضع المبلغ في البنك يحتاج إلى وثيقة معينة ، والمبلغ كبير جدا فوضعه باسم آخر ، إما قريب أو صديق هناك ، وفي اليوم التالي سأل هذا الصديق أن يعطيه المبلغ فقال له من أنت ؟!! أنا لا أعرفك !!! .

كل ثروته ضاعت بساعات ، لتأمين وثيقة معينة ، فأين الذكاء ؟! هذه القصة أبقها في بالك ، مع الله لا ينفع ذكاء ، وما توفيقي إلا بالله " لن يقع شيء إلا بأمر الله .

لا ينفع حذر مِن قدر ... ولكن ينفع الدعاء مما نزل ومما لم ينزل !!!

__علاقتك بهذا الدرس :__

١- أن تسعى جاهدا بالطاعات كي يفتح الله على قلبك باب العلم .

٢- أن تفتح أنت على العباد باب خيراتك ... لا تكن قابضا ، بل كُن باسطا .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الحديد

اللطيف

أيها الإخوة المؤمنون الاسم اليوم هو اللطيف ، وقبل أن نبـــدأ بتعريف هذا الأسم لابد من مقدمة قصيرة :

إن شرف العلم من شرف المَعلوم ، وهذه الحقيقة أكررها كثيرا في كتابي ، فإذا درستَ موضوعا حقيرا أو تافها أو ســـخيفا ، فـــهذه الدراسة ، وتلك التمحيصات والتحقيقات والمتابعات بجملتها ســخيفة، لماذا؟ لأنّ الموضوع تافه ؛ فكلما شَرُف الموضوع شَرُف العلم .

و السؤال المُلِح دائما هو : هل يُوازَن خالق مع مخلـــوق ؟! أو قديم مع حديث ؟ أو كامل كمالا مطلقــا مــع نــاقص ؟ لا . وحينمــا يتعرف المرء إلى أسماء الله الحسنى فإنه يتعرف إلى خالق الكـــون ، وقد يسأل سائل وما علاقتي بأسماء الله الحسنى ؟ فأقول : الجـــواب أتى به رسول الله عليه الصلاة والسلام حين قال : " تخلّقوا بـــأخلاق الله " .

قال تعالى :

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ

(سورة البقرة آية ٣٠)

فأنت أيها الإنسان خليفة الله في الأرض ، ولن تحقق هذه الخلافة إلاّ إذا تخلّقت بأخلاق الله عز وجل ، فإذا عرفنا جانبا من أسماء الله الحسنى فينبغي أن نتساءل وما ما حظ المؤمن من معرفة هذا الاسم ؟ وما حظه من معرفة اسم العزيز ؟ أقول : حظه أن يكون عزيزا ، وابتغوا يا عباد الله العِزَّة عند الله .

عنْ حُذيفة قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليْه وسلّم " لا ينْبغي للْمؤْمن أنْ يُذِلّ نفْسه قالوا وكيْف يُذلّ نفْسه ؟ قال يتعرّض من الْبلاء لما لا يطيق " .

أخرجه الترمذي و ابن ماجة وأحمد

وإننا في الصفحات التالية نطوف حول اسم اللطيف ، والحقيقة التي أتمنى أن تكون واضحة في الأذهان ؛ هي أن هذا الكون كله في أصل خلقه خُلِقَ وسُخِّر للإنسان تسخيرين : تسخير تعريف، وتسخير تكريم ، فالمرء قد يشرب الماء ، فيروى العروق ويلتذ به الجسم ، ولكن هذا الماء خُلق لهدف أكبر من أن تشربه ، خُلِق لكي تعرف الله من خلاله ، فمن جعل الماء لا لون له ولا طعم ولا رائحة ؟!! ومن جعله ذا خاصية عالية في النفاذ ؟ ومن جعله يتبخر في درجة منخفضة جدا أي في الدرجة الرابعة عشرة ؟ ومن جعله يُحل المواد الكثيرة ؟ ومن جعله قِوام الخلية الحية ؟ ....إلخ .

فإذا عرفت أيها الإنسان الله من خلال الماء فقد حققت الهدف الكبير من خلْق الماء أما إذا شربت كأس الماء وارتويت به ثم أغلقت دون عقلك الأبواب فقد حقَّقتَ الهدف الصغير ؛ فالهدف الكبير هو أن تعرف الله من خلال الماء و الهواء والطعام ، وأن تعرفه من خلال نفسك التي بين جنبيك ، وأن تعرفه من خلال ابنك ، ومن خلال كل شيء حولك ، هذا كله بيَّنه النبي عليه الصلاة والسلام في حديث موجز قصير جامع مانع ، حينما رأى الهلال : حدّثنا قتادة أنّه بلغه أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم كان إذا رأى الْهلال قال : " هِلال خيْرٍ ورُشْد ، آمنْتُ بالّذي خلقك " (ثلاث مرّات) ثمّ يقول : الْحمْد للّه الّذي ذهب بشهْر كذا وجاء بشهْر كذا * .

أخرجه أبو داود

إذا وقفت عزيزي القارئ أمام بائع أزهار وتأملت جمال الله عز وجل ، من خلال جمال الزهرة وتأملت هذه الرائحة الفواحة العطرة ، ورأيت في الزهرة تناسق الألوان وأنت تعلم علم اليقين أن هذا الزهو لا يؤكل ، وإنما خُلق خصيصا لإمتاع عينك وأنفك ، إذن هذا من إكرام الله عز وجل لك ، وإذا عرفتَه شكرتَه وعظَّمتَه .

لو قرأت كتابا عن العسل وتملّكك العَجَب العُجاب من هذه النحلة : تلك الحشرة الاجتماعية ، ذات النظام البديع ، في مجتمعها الذي هو أرقى من المجتمعات البشرية ـ وهذا كلام علمي ـ فأي

مجتمع بشري ديموقراطي ، يعرف فيه كل مواطن ما له وما عليه ، من حقوق وواجبات !! إن النظام لدى مجتمع النحل دقيق جدا ، إذ لا ترقى إليه التنظيمات البشرية .فكل شيء في وقته وموقعه ومكانه وزمانه ، وأرقى المجتمعات البشرية لا ترقى إلى مستوى النظام الاجتماعي عند النحل والنمل .

أجل ، إذا قرأت كتابا عن النحل ، وشعرت أن الخالق جلّ وعلا أبدع في خلق النحل ، فأدركك الخشوع وربما انهمرت عينك بالدموع ، فأنت حققت الهدف الأكبر من خلق النحل ولو لم يكن دخلك يسمح أن تشتري شيئا من العسل ، بينما الذي أكل العسل حتى امتلأت خلاياه منه ولم يفكر في هذه المادة التي أكرم الله بها الإنسان يكون قد عطّل الهدف الأكبر واستفاد من الهدف الأصغر .

إذن : اتفقنا على أن الكون مَظهر لأسماء الله الحسنى .. ومادمنا نطوف حول اسم اللطيف ، فهل ترى في الكون ما يدل على أنه لطيف ؟ .. نعم فالهواء يحيط بنا من كل جانب ، نستنشقه ، ولو حركناه لشعرنا بوجوده ، هذا الهواء يحمل طائرة وزنها ثلاثمائة وخمسون طنا : منها مائة وخمسون هيكل الطائرة ، ومائة وخمسون الوقود ، وخمسون الركاب مع الحاجات ؛ فالهواء يحمل ثلاثمائة وخمسين طنا فهو إذن شيء عجيب جدا .

و حينما تدخل المركبة الفضائية في الغلاف الجوي تصبح كتلة من اللهب لاحتكاكها به ، ومع ذلك إذا كنت على سطح الأرض فالهواء لا يُرى وليس له صوت إذا كان ساكنا ، فهو موجود وكأنه غير موجود فلا يحجب الرؤية ، وترى أخاك من خلاله ، وتسمع صوته ، إذن الهواء لطيف ، وربنا عز وجل يقول :

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾

(سورة الشورى)

أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾

(سورة الملك)

اسم اللطيف له معان كثيرة ، أحد هذه المعاني أن الشيء الصغير الذي لا يُحس به لصِغَره يسمى لطيفا ، يعني مثلا أنت بين يديك جهاز راديو ، أدر مؤشره إلى إذاعة من الإذاعات، تستمع إلى نشرة الأخبار ، فالكلام أين هو ؟ إنه موجود في الجو المحيط ، وبهذا الجهاز اللاقط التقطها ، فهل تستطيع أن ترى بعينك موجات الإذاعة ؟ لا تراها بعينك ، ولا تسمعها من دون جهاز استقبال ؟ وهل لها وزن ؟ لا ، وهل لها رائحة ؟ لا ، إذن موجات الإرسال لطيفة ، وموجودة ، والدليل استماعك للجهاز الذي بين يديك ، فإذا أزحت عنك الجهاز فإنك لا تسمع شيئا، إذن هذا الإرسال موجود ولكن بلطف ، وسأقرّب الأمثلة لأفهام القراء الكرام :

الإرسال موجود لكن بلطف ، والهواء موجود لكن بلطف ، أما الهواء إذا تحرّك بسرعة تزيد عن ثمانمائة كيلو متر في الساعة ، فيصبح إعصاراً لا يُبقي شيئا على سطح الأرض ، وقد قرأتُ عنه في أمريكا بأن إنسانا هناك يسكن في فيلّا ، أي دار فخمة جدا ، وله سيارة من الوزن الثقيل وأصاب هذه المدينة إعصار ، فعثر على محرك سيارته بعد خمسة كيلو مترات من داره ، ولم يجد لا للدار ولا للمركبة أي أثر ، وهذا نتيجة حركة الهواء ! أما إذا سكن الهواء فهو لطيف جدا ، إذ لا تراه بعينك ، وليس له رائحة ، ولا صوت ولا حس .

إذن معنى اللطيف بالمعنى اللغوي : هو الشيء الصغير الذي لا يُحس به لصغره ، و هذا الشيء الصغير الذي لا يحس به لصغره يسمى لطيفا ، وهذا الماء ، لو أخذت منه نقطة ووضعتها تحت المجهر ، وكبّرت النقطة مئات المرات لرأيت فيها عشرات بل مئات بل ألوف الكائنات الحية ، بينما يبدو أمامك ماء صافيا عذبا فراتا رائقا . لكن الكائنات التي فيه غير ضارة ، وهي كائنات لطيفة ، وما معنى لطيفة ؟ أي هي من الصغر بحيث لا تراها من لطفها ، فهذا معنى من معاني لطيف .

والكائنات الحية في هذا الماء لطيفة ، وإذا قلنا الله لطيف بعباده ، فالله عز وجل معك يسمع صوتك ، ويعلم ما في قلبك ، و ما

في رأسك من أفكار من وطموحات ، و صراعات ، و آراء ، ومعتقدات ، و تصورات و تخيلات ، ويعلم ما في قلبك من هموم و متاعب وآلام و ضغوط من خوف ومن قلق ، ومع ذلك وجوده معك ليس ثقيلا ، تصوّر لو أن إنسانا لازم إنسانا .. جلس فجلس معه ، مشى فمشى معه ، دخل إلى بيته فدخل معه، أكل فأكل معه ، فإن بقي يلازمه خمسة أو ستة أيام يخرج من جلده ، ويقول له صائحا : إليك عني ، انصرف بعيدا ، وقد رأينا أنه لم يتكلم بأية كلمة ، ولم ينتقد ، ولم يعترض ، ولم يطلب منك مطلبا ما ؛ إن ذلك الشخص بملازمته لك عبء عليك ، لكنك تعلم أن الله معك دائما، ولكن لا تحس بوجوده ، فوجوده غير ثقيل عليك قال تعالى :

وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾

(سورة الحديد)

مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾

(سورة المجادلة)

أي أن الله عز وجل من اللطف بحيث لا تراه ولا تسمعه ولكن تراه بعقلك ، وهذا أحد المعاني لكلمة لطيف ، لهذا جاء في الحديث الصحيح :

عنْ أبي هريرة قال كان النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم بارزا يوْمــا للنّاس فأتاه جبْريل فقال ما الإيمان؟ قال : الإيمــان أنْ تؤْمــن باللّــه وملائكته وكتبه وبلقائه ورسله وتؤْمن بالْبعْث ، قال : ما الإسْــلام ؟ قال : الإسْلام أنْ تعْبد اللّه ولا تشْرك به شيْئا وتقيم الصّلاة وتــؤدّي الزّكاة الْمفْروضة وتصوم رمضان ، قال : ما الإحْســان ؟ قــال : أنْ تعْبد اللّه كأنّك تراه فإنْ لمْ تكنْ تراه فإنّه يراك " .

اللهم اجعلنا نخشاك حتى كأنا نراك .

إذن : المعنى الأول أن الشيء الصغير الذي لا يحس به ، لدقــة صغره يسمى لطيفا ، ولما كان الله ســبحانه وتعــالى منزّهــا عــن الجسمية ليس بجسم ولا صورة ولا متبعّض ولا متجزّئ ولا متحــيّز وكل ما خطر ببالك فالله خلاف ذلك ، لا يُسأل عنه ؛ متى كان ؟ لأنــه خالق الزمان ولا أين هو ؟ لأنه خالق المكان ، فالله عز وجل مــنزّه عن الجسمية والتحيز والجهة . أين الله ؟ هنا فوق ، يميــن ، وراء ، يسار ، أمام ، في كل مكان مع كل شيء ، لكن لا كشيء في شــيء ، محيط بكل شيء علما مع كل شيء وفوق كل شيء وإلى جانب كــل شيء ولكن لا يجوز أن تشير إليه بجهــة ، ولا أن تنســب إلــى الله الجهة ولا الحيز ... وما معنى الحيّز ؟ مثلا هذا الكوب يشغَل حــيّزا في الغرفة ، وله وزن وارتفاع و قُطر وقد حجز على الطاولة مكانــا ، و في الفراغ مكانا وله وزن ؛ هذا هو الحيز ، فربنا عز وجل ليــس

بمتحيز ، أي لا يشغل حيزا وليس له جهة يشار إليها وليس له مكان ولا زمان

إذن إذا قلت الله لطيف يعني الله عز وجل لا يشغل حيّزا وليس له جهة ، ولا مكان ، ولا زمان ، وليس بجسم ولا صورة ، ولا متبعّض ولا متجزّئ ولا متحيّز ، إلى آخر هذا التعريف .

ولما كان الله منزّها عن الجسميّة والجهة لم يُحس به ، فهو لطيف بمعنى أنه غير محسوس، فهذا الاسم من صفات التنزيه أي سبحانه ، وتنزّه عن أن يكون له جسم ، أو أن يكون متحيّزا ، أو أن يشغل مكانا ، سبحانه أن يحيط به زمان ، سبحانه .

إذن : اسم اللطيف من أسماء التنزيه ، فهو معك لكن بلا شعور ، لا تدركه الأبصار لأنه لطيف وهو يدرك الأبصار ، رآك ، والدليل الصارخ : مع كل واحد منكم دليل .

و أحيانا تعمل عملا لا يُرضي الله فتُحاسَب عليه بعد قليل حسابا عسيرا ؛ لأنه رآك ، وأحيانا تفكر في عمل لا يُرضي الله ، تجد الله عز وجل قد عاقبك ، لأنه علم ما في نفسك ، إنه لطيف لا تحس بوجوده ، فوجوده ليس ثقيلا عليك ، لكنه موجود ، يحول بين المرء وقلبه ، ويعلم السر وأخفى ، و معنى كلمة " و أخفى " : أي وعلم ما لم يكن لو كان ، وكيف كان ويكون فإن كان دخلك ثلاثة آلاف في الشهر وأنت مستقيم ، فيبارك الله لك فيه ، أمّا هناك من دخله

يساوي عشرين ألفا ، دونما استقامة ولا تقوى ، أو قل إن دخله مائة ألف في الشهر فلا يكفيه ، إنه يعلم لِمَ و كيف ، و ماذا ، و عَـــلامَ ، و هذه أحوالك أيها الإنسان فيعلم الله دون أن تراه ، فـــالله لطيــف ، و لطيف اسم تنزيه ، و في الوقت نفسه لطيف لكنه موجــود معــك ، فخواطــرك و مشــاعرك و أحاسيســك و طموحــاتك و صراعـــاتك و آلامك ، وضيق نفسك كله معروف عنده لكن مـــن دون أن تشــعر به .

إن المؤمن ما دام يعبد الله وكأنّ الله يراه فإنه يكون متأدِّبا حتـــى ولو كان وحده ، وهو لا يرى الله بعينه لكنه يراه بعقلـــه ، وصحيـــح كلام العوام الذي يقال كل يوم " يا أخي الله ما انشاف لكـــن بـــالعقل انعرف " فالمؤمنون وهم في فُرُشهم يتأدبون مـــع الله عـــز وجـــل ، ويحب أن تكون حركتهم كلها أدبا ، حتـــى إذا دخلـــوا الخـــلاء فلـــه دعاؤه .

وفي الحديث القدسي : " يا موسى أتحـــب أن أكـــون جليســـك ، فصُعق ثم قال : وكيف هذا يا رب ، قال : أما علمت أنني جليس مـــن ذَكَرني وحيثما التمسني عبدي وجدني ؟ " .

و بعد ، فكم من مُصلٍ يقول : سمع الله لمن حمده ، فهل عرفـــت معناها ، يعني يا عبدي أنا أسمعك ، فاحمدني ؛ فإن قلت : ســـمع الله لمن حمده ، فأنا أسمعك وأصغي إليك ، .. أين هو ؟ فلذلك إذا صليـــت

فاعلم أنك بين يدي الله عز وجل ، والسيدة عائشة تقول كان النبـــي يُحَدِّثنا ونُحَدِّثه ، يجالسنا ونجالسه ، فإذا حضرت الصـــلاة فكأنـــه لا يعرفنا ولا نعرفه ، وهذا ما يجب أن يكون عليه كل مسلم .

ترى الإنسان يعتني بمظهره عناية مطلقـــة إذا دُعـــي لمقابلـــة مسؤول مثلا وهو إنسان مثله ، يمـــوت ويجـــوع ويعطـــش ويتعـــب ويغضب فكيف إذا وقف بين يدي الواحد الديّـــان ؟!!! فليعلـــم أن الله لطيف ، أي موجود ولكن وجوده لطيف وليس ثقيلا ، هـــذا المعنـــى الأول .

المعنى الثاني : اللطيف هو العالِم بدقائق الأمـــور و غوامضـــها ويقال فلان لطيف اليد إذا كان حاذقا في صنعته ، ومُهتديا إلـــى مـــا يصعُب على غيره ، وعلى هذا التفسير يكـــون الله لطيفـــا بمعنـــى عليما .

و قد تفهم الأمر بشكل ظاهري لا بخبايـــاه ، ولا بخلفياتـــه ، ولا بتحليلاته العميقة ، ولا بالدوافع الخفية لهذا الأمر ، فالإنســـان كلمـــا ارتقى علمه يفهم البواطن ويفهم السرّ ، و مابين السطور ، بل يفـــهم الدافع الحقيقي .

أضرب مثلا بأشخاص غير مستقيمين : في أيام الشـــتاء جـــاءت صديقة زوجته ، وهو جالس في غرفة الجلوس والمدفأة مشـــتعلة ، فقال لها ولزوجته : تعالَين إلى هنا ، فهو أدفأ لكنّ ، وهل حقا أدفـــأ

لهنّ ؟ أم أن له هدف أبعد من ذلك ، أن يطّلع على هذه المرأة صديقة زوجته ، من يعلم هذا الشيء ؟ الله عز وجل يعلم السر وأخفى .

و معنى لطيف أي يعرف دوافعك الحقيقيـــة ، و هــذه المواقــف الملتوية و السر ، و الحكمة ، و هو الــذي يعلــم دقــائق الأمــور ، و بواطنها و خلفيات الأشياء ، و حقيقة كل أمر ، و يعلم مـــا خفــي على معظم الناس .

فالذي يعلم بواطن الأمـــور ودقائقــها وخفاياهــا ، ومؤدياتــها ومضاعفاتها وما ينجم عنها وما أساسها ، وما سرّها ، وما أســبابها الحقيقية هو اللطيف هذا معنى ثانٍ ، يعني اسم اللطيف هنـــا بمعنــى الذي يعلم كل شيء مهما دقّ وخفِي .

فحَجَر في الطريق يمكن أن تكون تحته نملة صغـــيرة ، ولــها سراديبها و قُوتَها و مؤونتها .

وفي البحر بين طرطوس و أرواد عشرة كيلو مترات فكـــم مــن السمك هناك وما أنواعها ؟ إنك لا تعرف ، أما الذي يعلم كــل شــيء مهما دقّ ومهما جلّ فهو الله عز وجل ، فاللطيف هـــو الــذي يعلــم دقائق الأشياء ، وهذا هو المعنى الثاني .

المعنى الثالث : اللطيف <u>هو البَرّ بعباده الذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويُهيِّئ مصالحهم من حيث لا يحتسبون</u> ، فــاليوم حــر

شديد مثلا ، فربنا عز وجل يهيّء لأهل هذه البلدة إنضاج فاكهتهم ، وهم لا يعرفون ، وبعد شهر ترى هذه الفاكهة معروضة في الأسواق بوضع جيد وجميل وطعم طيب ولذيذ ، فمن أنضج هذه الفاكهة طوال هذه المدة ؟ الله عز وجل ، إنه لطيف بعباده ، فساعة حر ، وساعة برد ، وساعة ماء غزير ، وساعة ماء قليل ، وأنت لا تدري فاللطيف بعباده هو البَرّ بهم والذي يلطف بهم من حيث لا يعلمون ، ويهيّء مصالحهم من حيث لا يحتسبون ، ومن قول الله عز وجل : " اللّه لطيف بعباده يَرْزُقُ منْ يشاء وهو القَويُّ العزيز " ومنه يأتي المعنى الثالث أي البَر بعباده .

· لكن المعنى الرابع وهو من أروع المعاني التي قالها الإمام الغزالي ، أن اسم اللطيف يعني الذي يعلم دقائق الأمور وينقل عبده من حال إلى حال بلطف عجيب .

فهذا الطفل الصغير يجب أن يغيّر أسنانه ، لأنه لو نبتت له أسنان نهائية ثابتة وفمه صغير جدا ، فمنظره بشع ، فأسنانه كبيرة والفم صغير ، ولو نبتت له الأسنان وهو يلتقم ثدي أمه فيمكن أن يؤذيها أذى مؤلما لا تحتمله ، فهذا الطفل يكون في السنة الأولى بدون أسنان ثم أسنان لبنية ، ومن بعد ، ربنا عز وجل يبدّل لهذا الطفل أسنانه ، فالله لطيف ، ولا يوجد طبيب في الأرض يستطيع أن ينزع سنا لطفل من دون أن يبكي ، حتى أن حقنة المخدر مؤلمة

جدا ، فيبكي منها و لكن ربنا عز وجل يذيب هذا السن شيئا فشيئا ثم يأكله الطفل مع اللقمة ولا يشعر بشيء ، فمعنى لطيف كما قال الإمام الغزالي : " هو مَن يعلم حقائق المصالح وغوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ".

و أحيانا قد يُكرِهُك الله على شيء ما ، ليس فجأة بل بالتدريج خلال خمس سنوات مثلا ، لأن هذا الشيء تأتيك منه بعض المتاعب ، فيزيح منك خمسة بالمائة من محبتك له وبعد أسبوعين تأتي متاعب جديدة فيزيح عشر بالمائة ، و بعد أسبوعين متاعب جديدة تزيح خمس عشرة بالمائة وبعد شهرين أو ثلاثة تقول : " لم أعد أطيق ذلك الشيء " ، فهناك شيء غير صحيح قد تعلقت به ، فربنا عز وجل نزعه منك شيئا فشيئا بلطف .

على هذا النحو تم تحريم الخمر ؛ إذ كان العرب متعلقين بها تعلقا شديدا ، فلو أمرهم أن يتركوا الخمر بآية واحدة فربما ارتدّ بعضهم، أو نصفهم عن الإسلام ... لكن الله لطيف ، قال :

وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

(سورة النحل)

فقط .. ألطف إشارة إلى أن الخمر هي رزق ولكنه ليس حسنا، فقال : تتخذون منه سكرا ، مادة مُسكِرة ، ورزقا حسنا : تظنون أنه حسن وهو مُسكِر فهو ليس بحسن ، هذه أول إشارة . وبعد ذلك قال:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ

(سورة النساء آية ٤)

يعني إن شربت الخمر فلا عليك ولكن دعه عند الصلاة ، وبعد ذلك قال :

۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

(سورة البقرة)

المنافع للذين يتاجرون بها ويعيشون على دخلها ، ثم يقول الله عز وجل :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾

(سورة المائدة)

فهو سبحانه لطيف حرّمها بالتدريج ، وكذلك قد يذهب شاب إلى الجامع فيسمع درسا ووعظا ، فيقول : والله إنه درس جميل ، وأريد أن أداوم عليه و يكون على عشرين أو ثلاثين معصية ، وربنا للطفه لا يذكّره بها كلها ، لكن الله اللطيف يُذَكّره بواحدة منها بين الحين والحين . هذه حرام وهذه حرام ، فلا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد كنت جاهلا ، فلعله يتركها ؟؟ ولو أعطيناه القائمة بالمعاصي كلها لترك الدين كله ، ولكن اللطيف تدرَّج به واحدة واحدة ، وبعد ستة أو ثمانية أشهر ، ترك هذه وهذه وهذه ، وربنا يسخّر له شخصا يذكّره بالأشياء بلطف ، فهذه حرام يا أخي وهذه لا يجوز أن تأتيها ، وهذا اللقاء لا يجوز ، و هذا البيع فيه شبهة وهذه البضاعة لا يحل الإتجار بها فهي محرمة شرعا . أتتاجر بطاولات نرد ؟ فإليك حديث النبي صلى الله عليك وسلم فيها :

عنْ سليمان بْن بريْدة عنْ أبيه عن النَّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم قال:" منْ لعب بالنّرْدشير فكأنّما غمس يده في لحْم خنْزير ودمه "*

أخرجه مسلم وأبو داود وابن ماجة وأحمد

وبالتدريج ربنا يعالج الأمور ، فربنا لطيف في العلاج ، ، الإنسان أحيانا يغلُب رجاؤه على خوفه ، وربنا لطيف يخوّفه ، وأحيانا يغلب خوفه على رجائه وربنا لطيف يطمئنه .

العلم الدقيق مع التدريج في العمل ، هذا هو الاسم الجامع المانع لاسم اللطيف ، ويستحقه من يعلم حقائق المصالح و غوامضها ثم يسلك في إيصالها إلى مستحقها سبيل الرفق دون العنف ، حين يجتمع له هذا العلم . وإليك مثلاً : إن الوالد إذا ارتكب ابنه مخالفةً للشرع أو للأخلاق، فيمكن أن يعاقبه بعنف وقسوة ، ولكن الأجدى أن يتابعه ويراقبه ويشجعه ويكافئه ويعاقبه ويُعرِض عنه ويراوح في كل ذلك ، وبعد شهرين أو ثلاثة يستقيم طواعية وقناعة ، فأنت نقلته من حال التلّبس بهذه المخالفة إلى حال التوبة منها بطريقة لطيفة من دون أن تحطمه ، أو تجرحه، أو تسحقه ، أو ترُضّه رضًّا ودون ألم وعنف ، والمربي المؤمن لطيف ، ينقل من يعالجه ويربيه من درجة إلى درجة بالرفق واللطف .

دخل رجل إلى المسجد فأحدث جلبة وضجيجا وشوّش على المصلين يريد أن يلحق مع الرسول ركعة ، فلما انتهى قال عليه الصلاة والسلام لهذا الذي أحدث جلبة وضجيجا ، " زادك الله حرصا ولا تعُد ! " لقد ترفق به ، ولذلك فإن الله رفيق يحب كل رفيق .

وإن الله يُعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف ، وعلِّموا ولا تعنفوا فإن المعلِّم خير من المعنِّف .

<u>و من لطف الله بعباده ، أنه أعطاهم *فوق* الكفاية ، وكلّفهم *دون* الطاقة</u> : خمس صلوات كل صلاة ثلث ساعة ، عشرون دقيقة بخمس

صلوات أي مائة دقيقة ومجموعها ساعة وثلثان من أربع وعشرين ساعة ، ولو كلّفك بخمسين صلاة لما استطعت ! ثلاثين يوما صياما في السنة فلو كلفك ستة أشهر صياما متتابعة لما أطقت .

الله لطيف بأوامره ، لطيف بخلقه ، فلو كانت هذه التفاحة تحتاج إلى منشار ومجموعة أدوات عند النجار لشق الأمر على الناس جميعا ، فأنت بسكين تأكلها ، وبدون سكين أيضاً ولو كانت البيضة تحتاج إلى مفتاح ولم تجد المفتاح لَقَسَت الحياة وأتعبت أهلها ، لكنك على طرف الصحن تكسرها

عنقود العنب تريد أن تسحبه نحو الأسفل فينسحق بيديك ، ولكن الله خلق له مقصل ، لأن الله لطيف ، إذا عملت حركة معاكسة باتجاه العنقود يصير بيدك ، فربنا عز وجل لطيف ، الفاكهة لها طعم ولها شكل ولها قوام مقبول مع الأسنان ، ولو كانت التفاحة بقوام الصخر تماما فما الطريقة إلى أكلها ؟ إننا نحتاج إلى مطحنة كي نصنع عصير تفاح ، إذ لا نقدر على أكلها ، الذي دبّر الأمور هو الحكيم والذي أوجدها هو الجواد والذي رتبها هو المصوّر ، والذي وضع كل شيء في موضعه هو العادل ، أما الذي لم يترك فيها دقائق إلا و عرفها فهو اللطيف ، و اللطيف هو الذي أعطى العباد فوق الكفاية و كلفهم دون الطاقة ، و اللطيف الميسّر لكل عسير الجابر لكل كسير ، و اللطيف من وفَّق للعمل في الابتداء و ختمه بالقبول في

الانتهاء ، و اللطيف هو الذي ولِي فستر ، و أعطى فأغنى ، و أنعم فأجزل ، و علم فأجمل .

أما حظ العبد من هذا الاسم فهو الرفق بعباد الله واللطف بهم في الدعوة إلى الله .

ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾

(سورة طه)

دخل أحدهم على ملك وقال له سأعظك بغلظة ، فقال له ولم الغلظة يا أخي لقد أرسل الله من هو خير منك إلى من هو شر مني : أرسل موسى و هارون إلى فرعون فقال لهما : " فقولا له قولا لينا " !!!!! .

فإذا عرفت شيئا سيئا فاستره وكن لطيفا ، وإذا تحركت نحو فعل شيء فكن بهذه الحركة لطيفا ، وإذا أردت إحداث شيء فاجعل لهذا الشيء برنامجا لا يثقل على صاحبه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام كان في قمة النشوة في صلاته مع ربه ، ووراءه أصحابه ، فسمع بكاء طفل صغير ، فعلى غير عادته قرأ آية قصيرة رحمة بهذا الطفل واختصر الصلاة وسلم ، وإذا دعوت إلى الله عز وجل فكن لطيفا وكن

ليّنا وكنْ رحيما وقال بعض المحققين : العارف إذا أمـــر بـــالمعروف أمر برفق ناصح لا بعنف مُعسِّر ، وكيف لا وهو مستبصر بســـر الله تعالى اللطيف ؟؟!!! .

و خلاصة بحثنا أن النبي عليه الصلاة والسلام في بعض مـا ورد عنه يقول " تخلَّقوا بأخلاق الله " ، فإذا كان الله لطيفا فـــي علمـــه ، لطيفا في وجوده ، لطيفا في تصرفاته فكن أنت أيضا لطيفا .

و الحمد لله رب العالمين

*****

الجليل

الجليل

أيها الإخوة الأكارم : الاسم اليوم هو الجليل ... ونحن نلحظ أن أكثر الإخوة المؤمنين ؛ إذا قالوا : " الله " ، قالوا بعدها : " جَلَّ جلالُه " وفي اللغة : جل يُجِل أي عظَّم قدره ؛ والجليل مَن له الجلالة والعز والغنى والنزاهة ، والجليل : هو العظيم الذي يتنزه عما لا يليق به ... وكل ما في العالم من ؛ جلال وكمال وحسن وبهاء ؛ فهو من أنوار ذاته ، وآثار صفاته . كلمة جل جلاله : أي عظُم قدره وتنزَّه عما لا يليق به .

و قال بعض العلماء : الجليل : هو المستحق للأمر والنهي ، فهو وحده الذي يأمر وينهى ، هو الذي يشرِّع . و الجليل ، هو الذي يصغُر دونه كل جليل ، و يتضِّع معه كل رفيع .

و قيل : الجليل : الذي جلَّ قدره في قلب العارف بالله لو شَقَقْتَ على قلب المؤمن لرأيت فيه تعظيما لله لا حدود له وخشيةَ لله لا حدود لها !!! .

أيها الإخوة ؛ والجليل هو الذي جلَّ في علو صفاته ، وتعذَّر بكبريائه أن يُعرف كمال جلاله ؛ فعظمته أعظم من أن تعرف ، أو أن يُحاط بها . أحيانا تلتقي بإنسان عدة لقاءات تكشف بها كل جوانبه ، وتستوعب كل إمكاناته لكن لا يمكن لمخلوق أن يحيط بقدْر الله عز

وجل . بعض الأئمة تحدثوا عن الفـــرق بيـــن الجليـــل ، والكبـــير ، والعظيم .

فذكر الإمام الغزالـــي " أن الجليـــل : هـــو الموصـــوف بنعـــوت الجلال – ونعوت الجلال هي:الغنى ، والمُلك ، والتقديس ، والعلـــم ، والقدرة " فهناك بعض الصفات تُحدث في النفـــس تعظيمـــا والجليـــل المطلق هو الله تعالى . والكبير : هو الذي يرجع في صفاته إلى كمال الذات . فهناك كمال للذات وكمال للصفات – مجموع الصفـــات التـــي ترتبط بكمال الذات : الكبير . ومجموع الصفات التي تتعلـــق بكمـــال الصفات : الجليل . و أما العظيم : فهو الـــذي جمـــع صفـــات كمـــال الذات ، وصفات كمال الأفعال .

أيها الإخوة ، الإنسان أحيانا حينما يذكر الله سبحانه وتعالى يحب أن يعبر عن تعظيمه له فكان هذا الاسم حيث ما ذكر اســـم الله العلـــم على الذات يذكر بعد اسم الذات بعد اسم العلم على الذات كلمة الجليـــل أو كلمة جل جلاله .

حينما يدرك الإنسان الصفات الظاهرة بعينه فهذا هـــو البصـــر ؛ ببصرك تدرك الجمال الظاهر ، وببصيرتك تـــدرك الجمـــال البـــاطن . أحيانا تستمتع بفعل كامل ؛ هو في حد ذاته جميـــل والجمـــال ليـــس متعلقا بالنواحي المادية فحسب ، بل قد يمتد إلى النواحي المعنويـــة ، فالموقف الكامل ، من زاوية هو موقف كامل ومن زاوية هو موقـــف

جميل . تقول : فلان يتمتع بجمال الخلق . لذلك قال بعض العلماء : إن صفات الحق أقسام ؛ صفات الجلال وهي العظمة والعزة والكبرياء والتقديس ، وكلها ترجع إلى معنى الجليل ؛ صفات العظمة والعزة والكبرياء والتقديس وكلها ترجع إلى معنى الجليل ، و صفات الجمال ؛ وهي صفات اللطف والكرم والحنان والعفو والإحسان .

بعض إخواننا الكرام ذهبوا إلى الحج يقول أحدهم : وأنا في مكة المكرمة أشعر بالجلال ، فإذا ذهبت إلى المدينة المنورة أشعر بالجمال .

أيها الإخوة : يقول بعض العلماء : صفات الكمال هي الأوصاف الذاتية التي دونها جميع العقول والأرواح ، مثل اسمه القدوس ، و صفات ظاهرها جمال و باطنها جلال مثل اسم المعطي المنعم ، و صفات ظاهرها جلال و باطنها جمال مثل اسم النافع و الضار ، سأوضح هذا بشكل مفصل :

هناك صفات كمال : وهي الأوصاف الذاتية التي دونها جميع العقول والأرواح ؛ هذه الصفات متعلقة بالأوصاف الذاتية مثل اسم القدوس وصفات ظاهرها جمال وباطنها جلال مثل اسم المعطي فهو في ظاهره جمال لكن إذا الإنسان أخذ ولم يستقم على أمر الله ، ولم يوظّف هذا العطاء في الحق فوراء هذا جلال ، أي قد يكون هناك عقاب ، أو شيء يدعو إلى الخوف . وهناك صفات ظاهرها جلال ،

وباطنها جمال ؛ أحيانا ربنا يوقع الضرر بإنسان لكن هذا الضرر ينتهي به إلى التوبة ، والإقبال على الله . فالله سبحانه وتعالى له صفات جلال ، وله صفات جمال ، وله صفات ظاهرها جلال وباطنها جمال ، وله صفات ظاهرها جمال وباطنها جلال فإذا أعطاك فهذا شيء جميل لكن إذا لم يكن مع هذا العطاء استقامة سيكون بعد هذا العطاء تأديب !!! فيأتي الجمال أولا والجلال ثانياً أما إذا جاء التأديب فالإنسان يخاف ، ويشعر بالرهبة،وأن الله تعالى كبير، وأنه ينبغي أن يرهب جانبه ، و بعد هذه الرهبة يأتي الجمال، لذلك قالوا : حينما نقول الضار النافع ، و المعطي المانع ، والخافض الرافع ، والمعز المذل ؛ هذه الأسماء ينبغي أن تذكر معا لأن الله سبحانه وتعالى لا يضر إلا لينفع ولا يأخذ إلا ليعطي كما ورد في بعض الأحاديث :

" إن هذه الدنيا دار التواء لا دار استواء ، ومنزل ترح لا منزل فرح ، فمن عرفها لم يفرح لرخاء ولم يحزن لشقاء "

قد جعلها دار بلوى ، وجعل الآخرة دار عُقبَى ، فجعل بلاء الدنيا لعطاء الآخرة سببا ، وجعل عطاء الآخرة من بلوى الدنيا عوضا فيأخذ ليعطي ، ويَبتلي ليُجزي .

ينبغي أن تعتقد كما ورد في القرآن الكريم أن أسماء الله تعالى كلها حسنى ، حتى اسم الجبار ، القهار المنتقم هي أسماء لله الحسنى ، لو عرفت حقيقتَها لذابت نفسك محبة لله عز وجل لكن

هناك أسماء متعلقة بالجلال وأخرى بالجمال وهناك أسماء ظاهرها جلال وباطنها جمال ، وله أسماء ظاهرها جمال وباطنها جلال والعكس .

يقول بعض العلماء : " الجليل هو المستحق لأوصاف العلو والرفعة . " ويقول بعض العلماء : " واعلم أنه تعالى يكاشف القلوب مرة بوصف جلاله " فأحيانا يشعر الإنسان بحال طيبة وسرور وانطلاق وبفرحة ؛ فالله جل جلاله يتجلى عليه باسم الجميل . وأحيانا يشعر بالخوف والقلق على مصيره هل له عند الله المكانة التي يتمناها ؟ وهل عمله كما يرضي الله عز وجل ؟ وهل نواياه بالشكل الذي يرضى الله عنه ؟ .

أحيانا يقع الإنسان في موقف أقرب إلى الخشية منه إلى الطمأنينة فإذا تجلَّى الله على الإنسان باسم الجليل امتلأ القلب خشية . وإذا تجلى الله على عبده باسم الجميل امتلأ القلب فرحة ، وربنا عز وجل يقلب هذا القلب البشري بين الخشية وبين الطمأنينة ، إن ازدادت طمأنينته يخيفه ، وإن ازداد خوفه يطمئنه ، قال تعالى في سورة النور : " ولولا فضلُ اللهِ عليكُم ورحمته ما زكَى منكُم مِن أحَدٍ أبدا ولكنَّ اللهَ يُزكِّي مَن يشاء واللهُ سميعٌ عليم " (٢١) .

هناك منهج وكتاب مبارك وسنة وهناك آيات تدل على عظمة الله ، كل هذا شيء طبيعي ولكن لولا أن الله يتولى معالجة القلب بشكل مستمر لما زكى منكم من أحد أبدا :

كل إنسان قريب من الله ، يدرك أن على الله تربيته . كلمة تدل على اعتداد بالنفس يأتي بعدها تأديب ، وكلمة تدل على افتقار إلى الله يأتي بعدها عطاء ، فالمفتقر إلى الله ينعم باسم الجميل . هؤلاء الصحابة قالوا : لن نُغلَب من قِلَّة قال تعالى في سورة التوبة :

لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

فعلى الإنسان أن يراقب قلبه ، فليس الإنسان عقلا وحده ، ولا قلبا وحده ، فالعقل غداؤه العلم ، والقلب غداؤه الذكر والحب ، فالإنسان إذا شعر أن قناعاته قوية ، واطمئنانه بالله زاد عن الحد المعقول فإن الله جل جلاله يتجلى باسمه الجليل فيخاف –وحينما يزداد خوفه إلى درجة قد يقعده الخوف عن متابعة الطريق ، يتجلى الله عليه باسم الجميل وما سمي الحال حالا إلا لأنه يحول ويزول والإنسان يتقلب في الحال الواحد كما قال بعضهم : المنافق يثبت على حال واحدة أربعين عاما،بينما المؤمن من شدة خشيته ، وشدة

حرصه . على طاعة ربه ، وقلقه على مصيره عند ربه، يتقلب في اليوم الواحد أربعين حالا .

ملخص هذا الكلام ؛ أن هناك صفات لله عز وجل ترجع إلى العظمة والقوة والقداسة والغنى ؛ هذه الصفات يجمعها اسم الجليل وهناك صفات كالرحمة والإحسان واللطف والعفو و الكرم ؛ فهذه الصفات يجمعها اسم الجميل والإنسان بين جمال الله وبين جلاله : بين الخوف و الترقب ، وعلى الإنسان أن يتأدب مع الله عز وجل ، لا يحمله حاله مع الله على أن يتساهل لا بأقواله ولا بأفعاله ، وينبغي أن لا يحمله اسم الجليل الذي يرهبه على أن يتراجع أو ينكمش ، فالبطولة أن تجمع بين الخوف من الله ، والرجاء في رحمته !! .

قال بعض العلماء : " اسم الجليل يحتمل أن يكون بمعنى الذي يُجِل المؤمنين ويُكرمهم . فالمؤمن مكرَم ، أحيانا تجد إنسانا مهانا معذبا خنوعا ذليلا يُحوجه الله إلى أتعس خلقه وأشقاهم ، ألم يقل الإمام علي كرم الله وجهه : " والله ، و الله لحفر بئرين بإبرتين ، وكنس أرض الحجاز في يوم عاصف بريشتين ، ونقل بحرين زاخرين بمنخلين ، وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا أبيضين ، أهون علي من طلب حاجة من لئيم لوفاء دين " سُئل الإمام علي كرم الله وجهه : ما الذل ؟ قال أن يقف الكريم بباب اللئيم ثم يرده " فالله

اسمه الجليل . أي يُجل المؤمن على أن يحوجه للئيم ألم يقُل الله عـز وجل في سورة النساء :

و لن يجعلَ اللهُ للكافرين علـــى المؤمنيــن سَــبيلا " (١٤١) ؟!!

ويصدِّق ذلك الآية الكريمة سورة هود :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

لذلك قلت مرة : هؤلاء الذين يُذلُّون ويُســحَقون ، و يســوق الله لهم من الشدائد ما لا يطيقون،هم في الغالب هان أمـــر الله عليـــهم ، فهانوا على الله .. و إذا أردت أن تعرف ما لك عند الله ، فانظر مـــا لله عندك ، فهل أمر الله عندك عظيم ؟ .

حدثني أخ كان في بلد من البلدان الأوربية الشرقية وخرج مــن الفندق ليلتحق بالمطار الساعة الثانية بعد منتصف الليل وفي أحد أيام الشتاء القارصة ، وكان الثلج يزيد على خمسة أمتار ، الشيء الــذي لا يصدق أنه رأى طابوراً من الأشخاص يزيد طوله عــن خمســمائة متر وكان هؤلاء واقفين ينتظرون أن يوزع عليهم اللحم غدا الســاعة الثامنة ؛ من الساعة الثانية ليلا إلى الساعة الثامنة وكل هذا من أجل أن يأخذوا قطعة لحم صغيرة يأكلونها مع أسرهم ، فأحيانا تجد إنســلنا مقهورا ومعذبا ومهانا وذليلا ومصيره بيد عدو له ويتفنـــن بإيقــاع

لاذي بـ.. ما نقول ؟ نقول : الله جليل : أي يُجل المؤمن من أن يذيقه هذا العذاب . ومن أن يحوجه إلى لئيم ... فإذا كنت مع الله فلك العز ، ولك الكرامة فالمؤمن غال على الله وليس بهين ، وحياته مقدسة ، وعمله مقدس ، وحركاته وسكناته في حفظ الله ويكفينا قوله تعالى في سورة التوبة :

أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾

وفي سورة البقرة:

إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ

و هذه المعية الخاصة تعني : النصر والتأييد والحفظ والتوفيق ، والرِّفعة ، كما جاء في سورة الشرح : " ورفعنا لكَ ذِكرَك " (٤) .

فالله يرفع اسم المؤمن عاليا . وكل حظوظ النفس حيادية ، فلك أن ترتفع بالباطل ، والقهر ، وبالقوة ، والاستعلاء ، والغِنَى ، ولك أن ترتفع بالكمال ، كلاهما رفعة ، ولكن رِفعة الدنيا آيلة إلى زوال ، أما رفعة الكمال فإلى استمرار . فالقوي الذي يؤذي الناس يكون مرهوب الجانب ، ويخافه الناس لكنه يخافونه مادام حيا ، أما إذا مات فتأتيه اللعنات من كل جانب . مثلا تجد معلما قاسيا جدا . كل الصف يخافونه طوال السنة الدراسية ، أما حينما ينتهي العام

الدراسي ، وينصرف الطلاب يسخرون منه . قالوا دائما : الأقوياء ملكوا الرقاب ، والأنبياء ملكوا القلوب . فملك الرقاب يزول ، و لكن ملك القلوب لا يزول . وأوضح مثل أن تذهب إلى المدينة المنورة ، وتنظر إلى هؤلاء الناس الذين جاءوا من كل حدب وصوب ، يقفون أمام قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بكل أدب وحب وتأثر ، وهم ما عرفوه وما رأوه وما أخذوا منه شيئا .

فلذلك الأنبياء ملكوا القلوب وملكوها ملكا مستمرا . والأقوياء ملكوا الرقاب وملكوها زمنا مؤقتا .

و من كمال تربيته تعالى أن يجعل للمؤمن خصوصية ؛ وهي خصوصية النصر والتأييد والنصر والحفظ والطمأنينة ، قال تعالى في سورة الأنعام :

فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ

و المؤمن لا يتألى على الله ولكنه يحسن الظن به تعالى . و التألي على الله موضوع آخر . كأن تقول مثلا : فلان مصيره إلى الجنة ، و هو من غير العشرة المبشرين ، والصحيح أن تقول : " نحن نرجو له الجنة " فالرجاء هو الأدب . أما أن تقول : هو في الجنة ، أو هو في النار ، فمن أنت ؟ أنت عبد و التألي على الله ليس

من خلق المؤمن ، ولكن من أخلاق المؤمن أن يدعو لإخوانه بالمغفرة ، والجنة .

و من خلال اسم الله الجليل يشعر الإنسان بالطمأنينة قال تعالى في سورة هود :

فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾

و الجليل : بمعنى المفعول أي ينبغي أن يعترف العاقل بجلاله ، وكبريائه ، وعظمته قدسيته ، وتنزهه عن كل ما لا يليق به .

و هناك معنى ثالث في اللغة : بمعنى الموصوف بالجلال ، فإما أنه موصوف بالجلال فهو فاعل ، أو ينبغي أن يُجَل فهو المفعول ، أو بمعنى مفعل يجِل المؤمنين ، ويرفع قدرهم ، والله عز وجل إذا أحب عبدا ألقى محبته في قلوب الخلق .

و الله أيها الإخوة ، إذا أحبك الله ، سخَّر عدوك اللدود لخدمتك . وإذا غضب الله على إنسان ، ألهم أقرب الناس إليه بالتنكُّر له . مثل زوجته ، أو ابنه الذي قد يضربه مثلاً . لذا لا ينبغي للإنسان أن يعلق أمله على زوجته ولا ولده ولا مخلوق ، حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : " لو كنتُ متخذا من العباد خليلا لكان أبو بكر خليلي ؛ ولكن أخ ، وصاحب في الله" . وهذا هو التوحيد ، أحيانا تجد

ابا يعلق كل آماله بابنه . فتجد الابن يذهب إلى بلــد أجنبــي وينــال جنسية ، ويتزوج بأجنبية ، ويقطع علاقته بوالده، وقد يغير دينـــه ، وقد لا يستقبل أباه إذا زاره ، لذلك علــى الإنســان أن يعلّــق كــامل ثقته بالله !!! .

و اسم الجليل لم يرد في القرآن الكريم ، لكن مادته وردت قــال تعالى في سورة الرحمن :

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾

و ورد أيضاً في ختام هذه السورة : " تبــاركَ اســمُ ربِّــكَ ذي الجَلالِ والإكرام " (٧٨) .

هل يقال لفلان جليل القدر ؟ نعم لا يمنع أن نقول هذا ، ونقــول أيضاً : فلان له قدر جليل فمن حسنت صفاته الباطنة (مثــل الأدب ، والحلم ، والرحمة ، و الإنصاف ، والتواضع ، والغيرة ... إلخ) جـاز لنا أن نقول عنه انه جليل القدر .

<u>و كيف تتخلق بأخلاق هذا الاسم ؟</u> إذا كنت مستقيما وترفعت عن النقائص ، وعن اللغو ، وعن كثرة المزاح ، وعن سفاســف الأمــور وعن الدنيا الدَّنيِّة ، وعن القيل و القال ، وكثرة السؤال ، وإضاعــة

المال ... صرت في نظر الناس جليلا ، يقولون : الأستاذ الجليل ، وكذلك الأخ الكريم مثل هذا الإنسان له قدر عند الناس جليل .

الإمام الرازي يقول : " الجليل من العباد من خلا من العقائد الزائغة والأخلاق الذميمة " فعقائده صحيحة ، وأخلاقه كاملة . فإذا صار هناك خلل بعقيدته لم يصبح جليلا ، وإذا كان هناك انحراف بسلوكه لم يصبح جليلا كذلك ، فاستقامة العقيدة مع استقامة السلوك ، تجعل الإنسان جليل القدر . الحقيقة عندما يكون الإنسان سخيفا وخفيفا وثرثارا ويحشر أنفه في موضوعات لا تعنيه لا يكون له قدر عند الناس إطلاقا . أما إذا كان هناك وقار، واستقامة ، وضبط للسان ، والجوارح ، واعتناء بالمظهر ، ودقة بالعمل ، هذه الصفات الكاملة ترفع قدره ، وتجعله جليلا في نظر الناس

الآن أدب المؤمن مع الجليل: أن يتحلى بالكمال لأن الله عز وجل كامل ويحب الكامل ، وهو عفو ويحب العَفُوّ ، وكريم يحب الكريم ، فإذا أردت أن تقترب من الله عز وجل ، فاقترب من صفاته وأسمائه وتذكَّر أنه هو الذي أفاض عليك الجمال ، سواء أكان جمال صورة ، أم جمال حس ، أم جمال نفس . والإنسان إذا حدثته نفسه بما لا يليق بالله عز وجل ، و وسوس له الشيطان شيئا ، فليذكر اسم الجليل . ويجب أن تستحيي من الجليل وأن تستحيي من الله حق الحياء ، قيل وما حق الحياء قال :

" أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حـــوى ، وأن تذكــر الموت والبلى " ، " ومن لم يكن له ورع يصده عـــن معصيــة الله إذا خلا ، لم يعبأ الله بشيء من عمله .

" ولا تجعل الله عز وجل أهون الناظرين إليك " .

فإذا كان الإنسان يستحي مـــن الضيــف ، و يضبــط كلامـــه ، و صوته ، و يرتدي لباسا جميلا ، و يرتب بيتـــه .. فـــالله أحـــق أن يُستَحى منه ، و إذا كان الإنسان بخلوة فلا يتكلم بكلام غـــير لائـــق ، ولا يتبذل إلى درجة غير معقولة بثيابه ، ولا يعمل أعمالا لا تُرضـــي الله ! فمن أدب المؤمن مع اسم الجليل ؛ أن يوقِّر الجليل في خلوتـــه ، والمؤمن الصادق يشعر دائمـــا أن الله معـــه وقـــد ورد فـــي بعــض الأحاديث :

"ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك" !.

أيها الإخوة : لا يستطيع الإنسان في عجالة أن يتحدث عن اســم الجليل إلا بالقدر الذي سمح الله به لقوله تعالى في ســورة البقــرة : " و لا يُحيطون بِشيءٍ مِن عِلمِهِ إلا بما شاء " .

وقوله تعالى في سورة الإسراء : " و ما أوتيتُـــم مـــن العِلـــمِ إلا قليلاً " (٨٥) .

لكن ملخص الملخص : أن مجموعة من صفات الله عز و جـــل ، تتعلق بعظمته ، و قوته ، و علمه ، و قدرته ، و غناه ، و قدســيته ،

و هذه المجموعة من الصفـــات ، مجموعــة فــي اســم الجليــل . و مجموعة أخرى متعلقة برحمته ، و إحسانه ، و لطفــه ، و بــره ، و عفوه ، و عطفه ؛ و هذه متعلقة باسم الجميل . و إذا قلنـــا إن الله جميل : أي أن البصائر تدرك جماله .

و الإنسان إذا كان مع الله ، فالله يُجِلُّه ، و يُعلي قدرَه ، و يربـــأ به أن يضعه في الوحول ، أو أن يحوجه إلى عبد لئيم ، فـــأنت مـــع الجليل ، جليل . وأنت مع القوي قوي ... لذلك في بعض الأدعية :

إلهي كيف نُضام في سلطانك ؟! وكيف نُذَلُّ في عزك ؟! وكيـــف نفتقر في غناك .

أرجو الله سبحانه وتعالى ، أن تكون هـــذه الـدروس - دروس أسماء الله الحسنى - منطلَقاً لنا للإقبال علـــى الله وللاتصـــال بـــه ، والسعي إلى مرضاته لأن معرفة الله لا يعلو عليها شيء في الحيـــاة ، والمعرفة أصل الدين كما قال عليه الصلاة والسلام فيما ورد عنـــه ، وقلت لكم من قبل أن

الإنسان إذا عرف الله ، تفانَى في طاعته .

أما إذا لم يعرفه وعرف أمره ، تفنَّن في التفلُّت من أمره !!!!! .

و بين التفاني والتفنن بون شاسع !!!! .

و الحمد لله رب العالمين .

*****

البصير

البصير

أيها الإخوة المؤمنون : الاسم اليوم هو البصير ، هـــذا الاســم ورد في الحديث الصحيح ، والآن دعونا نتحدث عن معنى هذا الاســم في اللغة :

البصر : هو العين ، أو حاسة الرؤية ، وقيل البصر : هو النـــور الذي تُدرَك به المُبصَرات ، وكلكم يعلم أن العين مهما تكن حادة النظر ومهما يكن الشيء واضحاً لا بد من وسيط من النور يتيح للعيـــن أن ترى هذا الشيء ، ويمكن أن تطبَّق هذه الحقيقة على العقل ، فـــالعقل مهما كان حاد الذكاء ، ومهما كانت الأمور واضحة وضوح الشمس ، لابد من نور إلهي يكشف لهذا العقل حقيقة الأشياء ، لذلك قال تعـــالى في سورة الأنفال :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

و في سورة الحديد :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٨﴾

و العقل من دون هداية الله ، أو وحي السماء ، أو خطـــاب الله للبشر ، العقل يَضِل ويُضل ، وينحـــرف ويُحـــرِّف ؟ فـــالبصير مـــن البصر ، والبصر هي العين ، والبصر هو النـــور الـــذي تـــدرك بـــه المبصرات ، هذه المعاني وردت في معاجم اللغة .

و البصر أيضاً نفاذ الحقيقة في القلب ، والبصيرة قـــوة القلـــب المدركة لهذه الحقائق ، نقول فلان ذو بصيرة أي في قلبه قُدرة علـــى كشف الحقائق ، والمبصِر هو العالم والحاذق ، والتبصُّر هو التـــأمل والتعرف والثبات في الدين .

قبل أن نمضي في التعرف على هذا الاسم العظيم ينبغي أن نضـــع بين أيديكم هذه الحقيقة ؛ و هي أن مشكلة الناس جميعا في انحـــراف الرؤية وفي خطأ الرؤية ، لأن الإنسان في الأصل مفطور على حـــب ذاته وحب وجوده ، وحب سلامة وجوده ، فهو يحب كمـــال وجـــوده واستمرار وجوده ، فكيف إذن يسلك طريقا فيه هلاكـــه ؟!!! وكيـــف يقترف المعاصي والآثام ، وكيف يهلك نفسه بمعصية ربه ؟ لأنه رأى خطأً أن المعصية مغنَما لا مغرما ، لأنه رأى خطأً أن كسب هذا المـــال الحرام ربحٌ له .

و الصحيح أن حرص الإنسان على و جوده و ســـلامة و جـــوده يقتضي أن يلتزم بطاعة الله عز وجـــل .... فمـــال . هـــؤلاء الذيـــن يقترفون المعاصي و الآثام ، هؤلاء الذين يرتادون الأماكن المحرمـــة

لماذا ارتادوها لماذا أقبلوا على المعصيـــة ؟ لأنـــهم توهمـــوا أنـــها تسعدهم ، ولو عرفوا أن طاعة الله عز وجل هي وحدها التي تسعدهم وأن الإقبال عليه هو الذي يطمئنهم لما سلكوا هذا الطريق .

فما الفرق بين مؤمن مستقيم على أمر الله ، وبين عاصٍ متفلـت من أمر الله ؟ الفرق بينهما ، في الرؤية !!!

سيدنا يوسف حينما دعته امرأة ذات منصب وجمال قـــال إنـــي أخاف اللهَ رب العالمين ، ؟!!! منعته رؤيتـــه ، لمـــا تنطـــوي عليـــه المعصية من هلاك ومن بُعد عن الله عز وجل ، و ذلك الذي إذا دعتـه امرأة ذات منصب و جمال أقبل على هذه المعصية ما الفـــرق بينـــه وبين هذا الطائع ؟ .. الرؤية فقط .. إن صحَّت رؤيتك صـــح عملـك وإن صح عملك سعدتَ في الدنيا والآخرة ، وإن انحرفت رؤيتك فسـد عملك وإن فسد عملك هلكتَ في الدنيا والآخرة ، أكاد أقول إن الفـــرق الوحيد بين الشقي والسعيد ، بين المستقيم والمنحرف ، صحة الرؤية أو خطأ الرؤية .

لذلك بماذا كان يدعو النبي صلى الله عليه وسلم ؟ كـــان يدعـــو ويقول " اللهم أرنِا الحق حقا وارزقنا اتّباعه ، و أرِنا البـــاطلَ بـــاطلا وارزُقنا اجتنابَه " .

لذلك حينما يرى الإنسان أن المعصية مهلكة لـــه ، وأن الطاعـــة مغنما له – و الله الذي لا إله إلا هو – هذه نعمة لا تقدر بثمن !!! .

لأن هناك من يرى الباطل حقا . وأن هناك من يرى الحق باطلا !!! .

الآن أنت بحاجة إلى إرادة قوية تحملك على اتباع الحق وترك الباطل ، في الأول رؤية ثم إرادة .

أيها الإخوة من عادتي أنني إذا رأيت شابا مؤمنا مستقيما ، أقول له دائما : " إن أعظَم نعمة أنت فيها هي نعمة الهدى أن في قلبك نورا يريك الحق حقا والباطل باطلاً " ، فالإنسان إذا اتصل بالله ولاذ بالله ، وانطلق لتنفيذ أمر الله ، ألقى الله في قلبه النور !!! .

الآن نتحدث عن اسم البصير وهو من أسماء الله الحسنى ، فهو المبصِر لجميع المبصَرات في الكون ، فالبصير هو الذي يشاهد الأشياء كلها ، ظاهرها وخفيها من دون جارحة ، والبصر في حق الله تعالى عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات ؛ الشيء إذا انكشف لك انكشافا تاما فقد أبصرته ، قد ينكشف لك ظاهره ، وإذا انكشف لك ظاهره فأنت لم تدرك كمال صفته .

قد تأتي أنت بقطعة ماس ثمنها نصف مليون ليرة تضعها في الوحل ثم تضعها في الشمس تبدو لك كدِرَة ، فإذا رأيت ظاهرها ظننتها كدِرة ، لذلك كمال الإبصار أن ترى حقيقة الشيء .

لذلك قالوا هي الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت الأشياء ما معنى اسم البصير ؟ معنى اسم البصير هو الذي تنكشف له كمال صفات الأشياء ؛ يعني أنت كإنسان بهذه العين ترى الماسة كَدرة ، لكن البصير يراها ماسة ، فرق كبير !!! .

أي أن الله عز وجل يعرف كل شيء ، لا يخفى عليه شيء ، أما نحن فنرى ظاهر الأشياء ، أما باطنها ، أما حقيقتها فمحجوبة عنا ، وقد ورد هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم : " نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر " .

الفكرة دقيقة ، يعني اسم البصير ؛ هي الصفة التي ينكشف بها كمال صفة المبصرات ، لو فرضنا إنسان قصير القامة أسمر اللون أحنف الرِّجلِ ناتئ الوجنتين غائر العينين مائل الذقن ، وقد يكون أعلم علماء الأرض في علم من العلوم ، فأنت إذا نظرت إلى شكله رأيته شيئا عاديا ، لكن لو علمت ما ينطوي عليه من علم لأكبرتَه أعظم إكبار ، طبعا هذا ورد في التاريخ عن أحد التابعين وهو الأحنف بن قيس وصفه مَن وصفه فقال : كان قصير القامة أسمر اللون مائل الذقن أحنف الرجل ، غائر العينين ، ناتئ الوجنتين ، ليس شيء من قبح المنظر إلا آخذ منه بنصيب ، وكان مع ذلك سيد قومه ، إذا غضب غضب لغضبته مائة ألف سيف لا يسألونه فيم غضب !!! .

لو أن واحدا من الناس نظر في الأحنف بن قيس . فرأى فيه هذه الصفات التي لا تُرضي ؟ فظن أنه شخصا عاديا ، هل أدرك بعينه هذه كمال صفات هذا التابعي الجليل ؟ لا .

فمعنى اسم البصير ؛ صفة لله عز وجل تنكشف بها كمالات نعوت الأشياء ، بصير أي يعلم كل شيء ، يبصر كل شيء ، ظاهر الشيء و باطنه و خلفيته ، و ما ينطوي عليه .

الله عز و جل قال في سورة الضحى : " فأمَّا اليتيمَ فلا تقهَر " (٩) ... . و لكننا أحياناً نرى أنساناً يضرب يتيماً،لهذا فهو يسقط من أعين الناس لأنه ارتكب معصية !!! لكن إذا علم الناس أن هذا اليتيم ارتكب عملا قبيحا يقتضي أن يُضرب بسببه ليتأدب أدركوا أن الشخص الذي يضربه على حق ، لأنه يضربه ليحمله على الاستقامة !!! .

عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن لي خادما يُسيء و يظلم أفأضربه ؟ قال تعفو عنه كل يوم سبعين مرة " !!! مسند الإمام أحمد .

و قيل البصير هو المبصر ، المتصف بالبصر لجميع الموجودات دون حاسة ودون آلة ، فيعلم تعالى جميع المبصَرات تمام العلم ، وتنكشف له تمام الانكشاف .

ما علاقتنا بهذا التفسير ؟ نحن نسعد كثيرا حينما نعلم أن الله يعلم الله يعلم نواياك . يعلم سلامة صدرك ، يعلم حُبَّك للخير ، يعلم أن هذا الخطأ لا تقصده . يعلم أن هذا الوضع الحرج الذي وقعت فيه لا تريده . يعلم أن هذه الكلمة التي قلتها لم تكن تريد أن تقولها ، أنت حينما تعلم أن الله يعلم حقيقة كل شيء ، هذا مما يسعدك ، لأن الله قال في سورة الطلاق :

ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

يجب أن تعلم أن الله يعلم ، وحينما تعلم أن الله يعلم ترتاح نفسك ... أحيانا يظل الموظف يعمل على مكتبه سبع ساعات ، ثم يخرج ليقف في الشرفة دقيقة واحدة ، فيراه المدير العام و هو في الشرفة ، فيغضب ويثور ، لأنه لا يعلم ماذا كان يفعل منذ قليل ، لم يره وهو يعمل باجتهاد بل رآه وهو في الشرفة فقط !!! .

فالإنسان علمه ناقص ، لكنك مع الله ، لماذا أنت مرتاح ؟!! لأنه يعلم سلامة صدرك ، يعلم أنك ما أردت هذا الذي حصل ، يعلم أنك تُكن لهذا الإنسان كل خير ، يعلم أنك بريء من تلك التهمة .

لذلك قال أحدهم كلمة رائعة ، قال : " الحمد لله على وجود الله ، الحمد لله على علم الله " الله عز وجل لا يحتاج إلى إيصال ولا إلى

شهادة ولا إلى حلف يمين ، ولا إلى بينة ، هو يعلم كل شيء ، لذلك حينما أُلقي إبراهيم عليه السلام في النار جاءه جبريل فقال له : " ألك حاجة ؟ " ، " قال أما منك فلا !!! و لكنعلمُهُ بحالي يُغني عن سؤالي " !! أي أن الله عز وجل بصره كامل ، ينكشف له كل شيء ، وهذا مما يسعد الإنسان أي سعادة .

كم من إنسان مظلوم متهم تهمة هو بريء منها ، على نطاق الأسرة أحيانا يقول كلمة هو لا يقصدها تفسر تفسيرات أخرى ، يفعل فعلا لا يريده صدفة يفسر تفسيرات أخرى ، لكن الضمان العظيم هو أن الله يعلم !!! .

لكن بالمناسبة ، رحم الله عبدا جبَّ المغيبة عن نفسه ، و لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوةٌ حسنة ، حين جاءته السيدة صفية في مُعتَكَفِه ، ومر بهما صحابيان جليلان ، ثم أسرعا في السير فقال النبي الكريمُ لهما : " على رِسلِكما إنها صفيه " !! قالوا أفيك نشك ؟ قال لا ، ولكن لئلا يدخل عليكما الشيطان " .

نعم إن الله جل جلاله يعلم انك على حق ، و لكنك مكلَّف أن تبين ، أن توضح ، فلا يكفي أن تقول الله يعلم وتضع نفسك موضع التهمة ، لا يكفي أن تقول الله ناظرٌ إليَّ وأنت في وضع متَّهَم فيه ، هذا ليس من السُّنَّة ، بل يجب أن تدفع عن نفسك كل الشبهات .

فلو دخل رجل إلى بيت فيه امرأة لا تحلُ لـــه ، أي ليســت مــن محارمه ، وهو أنقى من الثلج ، وهو أطــهر مــن الملائكــة ، فــإن وجوده مع هذه المرأة موضع تهمة وشُبهة ... فاتَّقِ الشُـبُهات و لا تفعل هذا ، مهما كنت طاهراً ومستقيماً ومتملكاً لزمــام نفســك . لأن الخُلوة محرَّمة في الإسلام فأي موقف يضعك موضع التهمة الشــرع يأمرك أن تبتعد عنه ...أحيانا تدخل إلى محل تجاري لا يوجــد فيــه أحد ، يجب عليك أن تخرج فورا ، .لا تقُل . " أنا أنتظر صاحبـــه " . لأنك الآن في موضع متهم فيه .

الله جل جلاله يعلم خائنة الأعين وما تخفــي الصــدور ، رجــل جالس في بيته ، أمامه نافذة الغرفة ليست مضاءة ، أمامه شــرفة ، خرجت امرأة إلى الشرفة ، ليس في العالم كله إنســان يســتطيع أن يحاسبه على إطلاق بصره إلى هذه المرأة ، وليس هناك أحد يكشــف ما إذا كان ينظر أو لا ينظر إلا الله ، فهو يعلم خائنـــة الأعيــن ومــا تخفي الصدور .

لذلك أروع شيء أن تطيع الله في خلوتك ، لأن طاعـــة الله فــي خلوتك علامة إخلاصك وصدقك ، وقد ورد في الأثر " من لم يكن لـــه ورع يصده عن معصية الله إذا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله " .

العبرة أن تطيعه سرا كما تطيعه علانية فهو الحــاضر الــذي لا يغيب .

و مثال ذلك أن نتقي الله في مواعيد العمـــل فنحــن محاســبون عليها لتكون رواتبنا حلال وإن كان مدير العمل أو صاحبـــه لا يرانـــا فإن الله يرانا .

البصير : ورد في كتاب الله في أربعين موضعا . منها مثلا مـــا جاء في سورة البقرة :

وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿١١٠﴾

الآن في ضوء فهمنا لمعنى البصير ، إن العمـــل لـــه ظـــاهر ، وخلفية ، و باطن ، و نية ، و ملابسات .. وهـــو ســـبحانه وتعـــالى بصير بما تعمل ، يعني يبصر حجم علمك ، مقدار تضحيتـــك مقـــدار الصراع النفسي الذي سببه هذا العمل ، إن الله بصير به ، بصير بكـل أبعاده ، بصير بخلفياته ، بصير بملابساته ، بصير بأهدافه ، بصـــير ببواعثه ، هذا معنى بصير .

أما أنت فلا تبصر إلا الظواهر فربنا حيـــن يقـــول فـــي ســـورة الحديد :

وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٤﴾

يعنى بصير بحجم أعمالكم ، ونواياكم وبواعثكم ومقاصدكم وأهدافكم وتضحياتكم ، والصراعات التي في أنفسكم .

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾

سورة آل عمران

وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنْهُمْۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾

سورة المائدة

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٖۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرٗا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء

مرة وقفت في هذا الجبل ونظرت إلى الشام ممتدة ، هذه مدينة هادئة وادعة أبنية مضاءة متلألئة هذه البيوت بطوابقها بأقبيتها ماذا فيها من طاعات أو معاصي من يعلم ؟ الله وحده .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرَۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

سورة الإسراء

يعني أنت لا تعلم ، وقد يسكن إنسان في مدينة وهو لا يعلم ما فيها هو مؤمن يرتاد بيوت الله عز وجل ، له إخوة كرام ، يُحسن الظن في جميع الناس ، لكن حجم المعاصي في أي بلدة ، حجم الموبقات ، من يعلم ذلك ؟ .

لكن ما كنت أصدق في حياتي أن إنسانة في مكان رفيع مرشحة أن تكون ملكة في بلاد الغرب تعقد مؤتمرا صحفيا يُبثُ على كل أجهزة الإعلام في جميع أنحاء العالم لتقول للناس إنني خنت زوجي وزنيت مع فلان !!! نحن في أي عصر نعيش ؟؟!!! قال تعالى في سورة النحل : " أمواتٌ غيرُ أحياءٍ وَما يَشعُرون أيَّانَ يُبعَثون " (٢١) .

سبحان الله كم بيننا وبين أهل الفسق والفجور مسافات شاسعة ، البيت المسلم بيت شريف ، بيت طاهر ، بيت نقي ، حتى الإنسان لو زلت قدمه ينبغي أن يستر نفسه .

وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

سورة غافر

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿٥٦﴾

سورة غافر

أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾

سورة الملك

إن هذا الاسم هو أقرب الأسماء إلينا ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول أفضل إيمان المرء أن تعلم أن الله معك ، وأرقى حالات المؤمن أن يشعر أنه تحت مراقبة الله عز وجل .

أفضل حالات المؤن أن يعبد الله كأنه يراه ، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه يعني أن تشعر أن الله يراك ، هذه درجة في الإيمان عالية جدا أن تشعر دائما أن الله معك ، أن الله معك في خلوتك وفي جلوتك وفي مجلسك ، ومع ذكرك ومع نطقك ، وفي سفرك وفي حضرك ، هذا الشعور المستمر من نعم الله العُظْمَى وهو درجة من درجات الإيمان العالية .

و الآن نعود لاسم الله البصير ... إن إبصار الله تعالى منزه عن أن يكون بحدقة أو أجفان ، مقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور

والألوان كما ينطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التـأثر والتغيير المقتضي للحدثان .

فلا يعقل ولا يليق بالله عز وجل أن يبصر بحاسة ولا بـأداة ولا بتغير ، كما يحدث لدى الإنسان الذي يرى حين يسقط ضـوء علـى شبكية العين فيتم تعريف الصورة التي هي عبارة عن مجموعة نقاط متفاوتة في الإضاءة ، ولو لم يحدث هذا لما أبصر الإنسان !!! .

لكن الله جل جلاله منزه عن أن يبصر بحاسة أو أداة أو تغيير في ذاته ، وإذا نُزّه الله جل جلاله عن ذلك كـان البصـر فـي حقـه عبارة عن الصفة التي تنكشف بها كمـالات المبصَـرات ، وصفـات الأشياء .

الآن ما الأدب الذي ينبغي أن نتأدب به حيال هذا الاسم العظيـم ؟ الله عز وجل بصير ، ولأنك مخلوق مكرَّم ، كما قال تعالى في سـورة الإسراء :

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾﴾

لأنك مخلوق مكرم ، الله بصير ومنحك حاسـة البصـر ، لمـاذا أودع الله فيك هاتين العينين ؟ يقول تعالى في سورة البلـد : " أَلَـم نجعَل لهُ عينَين ؟! " .

العين السليمة تدرك الفرق بين درجات الألوان لو درجنا أي لون ثمانمائة ألف درجة !!! .

و العين السليمة تبصر من دون توقف لإصلاح الأفلام مثلاً كما يحدث مع فيلم الكاميرا الذي يحتاج إلى تحميض ، العين تبصر مباشرة ، وتدرك الشيء بحجمه الحقيقي ، انظر إلى الجبل تراه بحجمه الحقيقي ، و لكن أنظر إلى صورة الجبل في الصورة تراه بحجم أربع سنتمر . العين تدرك الشيء بحجمه .

هذه العين فيها مطابقة والمطابقة شيء لا يصدَّق ، ففي الفيزياء العدسة البللورية : لو وضعنا أمامها شمعة وخلف هذه العدسة في محرقها لوحة ، لا ينطبع خيال الشمعة على اللوحة إلا في مكان واحد فقط ، فلو أزحناها قليلا أصبح الظل أو المرتسم على هذه اللوحة غير واضح ، إذا غيرنا مكان الشمعة نحتاج إلى تعديل مكان اللوحة لأنه تغير المحرق لكن العدسة التي أودعها الله في الإنسان عدسة مرنة ، فإذا رأيت الشيء يتحرك فبدلا من أن يحدث تحرك في الشبكية ، العدسة يزداد إحدداب العدسة أو يقل ، فهناك عضلات اسمها عضلات هدبية ، تضغط على هذا الجسم البلوري فتزيد إحدادبه أو تقلله ، هذه العضلات تزيد الاحدداب أو تقلله بالميكرونات .

هناك سؤال كبير ، كيف ضغط هذا الجسم حتى جاء الخيال على الشبكية ؟ من حسب المسافة بينك وبينه ؟ .. رأيته أولا فحسبت

المسافة ، إن رأيته فقد رأيته ، وإن لم تره كيف حسبت المسافة ؟ عملية المطابقة في العين من أعظم الأدلة الدالة على وجود الله وعلى عظمته ، وهذه المطابقة يعجز عن فهمها العلماء والمطابق تحدث بعد ستين متر إلى اللانهاية ، لذلك الإنسان إذا سكن في مدينة مكتظة يضعف بصره ، و يحتاج إلى نظارات ، أما أهل البادية فدائما العين عندهم مستريحة تنظر إلى مسافات بعيدة .

الذي أريد أن أقوله لكم ؟ هذه العين سمِّيت كريمة الإنسان لأن الله كرمه بها ، لماذا خلقها الله له ؟ هل ليرى بها العورات ؟! أو الموبقات ؟! أو المحرمات ؟! أو النساء الكاسيات العاريات ؟! أم ليرى بها آيات الله الدالة على عظمته ، فالعين التي تُغض عن محارم الله ، والعين التي تحرس في سبيل الله ، والعين التي ينهمر منها دموع من خشية الله هذه عين شريفة طاهرة ، الله سبحانه وتعالى في الأعم الأغلب لا يفجعك بها ، و المرجو من الله أن يحفظها لك إلى نهاية الحياة " .

" اللهم متِّعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا " .

إذن من أدبنا مع اسم البصير الذي منحنا نعمة البصر أن نستخدم العين في أن نبصر بها آيات الله الدالة على عظمته .

قال أحد الأنبياء : من كان نَظَرُه عِبْرة ، ويقظته فِكرة ، وكلامُه ذِكرا فهو مؤمن ، لذلك قال النبي الكريم : " أمرني ربي بتسع

من هذه التسع أن يكـــون صمتـــي فكـــرا ونطقـــي ذكـــرا ونظَـــري عبرة " .

الشيء الثاني : يجب أن تعلم أن الله يبصرك ، الذي خلق نعمـــة البصر ألا يبصر ؟ .. قال تعالى :

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾

سورة البلد

الآية دقيقة جدا ، أيحسب أن لم يره أحد وهو يرى ، فالذي خلـق لك البصر ألا يراك ؟!! ألم نجعل له عينين يبصر بهما ، فالذي خلـــق لك العينين يراك حين تقوم قال تعالى :

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

سورة الشعراء

و قيل : من أخفى عن غير الله ما لا يخفيه عن الله فقد اســتهان بنظر الله إليه ، أحد ثمرات الإيمان أن تشعر أن الله معك وهو نـــاظر إليك ..

الآن دققوا في هذه العبارة ؛ الإمام الغزالي : " من قارب معصية وهو يعلم أن الله تعالى يراه فما أجرأه على الله وما أخسره ، وإن ظن أن الله لا يعلم فما أكفره وما أجهله " ، إن اقترف الإنسان معصية وهو يعلم أن الله يراه فما أجهله وأخسره .

فمقترف المعصية إن علم أن الله يعلم، فهو مُجتَرِئ على الله وخاسر !! .

و إن علم أن الله لا يعلم فهو جاهل وكافر !!! لأن الله يعلم .

و عن أبي هريرة قال كان النبي صلى اللهم عليه وسلم بارزا يوما للناس فأتاه جبريل فقال : " ما الإيمان ؟ " قال : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه و بلقائه ورسله وتؤمن بالبعث . " قال : " ما الإسلام ؟ " قال الإسلام أن تعبدَ اللهَ ولا تُشرك به شيئا وتُقيم الصلاة وتؤدِّي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان " قال : " ما الإحسان ؟ " قال أن تعبد اللهَ كأنَّك تراه فإن لم تكُن تراهُ فإنَّهُ يراك " !! .... صحيح البخاري .

و إذا عرف الإنسان أن الله تعالى هو البصير و كان الإنسان عاقلا زيَّن باطنه بالمراقبة ، وزين ظاهره بالمحاسبة .

و كان بعض السلف يقولون : إذا عصيتَ مولاك فاعصِه في موضع لا يراكَ فيه .

دعا بعضهم فقال : " إلهي أنت البصير وبعيوبي الخبير وبذنوبي المطَّلِع على سرِّي ، بيدك زمام أمري ، أسألك أن تجعل في قلبي نورا وفي بصري نورا لأشاهد حقائق الأشياء ، وأتأدب معك بالظاهر والخفاء إلهي اجعلني لك من المُشاهدين وفي حِماك من القائمين إنك على كل شيء قدير " .

و أحب أن أختم بقول الله تعالى في سورة الأنعام :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ (١٠٣)

و الحمد لله رب العالمين

*****

محتويات الكتاب





هذه النسخة غير مخصصة للبيع